الحقيقة

(هـذا هـو الإسـلام)

بحث معد للترجمة للغة الانكليزية

إعداد:

د. لمى اليحيى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهـــــداء

إلى روح سـيدي رسـول الله محمـد ﷺ

إلى روح المجدد الربانى من كان بسببه هذا البحث فضيلة الشيخ الدكتور أحمد كفتارو رحمه الله: رئيس مجلس الإفتاء الأعلى فى الجمهورية العربية السورية، إمام الطريقة النقشبندية فى عصره . . .

إلى روح العارف بالله والمربى الفاضل من تشرفت بطلب العلم على يده: فضيلة الشيخ الدكتور رجب ديب رحمه الله، المدرس الدينى الأول فى دمشق، إمام الطريقة النقشبندية فى بلاد الشام والمهجر فى عصره . . .

إلى أمى و أبى . . .

وإلى كل من له فضل على فى مسيرتى العلمية . . . .

أهدي هذا البحث

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله حمدا طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، ثم الصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن المتتبع لأحداث الأمة خاصة في المائة الأخيرة، وبخاصة المتتبع لخطوات التغير العقدي والنسيج الأخلاقي الحادث فيها يقف على كثير من الإلمام بما نحن فيه وما نحن بصدده وما يراد بنا، فبدءاً بدخول المدرسة العقلية وانتشار فكرها على يد جمال الدين الأفغاني وتلميذه المخلص محمد عبده، إلى ما ابتليت به الأمة من الانجراف الشديد في الخط العقائدي، والذي صاحبه انحراف آخر في الخط التقدمي العلمي، الذي أدى بالنتيجة إلى وقوعنا فريسة التآمرات الدولية في غياهب الحروب الأهلية، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل هذا الانجراف وقع نتيجة للتقصير عن نشر العقيدة في ربوع الأرض؟ أم نتيجة الترف العقلي ومجابهة أصحاب الجدل بنفس الأسلوب؟ أم أن وراء ذلك كيداً من أعداء الإسلام في محاولة تشويه صفاء هذه العقيدة وخلطها بالشوائب الغريبة عنها؟.

إن هذه الأسباب مجتمعة لها دورها كل بحسب أهميته، إلا أنه من خلال تتبع قصة الترجمة في عهدها الأول يظهر أن كيد أعداء الدين وافق هوىً عند بعض المسلمين خاصة بعض الحكام في العهد العباسي – كالمأمون مثلاً – فحدث ما حدث من ترجمة لكتب المباحث السوفسطائية[1] اليونانية وغيرها.

واستمراراً لما تعاني منه الأمة من هذه التشوهات العقدية الواردة لها من أعدائها، وامتداداً لنفس الخط السوفسطائي الذي بدأت به المحن و البلايا تنصب على هذه الأمة ظهرت نظريات حديثة مثل الشيوعية والعلمانية التي انبثقت من النظرية البرجماتية [2] القائم عليها الفكر الأمريكي اليوم.

وإلى الآن فإن كل ما يحدث لأمتنا الغالية من هوان وذل لم تعهده من قبل،ومن محاولات مستميتة لاستئصال هوية الأمة الإسلامية و طمس معالمها لم تكتف بقالب التيارات السياسية أو الدينية، بل كانت خطوات مدروسة و محسوبة تهدف أول

---

١) المحور الأساسي الذي يقوم عليه تيار الفلسفة السوفسطائية هو تلك المقولة للفيلسوف اليوناني القديم بروتاجوراس: (الإنسان هو مقياس كل شيء؛ فهو مقياس وجود ما يوجد من الأشياء ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها) أما موقفهم من الدين فقد عبر عنه (بروتاجوراس) بقوله: «لا أستطيع أن أعلم إذا كانت الآلهة موجودة أم غير موجودة ولا هيئتها ما هي؛ لأن أمورًا كثيرة تحول بيني وبين هذه المعرفة، منها غموض الموضوع وقِصَر الحياة يأتي أحد تلامذة السوفسطائيين (جلوكون) فيقول: «إن أفعال العادل مماثلة لأفعال الظالم»، وإن كل إنسان لا يفعل إلا ما فيه منفعته ومصلحته الشخصية حتى أولئك الذين يمارسون العدل يفعلون ذلك مكرهين؛ لأنهم عاجزين عن أن يقترفوا الظلم» محمد إبراهيم، البرجماتية،،البيان، ١٩ (٢٠٠٤/ ٢٠٦).

٢) البرجماتية فلسفة عملية انبثقت من الروح المادية للقرن العشرين... وهي أمريكية النشأة رأسمالية الاتجاه، وكلمة البرجماتية في أصلها اللغوي مشتقة من كلمة يونانية تعني العمل النافع، أو المزاولة المجدية، ويصبح المقصود منها هو المذهب العملي أو المذهب النفعي ومؤسسها " تشارلز بيرس، ويشاع أن البرجماتية تمثل تسويغاً فلسفيّاً لمبدأ الغاية تسوغ الوسيلة، وهذا ليس صحيحاً ، لأن البرجماتية أبعد شراً من ذلك؛ فهذا المبدأ يعني أن الوسيلة القذرة قد تسوغها الغاية الشريفة، لكن البرجماتية لا يهمها الغايات الشريفة في شيء وإنما المهم لديها هو أن تكون الوسائل قادرة على تحقيق الغايات، وبهذا تكون خلاصة المذهب هي: «البحث عن تسويغ المنافع كما يراها أصحابها في عالم يخلو من الحقيقة، وقد أرهقه البحث عنها»، محمد إبراهيم، البرجماتية، البيان، ١٩ (٢٠٠٤/٢٠٦).

ما تهدف إلى ضرب صورة الإسلام في عقول معتنقيه أولاً، والمتطلعين للدخول فيه في المجتمع الغربي ثانياً.

خمس سنوات مرت على الحرب في بلادي سوريا، أدرك فيها من أدرك أنها لم تكن شيئاً سوى فتنة هدفها الأساسي ضرب الإسلام في بلد قدم النموذج الأمثل للمجتمع الإسلامي المعتدل ولعل أعداء هذا الدين درسوا أكثر من أهله أن نبي الأمة محمد ﷺ أخبر أن عقر دار الإسلام في بلاد الشام، وأنه إذا فسد أهل الشام فلا خير في المسلمين بعدهم، وأن بلاد الأمن والأمان عند عموم الفتن في أرض الشام، فأرادوا أن يفرقوا أهلها وأن يجعلوهم شيعاً يكفر بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً، وللأسف الشديد فقد وقع بعض أهل هذه الأرض المباركة في هذه الفتنة، إلا أن نبوءة رسول الله محمد ﷺ أبت إلا أن تتحقق، فبالرغم مما عانيناه في أتون الحرب هذه السنوات لايزال الكثيرون من أهل العلم والمعرفة على سعيهم الدؤوب لنشر دين الإسلام كما أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بوسطيته، واعتداله وسماحته.

ويبقى الخوف الأكبر مما يصل أخوتنا في الإنسانية في أوربة وبلاد الغرب من الصورة المشوهة عن إسلامنا الحنيف، لقد ألصق أعداء الإسلام بهذا الدين الحنيف أبشع التهم عبر تاريخ الأديان السماوية، فاتهموه بالعنف والتطرف والإرهاب... كيف لا ومخاوفهم تزيد من الإسلام وقد قدمت الإحصائيات بأنه الدين الأسرع انتشاراً في العالم حتى إن فرنسة قد تصبح -حسب هذه الإحصائيات جمهورية إسلامية بعد أقل من خمسين عاماً، و أن دولة مثل استرالية يتضاعف فيه المسلمون بنسبة ٤٠٠%. ويخرج الجنرال الأمريكي(ويسلي كلارك) ليكشف سبب الحرب على الإرهاب قائلاً: (من كان يظن أننا خرجنا لأفغانستان انتقاماً لأحداث الحادي عشر من أيلول فليصحح خطأه، نحن خرجنا لقضية اسمها الإسلام، لا نريد أن يبقى الإسلام مشروعاً حراً يقرر فيه المسلمون ما هو الإسلام، بل نحن من نقرر لهم ما هو الإسلام).

نعم هذه هي الحقيقة، لقد كانت كل هذه الحروب والفتن حروباً على الإسلام وليست من أجل العدالة أو احترام الحريات، الحقيقة هي أن الإرهاب الذي يدعون محاربته صدر إلينا من قبلهم، وألصق ظلما وجوراً بالإسلام، والإسلام منه بريء، لقد

عانت بلادي من التطرف والإرهاب في الست سنوات الأخيرة فقط، بينما نعمت بالأمن والأمان منذ أن أخرجت الاحتلال الفرنسي من أراضيها حتى قيام هذه الحرب، وهذا أكبر دليل على أنه طارئ ودخيل على مجتمعنا وليس متأصلاً أو متجذراً فيه، وإنما الأصل هو الاعتدال والسماحة والوسطية والإخاء الديني مهما تعددت الطوائف وكثرت المذاهب، هذه هي حقيقة الإسلام، وهذا ما أردا أعداء الإسلام ضربه في بلادي، وكفى بنا قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (التوبة/ ٣٢).

من أجل ذلك كان هذا البحث المتواضع، أتقدم به إلى إخوتي في أوربة، نشرح فيه باختصار وتبسيط ما هو دين الإسلام وما هي نظرته إلى الآخر، وما مدى صحة ما يلصق به من اتهامات، أسأل المولى عزوجل في ذلك التوفيق والسداد.

خطة البحث:

- المقدمة
- **الفصل الأول: التعريف بالإسلام:**
  - الإسلام لغة وشرعاً.
  - أركان الإسلام.
  - بين الإسلام والإيمان والإحسان.
  - الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق.
- **الفصل الثاني: لفظ الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:**
  - لفظ الإسلام في القرآن الكريم.
  - لفظ الإسلام في الحديث النبوي الشريف.
  - دراسة لمفهوم الإسلام في ضوء الكتاب والسنة (لا إكراه في الدين).
- **الفصل الثالث: الإسلام والشرائع الأخرى:**

- موقف الإسلام من أصحاب الشرائع الدينية داخل بلاد المسلمين وخارجها.

- الإسلام والحوار الديني.

- **الفصل الرابع: الإسلام والمسلمون:**
  - الإسلام والتعدد المذهبي والطائفي.
  - الإسلام والطفولة.
  - الإسلام وحقوق المرأة.
- **الفصل الخامس: موقف الإسلام من بعض المسائل المستحدثة:**
  - الإسلام وحرية الفكر والسلوك.
  - موقف الإسلام من التطرف.
  - موقف الإسلام من العنف في العالم.
- الخاتمة: مهمة المسلمين في مواجهة الحرب ضد الإسلام.

أهم مراجع البحث:

من الجدير بالذكر أن الظروف التي تتعرض لها بلادي من الصعوبة ما يجعل التنقل بين المكاتب العامة أو إجراء الدراسة الميدانية غير ميسر كما هو مطلوب للخروج بمادة علمية غنية، لذلك فقد اكتفيت في بحثي بالاستناد إلى مراجع أساسية هي:

١- القرآن الكريم.

٢- السنة النبوية المطهرة بمصادرها المتنوعة.

٣- "فقه الأزمة"، وهو من إصدار وزارة الأوقاف السورية، إعداد نخبة من علماء سورية الأفاضل.

٤- " المنهج الموحد"، وهو من إعداد فريق مكتب الدعوة النسائية في وزارة الأوقاف.

٥- كتاب "دور الشيخ أحمد كفتارو في الحوار الإسلامي المسيحي" وهو أطروحة أعدت لنيل الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، من إعداد الباحثة.

الفصل الأول

التعريف بالإسلام:

- الإسلام لغة وشرعاً.
- بين الإسلام والإيمان والإحسان.
- أركان الإسلام.
- الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المبحث الأول: تعريف الإسلام لغة واصطلاحاً:

أولاً تعريف الإسلام لغة: أصل مادة اشتقاقه (السين، واللام، والميم)، مادة: سلم، أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى.

والله عز وجل (السلام) لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء.

وفي الباب أيضا: الإسلام: الانقياد، يقول راغب الأصفهاني: الإسلام هو الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما من أن يناله أذى من صاحبه.

والإسلام أيضا يستعمل في لغة العرب متعدياً و لازما ً، أما استعماله متعدياً فتقول: أسلمت الشيء إلى فلان، أي أخرجته إليه، وسلمه الله تعالى من الآفة تسليما، و أسلم أمره إلى الله: سلمه إليه، و عند استعماله لازماً يكون معناه الانقياد، والدخول في السلم: الاستسلام.

ومعنى الإسلام لازماً يعود إلى معناه متعدياً، لأن من انقاد واستسلم للغير فقد سلم نفسه إليه و ألقى إليه بمقاليده.

فالإسلام لغة له معنيان:

١ــ الاستسلام والخضوع والانقياد.

٢ ــ إخلاص العبادة لله عز وجل.

تعريف الإسلام شرعاً واصطلاحاً:

عرف الإسلام بتعاريف كثيرة، منها:

الإسلام: هو الشريعة السماوية التي أنزلها الله على سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، عن طريق الوحي سيدنا جبريل، وأمره بتبليغها إلى كافة الناس أجمعين،

فكانت خاتمة الشرائع السماوية و أشملها، دستورها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهي مصدقة لجميع الرسل السماوية السابقة.

والإسلام هو: الامتثال لأوامر الله و نواهيه .

والإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، و الخلوص من الشرك ومعاداته .

والحقيقة أن كل هذه التعريفات جامعة تدخل في معنى الإسلام الاصطلاحي، ولكن لفظ الإسلام ليس هو اللفظ الوحيد الذي عبر عن الدين السماوي الذي أنزل على سدنا محمد ﷺ، فهناك لفظي: الإيمان والإحسان اللذان يتداخلان في لفظة الإسلام، ونشرح ذلك فيما سيأتي:

المبحث الثاني: بين الإسلام والإيمان والإحسان:

أ- الإسلام والإيمان:

ارتبط لفظ الإسلام بلفظ الإيمان، وكثير من لا يفرق بين اللفظين، أو يخلط بينهما، وحقيقة أن اللفظان مختلفان، إلا أنهما مترابطان ارتباطاً وثيقاً ، وما الإيمان إلا مرتبة يرتقي إليها المسلم، تليها مرتبة الإحسان، وكل ذلك أخبرنا به رسول الله ﷺ في الحديث النبوي التالي:

كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان ؟ قال ﷺ: الإيمان: أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر، قال: وما الإسلام؟ قال: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: يا رسول الله: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك [1].

---

١) رواه البيهقي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، السنن الكبرى للبيهقي، ١٠/ ٢٠٣، ثابت وله شواهد كثيرة.

تعريف الإيمان:

فالإيمان: لغة التصديق والانقياد، وشرعاً: اعتقاد بالقلب و إقرار باللسان و عمل بالجوارح .

الفرق بين الإيمان والإسلام:

الإسلام والإيمان -بحسب التعريف- مختلفان، لأن الإسلام هو الامتثال الظاهري، بينما الإيمان فهو التصديق الباطني، إلا أنهما متلازمان، فلا يوجد إسلام معتبر شرعاً بدون إيمان، ولا يوجد إيمان يدخل صاحبه الجنة بدون إسلام، فالإسلام دون إيمان نفاق، و الإيمان دون إسلام كذب. والمتأمل في الاستعمال القرآني يجد أن اللفظين (الإسلام والإيمان) إذا اجتمعا تفرقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي إذا اجتمعا في نص واحد افترقا في المعنى، وإذا جاء أحدهما دون الآخر شمل معنى الآخر.

مثال اجتماع اللفظين: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (الأحزاب / ٣٥)، و قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات/١٤)، ففي مثل هذه الأمثلة من الآيات فإن للإسلام معنى وللإيمان معنى آخر.

ومثال انفراد الإسلام وحده قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ (الأنعام/١٤) و قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ (الأنعام/١٢٥)، فالإسلام في هذه الآيات يشمل الإيمان.

ومثال ما انفرد به الإيمان: قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ (آل عمران/١٩٣). وهنا ـــ أي عندما يأتي معنى الإيمان أو الإسلام منفرداً فيكون شاملاً للمعاني الثلاث (الإسلام والإيمان والإحسان).

العلاقة بين الإيمان والإسلام:

العلاقة بين الإيمان والإسلام علاقة عموم وخصوص، لأن المسلمون كثيرون و المؤمنون منهم قلّة، بمعنى أن الإيمان أعم من جهة ذاته، أما الإسلام فهو أعم من جهة ناسه، فالإيمان في جوهره إسلام و زيادة، وأما الإسلام فهو أعم في ناسه.

والإيمان هو أمر باطن، عما وقر في القلب، و لكن لابد أن يصدقه العمل بالجوارح، فإذا صلح القلب صلح الجسد وصلحت الجوارح، أما الإسلام فهو في ذاته الأعمال الظاهرة فقط ، فكل مؤمن مسلم ولا عكس، لأنه قد يكون مسلماً وليس مؤمناً ، بل منافق والعياذ بالله.

ب ـ الإسلام والإحسان:

الإحسان: معناه مراقبة الله عز وجل في السر والعلن، مراقبة من يحبه ويخشاه، ويرجو ثوابه ويخشى عقابه، بالمحافظة على الفرائض والنوافل واجتناب المحرمات و المكروهات، والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾(النحل/١٢٨)، وفي حديث النبي ﷺ السابق: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

علاقة الإسلام بالإحسان:

وعلاقة الإحسان بالإسلام كما علاقته بالإيمان، فإذا وردت إحدى هذه الألفاظ منفردة في الكتاب أو السنة كانت شاملة للمعنيين الآخرين، وإذا ذكرت مقترنة باللفظين الآخرين قصد بها معناها الخاص.

أضف إلى ذلك فإن الإحسان عند أهل التزكية مقام من مقامات الإيمان، بل هو لب الإيمان و روحه وكماله، و هذه المنزلة تجمع كل المنازل، و جميعها منطوية فيها، فالإحسان كمال الحضور مع الله عز وجل و مراقبته الجامعة لخشيته و محبته ومعرفته والإنابة إليه والإخلاص له، وأعلى الإحسان: هو الإحسان في الوقت، وهو أن تجعل هجرتك إلى الحق سرمداً متوجه إلى الله بالصدق والإخلاص حتى تلقى الحق جل وعلا[1].

---

١) ينظر: ابن القيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، تهذيب عبد المنعم صالح العلي العزي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٧م، ٤٥٦.

المبحث الثالث: أركان الإسلام:

أركان الإسلام وردت في حديث النبي ﷺ: (شهادة أن لا إله إلا الله، إقام الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، حج البيت من استطاع إليه سبيلا).

أولاً: شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله: أن يعتقد الإنسان أن الله وحده هو الرب المالك المتصرف الخالق الرزاق، وهو الذي تثبت له جميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ، وأن يعتقد الإنسان أن الله هو وحده المستحق للعبادة دون سواه، كما يعتقد أن الله عز وجل أرسل رسوله محمداً ﷺ و أنزل عليه القرآن الكريم، وأمره بإبلاغ هذا الدين إلى الناس كافة، و أن يعتقد أن محبة الله ورسوله وطاعتهما واجبة على كل أحد، و لا تتحقق محبة الله إلا بمتابعة رسوله ﷺ.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران/٣١).

فصل: هل يشترط التلفظ بالشهادتين حتى يعتبر المرء مسلماً؟ أم يكفي لذلك الاعتقاد القلبي؟ وإذا تلفظ بشهادة (لا إله إلا الله) و لم يتلفظ بـــ(محمد رسول الله) هل يكون مسلما ً؟ الجواب: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله.

فمن قال لا إله إلا الله فقط و لم يزد عصم دمه حتى يختبر، فإن شهد بالرسالة والتزم أحكام الإسلام حكم بإسلامه، والملاحظة الهامة هنا: أن للحديث منطوق ومفهوم، فأما المنطوق فهو قتال كل من لم يشهد بشهادة الإسلام، أما مفهوم الحديث فهو قتال المحاربين منهم فقط، بمعنى (أمرت أن أقاتل الناس-إذا قاتلوني-).

وأما إن كان مقراً بالوحدانية ومنكراً للنبوة فإنه لا يحكم بإسلامه حتى يشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، وقد اختلف الشافعية في ذلك: فمنهم من قال بعدم إسلامه، ومنهم من قال بإسلامه ولكن يطالب بالشهادة الأخرى والتزام أحكام الإسلام فإن جحد وأبى كان مرتداً.

مسألة أخرى: إذا لم ينطق بالشهادتين وصدر عنه قرينة قبوله للإسلام فهل يعد مسلماً؟

الجواب: ذكر الفقهاء أن هناك ثلاث طرق يحكم بها على كون الشخص مسلماً، وهي: النص ــ التبعية ــ الدلالة، أما النص فأن يأتي بالشهادتين بنص صريح، وأما التبعية: فأن يأخذ التابع حكم المتبوع في الإسلام، و أما عن طريق الدلالة فهو سلوك الفعل الدال على الدخول في الإسلام.

ومعنى ذلك أن من صدر عنه فعل أو سلوك أو أداء عبادة في شريعة الإسلام فإنه يعد مسلماً ولو لم ينطق بالشهادتين.

الركن الثاني من أركان الإسلام: إقام الصلاة:

أن يعتقد الإنسان أن الله أوجب على كل مسلم بالغ عاقل خمس صلوات في اليوم والليلة، يؤديها على طهارة، فيقف بين يدي ربه كل يوم خاشعاً طاهراً متذللاً يشكر الله على نعمه، ويسأله من فضله ويستغفره من ذنوبه، ويسأله الجنة، ويستعيذ به من النار، والصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمس صلوات: الفجر، والظهر والعصر والمغرب والعشاء. ومحل دراسة تفاصيل أدائها في كتب الفقه الإسلامي.

والصلاة تمثل صدق التوجه إلى الله تعالى وحده في جميع الأمور، وقد أمر الله المؤمنين كافة بالمحافظة عليها جماعة، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (البقرة/٢٣٨).

- الصلاة تنهى المؤمن عن المعاصي ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ (العنكبوت/٤٥)
- والصلاة عون للعبد على الشدائد والكربات، ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ (البقرة / ٤٥).
- والصلوات الخمس تمحو الخطايا و الذنوب: قال رسول الله ﷺ: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شي.....)[1].

---

١) رواه البخاري، عن أبي هريرة،الجامع الصحيح، حديث رقم ٥٢٨.

مسألة: هل يعد تارك الصلاة كافراً؟

الجواب: ترك الصلاة لا يعد كفراً إلا إذا تركها المسلم عامداً جاحداً بفرضيتها، وأما من تركها ناسياً، أو متكاسلاً من غير جحود أو كفران فلا يعتبر كافراً و إنما عاصياً .

الركن الثالث من أركان الإسلام: الزكاة:

خلق الله تعالى الناس مختلفين في الألوان والأخلاق والعلوم والأعمال والأرزاق، فجعل منهم الغني والفقير، ليمتحن الغني بالشكر والفقير بالصبر، ولما كان المؤمنون أخوة والأخوة تقوم على العطف والإحسان والرأفة والمحبة فقد أوجب الله تعالى الزكاة تؤخذ من أغنيائهم وتعطى لفقرائهم ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (التوبة / ١٠٣).

فالزكاة تطهر المال وتنميه، وتزكي النفوس من الشح والبخل، وتقوي المحبة بين الأغنياء والفقراء، فيزول الحقد ويسود الأمن والاطمئنان وتسعد الأمة.

وقد أوجب الله تعالى إخراج الزكاة على كل من ملك النصاب (مقدار معين من المال) وحال عليه الحول (سنة قمرية كاملة على امتلاك النصاب) على كل مال فيه نماء وزيادة، وأيضاً تفصيل ذلك في كتب الفقه الإسلامي، وما يهمنا ذكره أن الزكاة نظام شرعه الله عز وجل لتربية نفس المؤمن وتعويدها على البذل والعطاء من جهة، وتحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي من جهة أخرى، و وصولاً لازدهار المجتمع الإسلامي و رخائه، الأمر الذي سعت إليه الأنظمة الوضعية بعيداً عن التشريع الإسلامي فأثبتت فشلها الواحد تلو الآخر.

الركن الرابع من أركان الإسلام: الصيام:

الصوم: هو الإمساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية الصوم، والصوم عبادة تقوم على الصبر، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وقد فرض الله تعالى الصوم شهراً من السنة تتعود فيه النفس على تقوى الله عز وجل، واجتناب محارم الله وكبح جماح النفس عن أهوائها،

إضافة إلى تعويدها وتدريبها على الجود والكرم والتعاون والتعاطف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة / ١٨٣).

وشهر رمضان شهر عظيم أنزل الله تعالى فيه القرآن الكريم، ويضاعف فيه ثواب الصدقات والعبادات وجميع الأعمال الصالحة، وفيه ليلة القدر –العبادة فيها خير من ألف شهر– في شهر رمضان تفتح أبواب السماء وتغلق أبواب جهنم وتصفد الشياطين، وتنزل فيه البركات، وتقصد فيه الروحانيات التي تغذي نفوس المسلمين طيلة العام .

الركن الخامس: من أركان الإسلام: الحج:

جعل الله للمسلمين قبلة يتوجَّهون إليها عند صلاتهم ودعائهم حيث ما كانوا، وهي البيت العتيق في مكة المكرمة، ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ (البقرة/١٤٤)، والحج موسم تتجلى فيه وحدة المسلمين وعزهم وقوتهم، فالرب واحد، والكتاب واحد، والرسول واحد، والأمة واحدة، والعبادة واحدة والملابس واحدة، ولما كانت ديار المسلمين متباعدة والإسلام يدعو إلى الاجتماع والتعارف كما يدعو إلى البر والتقوى والتواصي بالحق، والدعوة إلى الله وتعظيم شعائر الله.. لذا أوجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر أن يزور بيته العتيق وأن يطوف به وأن يؤدي مناسك الحج كما أمر الله ورسوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٧).

تأملات في أركان الإسلام:

إن المتأمل فيما فرضه الله عز وجل على عبيده المؤمنين من عبادات وشعائر يتقرب بها إليه يجد أنها تنوعت في طرق أدائها، وفي أهدافها.

- أما في طرق أدائها: فالصلاة عبادة جسدية تؤدى بحركات مخصوصة وكلام مخصوص،أما الصيام فعبادة جسدية أيضاً ولكن عن طريق الامتناع عن الطعام والشراب وشهوة الفرج، وأما الزكاة فعبادة مالية، يتقرب بها إلى الله عن طريق بذل المال، والحج

يجمع بين العبادة الجسدية بحركات مخصوصة وكلام مخصوص، وبين الامتناع عن شهوات البطن والفرج، وأيضاً بذل المال في سبيل الله، أضف إلى ذلك كونه عبادة جماعية تؤدى باجتماع أكبر عدد ممكن من المسلمين.

والقاسم المشترك في طرق أداء أركان الإسلام هو الاستحضار القلبي والروحي في نية التقرب إلى الله عزوجل وطلب رضاه ورضوانه.

- و أما تنوع أهداف العبادات في الإسلام: فبالرغم من أنه لا عد ولا حصر لها، إلا أننا سننوه لليسير منها، على اعتبار أن كتب الفقه و العلوم الشرعية أدت الغرض في ذلك.

فعلى رأس الأركان الشهادتين: حيث تصحح العقيدة ويصحح التوجه، إلى الله وحده لا شريك له في المحبة، والعبودية، والقصد.

ومن أهداف الصلاة: تقوية الصلة بين العبد وربه، وذكره له خمس مرات في اليوم، الأمر الذي يجعله حاضراً مع خالقه مراقباً لنفسه، يخشى ربه فلا يعصيه في أمر من أمور حياته.

ومن أهداف الزكاة: تعويد النفس البشرية على البذل والعطاء، وتحقيق التآلف والمحبة بين المسلمين من خلال مساعدة الفقراء منهم، وبالتالي إلغاء الفقر في المجتمع الإسلامي .

ومن أهداف الصيام تعويد المؤمن على مجاهدة النفس وامتثال أوامر الله حتى ولو على حساب الشهوات والملذات الدنيوية .

وأما الحج فهو المؤتمر العالمي الذي يجمع المسلمين في كل عام، توحدهم كلمة العبودية الخالصة لله عز وجل.

وبالرغم من أن أركان الإسلام قائمة على العبادات إلا أن الإسلام ليس دين عبادات وشعائر دينية وحسب، فالإسلام دين عقيدة وشريعة وأخلاق:

المبحث الرابع: الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق:

كثيرٌ ممن يخطئ ظاناً أن الإسلام مبني على أركان تقوم على الشعائر التعبدية، وليست هذه الشعائر إلا أحد دعائم ثلاث أساسية يقوم عليها الدين، وهذه الدعائم هي: العقيدة والشريعة والأخلاق، ولعل النصوص عبرت عن العقيدة بلفظ الإيمان، وعن الشريعة بلفظ الإسلام، والأخلاق بلفظ الإحسان، فالعقيدة ـــ الإيمان ـــ اعتقاد باطن نؤمن من خلاله بالله رباً وبالملائكة والنبيين والكتب المنزلة عليهم، وبالقضاء والقدر و الثواب والعقاب.

وأما الشريعة فتطبيق عملي للعقيدة، نؤدي من خلاله شعائر العبودية لله بأشكالها المختلفة.

وأما الأخلاق: فهي- إذا اعتبرنا أنها بمعنى أو بآخر جزء من مفهوم الإحسان إن صح التعبير، حيث يتخلق المؤمن بالأخلاق الحسنة متعبداً ومتقرباً بذلك إلى الله ومراقباً له في كل أحواله - تلك المقامات التي يرتقي بها المؤمن حتى يصل إلى الكمال في عبوديته لله عز وجل وهو حاضر معه في كل أحواله.

أيضاً: فإن العقيدة هي الأمور التي يجب أن نؤمن بها إيماناً جازماً ، وهي التي لا تقبل التغيير ولا التبديل، كما أنها ثابتة في كل الشرائع السماوية، واحدة في كل الشرائع السماوية). وأما الشريعة: فهي الأعمال التكليفية التي يقوم بها المسلم، وهي تختلف بين أمة وأخرى، و بين ما جاء به الرسل بعضهم من بعض ـــ بخلاف العقيدة ـــ ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة / ٤٨). وأما الأخلاق فهي السلوكيات الحسنة التي ينبغي على المسلم أن يتحلى بها حتى توصله لأعلى درجات الكمال.

فصل: بناء على ما سبق: هل لفظ الإسلام يختص فقط بمن اعتنق الشريعة التي نزلت على محمد ﷺ، أم أنه عام لكل الشرائع السماوية استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج / ٧٨).

الجواب: يستدل الكثيرون بهذه الآية في إطلاق المسلمين على كل أتباع الشرائع السماوية، وهو مخالف لنصوص أخرى، كقوله تعالى " إن الدين عند الله الإسلام " وقوله تعالى: " ومن يبتغ غير الإسلام فلن يقبل منه ".... وللخروج من الخلاف نقول: يصح إطلاق نسبة الإسلام إلى جميع أتباع الشرائع السماوية إن قصدنا بذلك المعنى العقيدي، لأن جميع الشرائع السماوية تتفق في دعوتها إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، و بجميع الأنبياء والرسل، وبجميع الكتب السماوية، وبيوم الحساب.

ولا يصح إطلاقها على أتباع الشرائع السماوية إن قصدنا بذلك المعنى الشرعي، لأن لفظ المسلمين فهو خاص لأتباع النبي محمد ﷺ بالمعنى الشرعي، أي الذين اتبعوا الشريعة التي أنزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه بشعائرها وتعاليمها فقط.

الفصل الثاني

لفظ الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

- **لفظ الإسلام في القرآن الكريم.**
- **لفظ الإسلام في الحديث النبوي الشريف.**
- **دراسة لمفهوم الإسلام في ضوء الكتاب والسنة (لا إكراه في الدين).**

المبحث الأول: مصطلح الإسلام في القرآن الكريم:

ورد لفظ " الإسلام " في القرآن في أربعة مواضع:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (آل عمران/١٩).

قراءة في الآية: الآية مرتبطة بما قبلها، حيث قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (آل عمران/١٨)، فالتقدير: شهد أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين عند الله الإسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، أي طلباً للملك والرياسة، فلا يقبل عند الله عز و جل دين إلا الإسلام الذي يعني باتباع جميع الرسل الذين بعثهم الله في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثة النبي محمد بشريعة غير شريعته فليس بمتقبل عند الله، والمقصود من كلمة الإسلام هنا هو المعنى الشامل (العقيدة والشريعة والأخلاق)، أو بمعنى آخر: (الإيمان والإسلام والإحسان).

مسألة: إذا آمن الشخص برسالة النبي ﷺ و لم يتلفظ بالشهادتين، بل كان إيمانه قلبياً وفكرياً، هل يعد مسلماً؟ الجواب: نعم، لأن المعول عليه عند الله عز وجل هو ما في القلب، ويطالب بالنطق بالشهادتين إعلاماً وإشهاراً لدخوله في شريعة الإسلام.

الآية الثانية: في قوله تعالى ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران / ٨٥).

دراسة في الآية: نزلت الآية الكريمة في اثني عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام وخرجوا من المدينة و عادوا إلى مكة كفاراً .

وتفسير الآية: أن من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه وسيحاسب عليه في الآخرة و سيكون من الخاسرين.

مسألة: ما المقصود في هذه الآية من لفظ الإسلام؟ إن المقصود هو ما ذكر في الآية التي قبلها ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران / ٨٤). فالإسلام المقصود هو الإسلام الذي يأمر بالإيمان بالله وملائكته والكتب المنزلة والأنبياء جميعاً دون تفريق بين أحد منهم، أي أن الإسلام المقصود هنا بمعناه العقيدي والشرعي والأخلاقي.

شبهة تثار حول الآيتين السابقتين:

الكثير ممن يحمل معنى الآيتين السابقتين " إن الدين عند الله الإسلام " و" من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه " على أن الدين المتقبل هو الإسلام الشريعة التي نزلت على سيدنا محمد فقط، وعدم قبول غيره يستوجب القتال، وأخذوا منه ذريعة لقتال غير المسلمين، وأحياناً قتال المسلمين أنفسهم بسبب وقوعهم في المعاصي، وبحجة خروجهم عن تعاليم الإسلام، متذرعين بحديث النبي ﷺ: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإن قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله " [1].

الرد على الشبهة: إن ما ورد في كتب التفاسير من خصوصية الشريعة الإسلامية بما هو مقصود من الآيات صحيح ولا غبار عليه. ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية:

١- أنَّ مجرد الاعتقاد القلبي والقبول بدين الإسلام هو دخول فيه، وعليه الكثير من البشر، وإن لم يعلن أو يثبت ذلك، فلا يجوز محاربة غير المسلم حتى يظهر ويبتدئ بمحاربته للإسلام والمسلمين.

٢- في الآية الأولى " إن الدين عند الله الإسلام " ربط الدين بلفظ الجلالة " الله "، أي أن أمر الدين راجع إلى الله، وحكم اعتناقه عائد لله، وليس من حق أحد أن يفرض الدين أو يكره أحداً عليه، إنما هي النصيحة والدلالة، والأمر كذلك في الآية الثانية " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه " فربطت من اتخذ غير الإسلام ديناً بعدم القبول، ومسألة القبول أيضاً راجعة لذات الله عز وجل إذ هو المحاسب، وهو

---

١) رواه مسلم، عن جابر بن عبد الله،الجامع الصحيح، حديث رقم ٢١.

الحاكم بين عباده، وهو وحده من يتقبل العمل من عباده أو لا يتقبله، وبالتالي فإنه لا يحق للبشر تنفيذ أحكام الله عز وجل في عباده إلا من مكنه المولى عز وجل من ولاية أمر المسلمين وحكم بلادهم، ثم إن اللفظ الوارد في النص القرآني " فلن يقبل منه "، ولم يرد بلفظ: " سنعاقبه " أو " سنحاكمه"، لأن العقاب والحساب أيضاً بيد الله وحده لا شريك له، وهو من بيده أيضاً العفو والصفح والغفران.

٣- في حديث النبي ﷺ منطوق ومفهوم: أما المنطوق: فهو محاربة كل من لا يدين بدين الإسلام، وأما المفهوم: وهو ما عليه أهل العلم فهو مقاتله من يحارب المسلمين ممن لا يدين بدين الإسلام، فيكون تقدير الكلام: " أمرت أن أقاتل من يقاتلني من الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله.

٤- معلوم في الشريعة الإسلامية أنَّ أهل الكتاب أصحاب عهد وذمة، فلهم مال للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، استثني من ذلك المحاربون الذين لهم أحكام أخرى نتحدث عنها لاحقاً إن شاء الله.

النتيجة: إن الشبهة المثارة حول الآية بالاستدلال بها لمحاربة من لم يدن بدين الإسلام لا تصح، فلا إكراه في الدين، ولا إجبار أو تعنت في الإسلام، باستثناء المحاربين، والمرتدين فإن لهم أحكام خاصة بهم نوردها فيما سيأتي إن شاء الله.

الآية الثالثة فيا ورد فيه لفظ الإسلام في القرآن الكريم:

قول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا...﴾ (المائدة / ٣).

دراسة في الآية: نزلت الآية الكريمة قبل وفاة النبي ﷺ وكانت بشارة بكمال الدين وتمام أحكام الشريعة، وفيها نعي للنبي عليه الصلاة والسلام وإخبار بانتقاله إلى الرفيق الأعلى، مع العلم أنها لم تكن آخر آية في النزول، لأن آخر آية نزلت في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٢٨١). وفي الآية دلالة على كمال نعم الله عز وجل بتمام شريعة الإسلام خاتمة الشرائع السماوية ورضا المولى عمن اتبع هذه الشريعة ورضوانه.

الآية الرابعة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ (الصف/٧).

في تفسير الآية: تناولت الآية الحديث عمن يتخذ لله شريكاً ويجعل له نداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلا أحد أظلم ممن يفتري على الله الكذب فيجعل له ولداً أو نداً، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، وهذه الآية جاءت متممة لآية سبقتها يقول تعالى فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف/٦) بمعنى أن التوراة بشرت بالنبي ﷺ، وعيسى عليه السلام إنما جاء مصداق ما أخبرت عنه، ومبشراً بمن بعده، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي، فعيسى عليه السلام وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل بشر بخاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة ـــ وربطاً بين الآيتين ـــ فإن الإسلام بعينه هو الإيمان بالتوراة ، و بما جاء به عيسى، وببشارة محمد ﷺ، تلك الدعوة التي لا تتجزأ، ولا ينفصل أحد أركانها عن الآخر، دعوة موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم أجمعين.

لم يرد لفظ الإسلام إلا في هذه المواضع الأربعة، إلا أن اشتقاقات لفظ (سلم) كلفظ (أسلم)، و(المسلمون) و، (أسلموا) وردت في موضع كثيرة نورد منها أمثلةً فيما سيأتي:

أ- في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/ ١١١ــ ١١٢).

والآيات في معرض الرد على من ادعى أن الجنة خاصة لأمة من الأمم وهو كلام باطل، فالآية الكريمة تخبر صراحة أن من أخلص دينه لله موحداً له ومؤمناً بجميع رسالاته السماوية، ومصدقاً لجميع أنبيائه فأولئك وعدهم الله عزوجل أن يؤتيهم أجرهم غير منقوص، والجدير بالذكر أن لفظ " أسلم " هنا شمل جميع أتباع الأديان السماوية اليهودية والنصرانية والشريعة الإسلامية.

ب- قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(البقرة / ١٣٠ــ١٣١). ورد في تفسير الآية وجهان: الأول أن المقصود الإسلام بالمعنى اللغوي: أي الاستسلام والانقياد وكما هو واضح فإن الحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وأما الوجه الثاني في التفسير فإن المقصود هو الإسلام بالمعنى الاصطلاحي. استدلالاً بقول الله تعالى ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(الحج / ٧٨). وعلى هذا: فحسب الوجه الأول يكون معنى الآية: أسلم أمرك إلى الله وفوضه إليه . وعلى الوجه الثاني: استقم على الإسلام.

ت- ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج / ٧٨).

ث- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ (المائدة / ٤٤).

ج- قول الله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس / ٩٠).

مسألة تتعلق بالآيات السابقة:

في الآيات السابقة استعمل اشتقاق لفظ الإسلام وأطلقت صفة المسلمين على أتباع الديانات السماوية، من أبناء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، واستعمل مصطلح الإسلام بالمعنى اللغوي تارة و بالمعنى الاصطلاحي تارة أخرى، والسؤال: هل كان الإسلام في زمن ابراهيم عليه السلام فصح إطلاقه على جميع أتباع الأديان السماوية؟

الجواب: نعم، كان الإسلام زمن إبراهيم عليه السلام، ولكنه الإسلام بالمعنى العقيدي والفكري، وليس بالمعنى الشرعي، العقيدة السماوية التي دعا إليها جميع أنبياء الله منذ عهد آدم وليس ابراهيم: الإيمان بالله رباً واحداً و إلهاً واحداً، وبالرسل جميعاً ــ

بما فيهم خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ ـــ دون تفريق بين أحد منهم، والكتب المنزلة عليهم، والغيب، واليوم الآخر، والثواب والعقاب، و قد ورد ذلك في قول الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة/ ١٣٦).

فمن هذه الزاوية صح أن نطلق اسم المسلم على كل مؤمن بالله من زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام وحتى قيام الساعة، ومن هذا المنطلق نادى البعض أهل الفكر بمصطلح (إبراهيمية الأديان) ، وهو مصطلح أريد به دعوة باطلة بسبب ظهور تيار يدعو إلى العودة إلى الدعوة التي أتى بها إبراهيم عليه السلام متجاهلين باقي الشرائع السماوية التي نزلت بعده،وكأنهم بذلك يريدون الخروج من مأزق الاعتراف بالإسلام كديانة سماوية، والحقيقة أن الإبراهيمية واليهودية والمسيحية والإسلام ما هي إلا دعوة واحدة، هي دعوة التوحيد، ولكن الشرائع السماوية نزلت على الأمم السابقة بأزمنتها وظروفها لتنظم حياة المجتمعات الإنسانية حسب تطورها ، إلى أن جاءت خاتمة الشرائع السماوية (الإسلام) التي تناسب بإعجازها كل مكان وكل زمان، فمصطلح إبراهيمية الأديان هو مصطلح غير دقيق، والأحرى استعمال مصطلح: الإيمان بالله وما أنزل على جميع رسله. ونعود إلى المسألة فنقول: يصح الإطلاق على أتباع الأديان السماوية الذين يؤمنون بجميع الرسالات السماوية: رسالة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين باسم المسلمين إن قصدنا ناحية العقيدة، وأما من ناحية الشريعة فلا يصح تسميتها إلا على من دخل في الإسلام وشهد بشهادته والتزم شعائره وتعاليمه، دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾(آل عمران/ ٢٠). قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال أهل الكتاب: أسلمنا، فقال لليهود: أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله؟ قالوا: معاذ الله، وقال للنصارى

أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله؟ قالوا: معاذ الله أن يكون عبداً، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

المبحث الثاني: مصطلح الإسلام في السنة النبوية المطهرة:

يصعب حصر الأحاديث النبوية الشريفة التي اشتملت على لفظ الإسلام أو أحد اشتقاقاته، إضافة إلى أن البعض منها مشهور جداً، وقد أوردناها في بداية البحث، كحديث أركان الإسلام، وحديث الإسلام والإيمان والإحسان، لذلك ارتأيت في البحث أن أذكر بعضاً من الأحاديث غير المشهورة والتي لنا مراد من شرح غريبها والدروس المستفادة منها:

الحديث الأول: في قول النبي ﷺ: (تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة، فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير، وتجيء الصدقة، فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول: إنك على خير، ثم يجيء الصيام فيقول: يا رب أنا الصيام، فيقول: إنك على خير، ثم تجيء الأعمال على ذلك فيقول الله تبارك وتعالى: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول الله عز وجل: إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي، " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه " فيقول تعالى: إن الدين عند الله الإسلام)[2].

الحديث الثاني: في قول النبي ﷺ: المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، التقوى هاهنا (وأشار بيده إلى القلب) وحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم [3].

الحديث الثالث: لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا،ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضاً، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم [1].

---

١) ينظر: تفسير البغوي، ٣/ ٢٠.

٢) رواه الهيثمي،عن أبي هريرة، مجمع الزوائد، ١٠/ ٣٤٨، فيه عباد بن راشد، وثقه أبو حاتم وضعفه آخرون، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

٣) رواه الهيثمي، عن واثلة بن الأسقع، مجمع الزوائد، ٨/ ١٨٨. رجاله ثقات.

الحديث الرابع: أتى يهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله اعرض علي الإسلام، فعرض عليه الإسلام، فأسلم، فرجع إلى منزله، فأصيب في عينيه و أصيب في بعض ولده، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: أقلني، فقال النبي ﷺ: (إن الإسلام لا يقال)[٢].

الحديث الخامس: استب رجلان، رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمد على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده ولطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ بما كان من أمره وأمر المسلم، فدعا النبي ﷺ المسلم فسأله عن ذلك فأخبره، فقال النبي ﷺ: (لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكن فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله)[٣].

تأملات في الأحاديث السابقة:

كان المراد من إيراد هذه الأحاديث النبوية الشريفة دونما غيرها هو إبراز أفكار معينة عن دين الإسلام، هذه الأفكار هي:

١- تبيان ما ورد في الآيات الكريمة من أن الدين عند الله هو الإسلام شريعة وعقيدة، وأن مناط القبول أو الرد في الوقت نفسه عائد إلى الله عز وجل وحكمه بين العباد يوم القيامة (كما أورد الحديث الأول).

٢- إن الإسلام دين اعتنى بعلاقة المسلم مع الآخر، و لم يكتف فقط بالشعائر الدينية، لقد وضع قانون الأخوة بين المسلمين دستوراً يحكم علاقتهم ببعض، وحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، بل وحرم حتى أشكال الأذى اللساني بين بعضهم، فلا غيبة ولا نميمة، ولا سب، ولاشتم ، ولا تباغض. و هذه القواعد كفيلة بأن تجعل من

---

١ - رواه مسلم، عن أبي هريرة،الجامع الصحيح، رقم: ٢٥٦٤.

٢ - رواه الذهبي، عن جابر بن عبد الله، ميزان الاعتدال، ٣/٣٠٠، فيه عنبسة بن سعيد النضري، قال أبو حاتم ضعيف الحديث، وخرج أيضاً في: الزيلعي، تخريج الكشاف، ٢/ ٣٧٩، وروي بإسناد أصلح بلفظ مختلف.

٣ - رواه البخاري، عن أبي سعيد الخدري،الجامع الصحيح، رقم ٦٩١٧.

المجتمع الإسلامي أرقى المجتمعات الإنسانية على الإطلاق، (كما ورد في الحديثين الثاني والثالث).

٣- إن المبدأ الإسلامي " لا إكراه في الدين" لا يتعارض مع مفهوم الردة في الإسلام وما يتعامل معه من أحكام و حدود، فلا أكراه في الدين أي الدخول في الإسلام، فلم يجبر سيدنا محمداً ﷺ ومن بعده أحدٌ من ولاة أمر المسلمين على اعتناق الإسلام، حتى المشركين في مكة بعد أن دخلها ﷺ، أمن أهلها دون أن يجبرهم على نطق الشهادة " ومن دخل داره فهو آمن ". أما من دخل الإسلام فتجرى عليه أحكامه وتشريعاته، والتي من جملتها تحريم الارتداد وإقامة الحد على المرتد والذي يقره حاكم الدولة دون غيره، فالإسلام خاتم الأديان السماوية و مكمل الشرائع الربانية، فلا يحق لإنسان أن يتخذه هزواً فيدخل فيه تارة و يعلن الارتداد عنه تارة أخرى، وحد الارتداد كباقي الحدود في الشريعة الإسلامية مقصده وغايته احترام العقيدة عند اعتناقها والردع عن الاستهزاء بها، وليس الإجبار أو الإكراه على الدخول فيها أو إباحة العنف عند تركها. وهذا كله أوضحه لنا الحديث الرابع.

٤- إن الإسلام احترم أصحاب الديانات السماوية وأعطاهم من الحقوق و الكرامة والاحترام ما للمسلمين. وهذا الموضوع سنفصل فيه في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

المبحث الثالث: دراسة لمفهوم الإسلام في ضوء الكتاب والسنة:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/٢٥٦).

لقد اخترت أن أبدأ البحث بهذه الآية الكريمة استطراداً لما ورد في الآيات والأحاديث السابقة فكما أن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه فإنه لا إكراه في الدين.... لا تعارض بين هذه الآيات، فإن مناط القبول وعدمه لله عز وجل وحده، والإسلام عقيدة الذي هو الإيمان بجميع الأنبياء والرسل دون

تفريق بين أحد منهم، وهو الشريعة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ مكملاً بها الشرائع السماوية السابقة، ومتمماً لنعمة الله عز وجل على عبيده المؤمنين ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة / ٣). فالرسالات السماوية توجت بشريعة الإسلام، والدعوة إلى الله قائمة إلى قيام الساعة دون إكراه ودون تعصب أو إجبار، وهذا التخيير انبنى عليه مبدأ الثواب والعقاب، والقبول والرد والذي مرده جميعاً إلى الله عز وجل جلاله وسلطانه، وعلياءه و رحمته ولطفه بخلقه.

إن دين الإسلام دين الرحمة واللطف والمحبة، دين تمم فيه تشريع موسى وأكملت فيه أخلاق عيسى وتوجت فيه عقيدة التوحيد التي جاء بها محمد ﷺ والتي سبقه بها جميع أنبياء الله ورسله منذ آدم عليه السلام. إن المتأمل في تعاليم القرآن الكريم وماجاء في السنة النبوية المطهرة يلمس كمال التشريع الإلهي وإعجازه الذي جعل منه ديناً صالحاً لكل زمان ومكان وكل ظرف من ظروف المجتمعات الإنسانية، والسؤال المطروح هنا: إذا كان هذا الكلام حقاً فلماذا نجد إذاً ما يصدر عمن يسمون أنفسهم بالمسلمين ما نراه من التعصب والتطرف والإرهاب؟

الجواب: إن كل هذه المصطلحات وبغض النظر عن تعريفاتها الكثيرة إنما تصب في السلوك الشاذ الذي يصدر ممن تكون لديه فهم خاطئ لتعاليم الإسلام نشأ عنه فكر خاطئ نسب إلى هذا الدين الحنيف ظلماً وجوراً وبهتاناً، ويأتي من يعتنق هذا الفكر، دونما تمحيص ودقيق في صحته ونسبته إلى هذا الدين السماوي العظيم، ويطبقه في المجتمعات المتقدمة بشكل منحرف – تارة بالتعصب الفكري، والتطرف السلوكي وصولاً إلى الفعل الإجرامي الذي انتشر في أطراف العالم.

فالمشكلة ليست في دين الإسلام، إنما المشكلة فيمن ينتسبون إلى الإسلام فعندما يسيء المسلم فهم تعاليم دينه، أو يخطئ في تطبيق التعاليم الصحيحة للدين، فهذا حاصل من خلل في نفسه وليس في تعاليم الشريعة الغراء، لذلك فإن الحرب التي يخوضها العالم ضد الإسلام إنما بدؤوا بها منذ زمن طويل، لم تبدأ هذه الحرب بالسلاح مطلقاً، وإنما بدأت بغسل أدمغة المسلمين، استبدلوا لعقولهم عن الإسلام الحنيف بصورة مشوهة عن تعاليمه وفكره، إن الغرب لم يستطع أن يوقف مد الدعوة الإسلامية إلى أوروبة، فاختار

استقباله ثم تشويهه ثم إعادته إلى بلادنا، وبذلك يحقق هدفين: الأول: أن يتخلص من الدعوة الإسلامية في أوروبة، والثاني أن يدمرها في الشرق الأوسط، وهذا ما يتحقق الآن على أرض الواقع.

الإسلام وحسب ما مر معنا دين يحمل في طياته أرقى المعاني الأخلاقية، وأسمى الأركان العقيدية، أقدس الشعائر التعبدية، بل إنه اعتنى بكل تفصيلة كبيرة أو صغيرة في حياة الإنسان، فأرشده فيها إلى طريق الصواب، و بنى علاقة المسلم مع ربّه، ومع نفسه ومع غيره،كما أن المؤمن – في الإسلام – يرتقي في إيمانه على حسب تطبيقه لتعاليم الدين، كل ذلك وضعه أهل العلم تحت مسمى " التزكية" ذلك العلم الذي لا يقر به – وللأسف الشديد – بعض المتعنتين من أتباع هذا الدين، وهو في الحقيقة العلم الذي يكمل قواعد الشريعة، ويقوّم القلب والعقل معاً حتى يستقيما عليها، فهو بمثابة الروح للجسد.

الإسلام دين جمع العلوم الروحية والعلوم التشريعية، لقد اعتنى الإسلام بالإنسان روحاً وجسداً، فطرةً وغريزةً، وكما أنه كان في إعجازه ديناً صالحاً لكل زمان ومكان فقد اتسم بالمرونة حيث جاءت تشريعاته مجملة تسمح بالاستنباط منها حسب المسائل المستجدة بوسطية واعتدال.

الإسلام دين الأخلاق وهو يدعو إلى احترام الإنسان لإنسانيته واحترامه لإخوانه، من خلال التزام مكارم الأخلاق: الصدق، الأمانة، الوفاء، المحبة، العفة، وكل ما من شأنه أن يعمر المجتمع الإنساني وأن يسير به نحو الازدهار، كما أن الإسلام دين يدعو إلى الحوار واحترام الآخر، بل والاعتراف به أياً كان لونه وعرقه وجنسه ودينه السماوي.

الإسلام يعتني بالأسرة: اللبنة الأولى في المجتمع، ويعطي المرأة حقوقها ويحفظ للرجل كرامته، ويحرص كل الحرص على أن ينشأ الأطفال في بيئة تربوية سليمة، ومجتمع مترابط ومتماسك.

إن المتأمل والباحث في الإعجاز القرآني يجد أن الإسلام وقبل أربعة عشر قرناً أتى بما يتم اكتشافه اليوم من علوم حديثة، كالطب والعلوم الكونية والطبيعية

والإنسانية، إضافة إلى الإخبار عن المغيبات، فهو دين المعرفة والبحث العلمي والموضوعي البعيد عن الغلو والتعصب، وليس دين شعائر تعبدية وحسب، إنما دين حياة وتطور علمي ومعرفي.

لقد اعتاد الباحثون عند دراسة الدين الإسلامي البدء من الفقه الإسلامي لمعرفة الأحكام الشرعية، ودراسة علم التجويد لإتقان تلاوة القرآن الكريم،وهذا جيد إلا أن هذا المنهج لا يصلح في كل المجتمعات، بل لابد وخاصة في أوربة أن تدرس العقيدة أولاً والأخلاق ثانياً، من أجل الفهم الصحيح للشريعة الإسلامية، وهذا التدرج هو المنهج الذي سار عليه سيدنا محمد ﷺ في دعوته إلى الإسلام، لقد بقي النبي محمد ﷺ ثلاثة عشر سنة في مكة يعلم الصحابة بما ينزل عليه من الوحي العقيدة والأخلاق، حتى إنَّ الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام لم تفرض إلا في السنة التاسعة للبعثة على أصح الأقوال، وتدرجت باقي التشريعات بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، بعد أن نضخ الإيمان في قلوب المسلمين ورسخت العقيدة الصحيحة في عقولهم وتخلقوا بأخلاق الإسلام الكاملة.

وبحثنا هذا لا يعني بدراسة العقيدة والأخلاق، إذ أن الكتب التي اختصت بهذه الأصول أشبعت بالدراسات والشروح، لذا أكتفي بالتنويه لدراستها فقط، لإفادة الباحث في التوجه إليها عند دراسة الشريعة الإسلامية، والجدير بالذكر أيضاً أن علوم العقيدة بالذات حصل في التأليف فيها إفراط وتفريط، حتى وصلت أغلب مسائلها إلى إخوتنا في أوروبة مغلوطة أو مشوهة أو مبهمة، لذا فإن على الباحث في علم العقيدة الإسلامية التحري في الكتب والمصادر التي يتناولها، لئلا يقع تحت يده مصدر فيه تحريف للفكر الإسلامي القويم، فيكون ذلك سبب في اعتناقه لأفكار تخالف في حقيقتها الدين الإسلامي الحنيف.

من أجل ذلك، وخدمة لإخوتنا في الغرب سنسلط الضوء على بعض مواضيع الفكر الإسلامي التي تخدم دراستهم واطلاعهم على شريعتنا، بدءاً من نظرة الإسلام إلى أصحاب الأديان السماوية في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

الإسلام والشرائع الأخرى:

- موقف الإسلام من أصحاب الشرائع الدينية داخل بلاد المسلمين وخارجها.
- الإسلام والحوار الديني.

المبحث الأول: موقف الإسلام من أصحاب الشرائع الدينية داخل بلاد المسلمين وخارجها:

أولاً: الإيمان بجميع الأنبياء والرّسل و دعوتهم إلى التّوحيد:

تعالج الشريعة الإسلامية قضية الأديان السماوية الأخرى من خلال الأصول التالية:

١- أنّ دين الله واحدٌ، وأنّ رسل الله ما هم إلّا إخوانٌ متحابّون، لا عداء بينهم ولا خصام، وأنّ الغرض من رسالتهم واحدٌ، وأنّ الّذي بعثهم جميعاً بأصول هذا الدّين واحدٌ، وأنّ هذه الأصول لا خلاف فيها ولا تباين، فلقد كانت دعوة رسل الله جميعاً وأنبيائه عليهم السّلام مبنيّةً على أصلٍ ثابتٍ وركنٍ أساسيٍّ، ألا وهو أن يبيّنوا للنّاس أنّ هناك إلهاً خالقاً واحداً خالقاً لهذا الكون، وعلى البشر أن يؤمنوا به، وأن يؤدّوا إليه ما يجب من العبادة الّتي تليق بجلاله ليسعدوا بها ويهتدوا إلى الصّراط المستقيم، كذلك كانت دعوة الرّسل تأكيداً على أنّ الإنسان في هذا الكون هو أخو الإنسان، وأنّ النّاس كلّهم من خلق أبيهم آدم وأمّهم حوّاء، ومقاييس التّفاضل بينهم التّقوى والصّلاح وفضائل الأعمال، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ (الحجرات/١٣)، ونتيجةً لهذين الأصلين: الإيمان بالله والأخوّة الإنسانيّة كان من الواجب والطّبيعيّ أن تعيش الإنسانيّة كلّها في حبٍّ وتعاونٍ وأخوّةٍ وسلامٍ.

٢- منذ أن نزل القرآن الكريم وفي مناسباتٍ عديدةٍ أمرنا أن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين وأن نقدّسهم ونحبّهم، وخصوصاً سيّدنا موسى وعيسى عليهما السّلام، وكأنّ القرآن الكريم وسيّدنا محمّد ﷺ يؤكّدان وبإلحاحٍ على أنّ الأديان واحدةٌ في أصولها وواحدةٌ في هدفها، وهو إسعاد الإنسان، كيف لا! والقرآن الكريم يعلن أنّ المسيحيّة والإسلام يؤمنان على حدّ السّواء بالإله الخالق الواحد، وبيوم القيامة، وبالعمل الصّالح الّذي يسعد الإنسان وينقذ صاحبه من عذاب الله، ويدخله في فردوسه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (البقرة/٦٢)، وكلّ من يتصفّح القرآن الكريم ويدرس سيرة رسول الله ﷺ يجد أنّ الإسلام أتى مدافعاً عن المسيح ومؤيّداً

لرسالته، بل ولجميع رسل الله ورسالاتهم لا ناقضةً ولا مهدّمةً لها، بل جامعةً لها وداعيةً للإيمان بها والعمل بمقتضاها، وإنّك لتجد القرآن يحثّ أهل التّوراة والإنجيل على اتّباع كتابيهما، ويعنّف أولئك الّذين يتهاونون في العمل بهما، قال تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة/٤٧)، وقال أيضاً: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (المائدة/٦٨)، وهذا التّعنيف نجده منصبّاً على المسلمين و على غيرهم من الّذين لم يتّبعوا تعاليم الإسلام واكتفوا بالانتماء إليه، هذا التّوجيه الإلهيّ يضع كافّة المؤمنين من كلّ الأديان أمام مسؤوليّاتهم تجاه خالقهم وتجاه الإنسان، ولا يشفع لهم مجرّد الانتماء الشّكليّ لهذا الدّين أو ذاك، بل عليهم أن يتّبعوا الإيمان الحقيقيّ من كلّ قلوبهم وعقولهم وأعمالهم لينالوا الخلاص، فالأديان ليست إلّا سبلاً تجعل المؤمنين الأصلاء يقتربون من الله وتنتعش أرواحهم بأنواره، وعقولهم بحكمة آياته.

٣- الدّين في جوهره يعود إلى ثلاثة أسسٍ: العقيدة، الشّريعة، الأخلاق، والعقيدة والأخلاق الكلّيّة -كما ذكرنا سابقاً- واحدةٌ عند كلّ الأنبياء والمرسلين، ولكنّ المتبدّل هو الشّرائع بحسب اختلاف أحوال الأمم والشّعوب الّتي كانت تأتيهم رسالة السّماء، أمّا مفهوم وأركان العقيدة فواحدٌ على ألسنة جميع الأنبياء والرّسل، وهذا الّذي يسمّى الدّين السّماويّ الواحد،فلا يوجد أديانٌ سماويّةٌ،بل يوجد دينٌ إلهيٌّ ربّانيٌّ واحدٌ، اسمه الإسلام، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ...﴾ (آل عمران/١٩)، وهذا الدّين الإلهيّ الّذي ارتضاه الله تعالى لكلّ خلقه من لحظة أن خلقهم إلى يوم لقائه، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة/٣) ،هذا الإسلام الّذي يعني الاستسلام المطلق لجميع أوامر الله ونواهيه، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران/٨٥)، ولذلك نقرأ في القرآن الكريم هذه الحقيقة واضحةً جليّةً في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ...﴾ (الشورى/١٣)، هذا إذاً هو الدّين الإلهيّ السّماويّ الّذي اسمه الإسلام، هو الّذي دعا إليه جميع رسل الله، فالحقائق الإيمانيّة عندهم واحدةٌ، وهي: الإيمان بوجود خالقٍ عظيمٍ واحدٍ، لا

شريك له متّصفٌ بصفات الكمال المطلق، منزّهٌ عن النّقائص، والإيمان باليوم الآخر يوم الحساب والدّينونة، والإيمان بالملائكة الأطهار، والإيمان بجميع أنبياء ورسل الله ﷻ، والإيمان بكلّ كتب السّماء المنزلة على المرسلين، ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة/١٣٦)، فكلّ الأنبياء وكلّ أتباعهم الصّادقين سمّاهم القرآن الكريم باسمٍ واحدٍ: "المسلمون".

٤- المبادئ المشتركة بين الدّيانتين: الإسلام والمسيحيّة:

- الدّيانتان خرجتا من مشكاةٍ واحدةٍ، وتدعوان في الحقيقة إلى الإيمان بالإله الخالق الواحد، وعدم التّفريق في الدّين، فهناك قول السّيّد المسيح" وإنّ الحياة الأبديّة هي أن يعرفوك أنّك أنت الإله الحقيقيّ وحدك، ويعرفوا أنّ الّذي أرسلته يسوع المسيح"[١]، وفي القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة/١٣٦).
- الدّيانتان تحثّان أتباعهما على أن يكونوا أعضاءً نافعين في المجتمع، ففي حديث النّبيّ ﷺ: "الخلق كلّهم عيال الله، وأحبّ الخلق إلى الله أنفعهم لعياله"[٢]، وفي قول السّيّد المسيح: "وصيّةٌ جديدةٌ أعطيكم إيّاها: أن تحبّوا بعضكم بعضاً"[٣].
- وتدعو الدّيانتان أتباعهما إلى تبادل المودّة، ففي القرآن الكريم:﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ (المائدة /٨٢).
- وتتّفق الدّيانتان على أنّ العدل والتّكامل هما أساس المجتمع، إذ لا بدّ من القاعدة الإيمانيّة عند كلّ إنسانٍ لتدفعه إلى الالتزام الأخلاقيّ، ممّا يحدّ من وقوع الجرائم، فقلبٌ لا إيمان فيه كمحكمةٍ لا قاضي فيها.

١- إنجيل يوحنا، ج١٧، ص ٣-٤.

٢- رواه الهيثمي، عن أنس بن مالك، مجمع الزوائد، ٨/ ١٩١، قال الألباني: روي بإسناد ضعيف.

٣- إنجيل يوحنا، ج١٣، ص٣٤.

● وحقيقةٌ أخرى مشتركةٌ بين الدّيانتين وهي التقاؤهما في الإيمان بحقائق أبديّةٍ، فلهذا العالم خالقٌ واحدٌ لا يموت، ولم يكن وجود هذا العالم صدفةً أو عبثاً، وكذلك الإيمان بالغيب، كالقضاء والقدر، والملائكة، والجنّ، وبالبعث والحساب بعد الموت، وبالجنّة جزاءٌ للمحسنين، وبالنّار جزاءٌ للمسيئين.

٥- طرق اللّقاء بين الأديان: يكون بإتّباع ما يلي:

أ- أن نرجع إلى كتبها الأصيلة الأولى، فنجمع منها ما اتّفقت فيه الأديان من وحدانيّة الله العظيم خالق كلّ شيءٍ، وعلى أبدع نظامٍ، وأنّ الإنسان أخو الإنسان.

ب- أن ننظر إلى الوصايا الأخلاقيّة الّتي تجعل العالم سعيداً موحّداً إذا عمل بها بعد اتّفاق رجال الأديان عليها، ثمّ تعميم التّعليم والإعلام منها بالوسائل الحديثة، فلا توصل السّلام إلى العالم وحسب، بل تجعل من العالم أسرةً واحدةً متآخيةً متحابّةً، كما قال النّبيّ محمّد ﷺ: " المؤمنون في توادّهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى "[1].

ت- أن ننظر وبكلّ شجاعةٍ وصدقٍ وإخلاصٍ إلى أنّ مرور الزّمن وكثرة التّرجمات ووجود أصحاب المطامع والأهواء قد أثّر على بعض أصول الدّين الدّاعية إلى المحبّة والتّعاون، وفتح المجال لبذور التّعصّب والحقد بين عباد الرّبّ الواحد، كلّ ذلك يجب مراقبته وتصحيحه، وإعادة النّظر في التّأويلات المعاكسة للقاء الأديان مستعينين بالعقول النّيّرة والأبحاث العلميّة الصّحيحة، فلا بدّ لهذه الوسائل وما يشبهها من مؤتمرات من حوارٍ حرٍّ يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة، واللّقاء الحقيقيّ بين الأديان،ولقد ذلّلت المعرفة والثّقافة كثيراً من العقبات والصّعوبات الّتي كانت تحول دون الحوار والتّعاون العالميّ، ولكن لا تزال هناك بعض العقبات في طريق هذا اللّقاء العظيم- لقاء الأديان- ومن هذه العقبات:

١) التّعصّب والتّطرّف والجمود الّذي يسيطر على كثيرٍ من رجال الدّين،فيحول بينهم وبين الحقّ، ويحجبهم عن سلوك الصّراط المستقيم،وقد أشار القرآن

١- رواه مسلم،عن النعمان بن بشير، صحيح مسلم، ٤/ ١٩٩.

الكريم إلى بطلان ذلك،فيما وصف به الكافرون من تقليدٍ وجمودٍ،حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (لقمان/٢١).

٢) وجود تأويلاتٍ وتفسيراتٍ معتمدةٍ لدى بعض أتباع الدّيانات، هذه التّأويلات تفرّق بين الأنبياء وتنفّر الإنسان من أخيه الإنسان، وتحمل الشّقاق والبغضاء في ثناياها، والمسؤوليّة تقع في ذلك على أصحاب العقول النّيّرة من رجال الدّين لكي يستبدلوا هذه التّأويلات والتّفسيرات بما ينسجم مع أصول الرّسالات السّماويّة، ويؤدّي إلى تحقيق إخاءٍ إنسانيٍّ.

٣) وجود طقوسٍ دينيّةٍ مصادمةٍ للعقل، ولا تتّفق مع المعارف العلميّة الثّابتة، وقد أدّى ذلك في بعض البلدان إلى انفصال تاريخيٍّ بين العقل والعلم من جهةٍ، وبين الدّين من جهةٍ أخرى، هذا الشّقاق بين العقل والدّين لم يعد على الإيمان بأيّة فائدةٍ، بل على العكس ظلّ الشّقاق سلاحاً في يد خصوم الدّين يستعملونه في محاربة الإيمان.

و في هذا الإطار فإن علاج ذلك يتوقّف على إخلاص رجال الدّيانات، وانقيادهم للحقّ، وتمييز الصّحيح من الدّخيل في التّأويلات والتّراث الدّينيّ، والوصول بالنّاس إلى إيمانٍ عقليٍّ يصفّق له العلم ويكبّر له الإيمان، ورغم هذه العقبات فإنّ طريق الحوار مفتوحٌ والتّعاون مهيّأٌ اليوم أكثر من أيّ وقتٍ مضى إذا توافر الرّجال الحكماء والمخلصون المتجرّدون وأصحاب الرّوح المنفتحة الّتي يمكن أن تنهض بالإخاء الإنسانيّ وتتجاوز مخلّفات عصور البغضاء والأحقاد ليجتمع عباد الرّبّ الواحد على المحبّة والوئام.

ثانياً: قضية التعايش بين المسلمين والمسيحيين:

١ – دستور العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين:

موضوع التّعايش بين المسلمين والمسيحيّين عبر تاريخ العلاقة بينهما منذ خمسة عشر قرناً وإلى اليوم، قضيّةٌ تعدّ من المسلّمات الاعتقاديّة والتّشريعيّة والأخلاقيّة لنا نحن المسلمون، والسّبب في ذلك أنّ هذا التّعايش قد وضع القرآن الكريم أسسه ومبادئه، وقام النّبيّ الأكرم ﷺ بتطبيقه حياةً واقعيّةً وأمثلةً عمليّةً، ثمّ نهج الصّحابة الكرام من بعده

ﷺ المنهج نفسه، وانطلقت مسيرة التّعايش الإسلاميّ المسيحيّ عبر هذه القرون الطّويلة تسير متألّقةً من تطبيقٍ عمليٍّ لها إلى تطبيقٍ عمليٍّ آخر، خلا بعض الفترات المظلمة الّتي كانت فيها علاقة التّعايش ترتكس نحو سلبيّةٍ مظلمةٍ، أو عصبيّةٍ بغيضةٍ، أو طائفيّةٍ مقيتةٍ يسبّبها الجهل بحقيقة الدّين السّماويّ، أوالتّأويلات المنحرفة، أو الأهواء والمصالح والأنانيّات لبعض رجال الدّين،أو تدخّل الغرباء الّذين يسعون لبثّ بذور الطّائفيّة تمهيدا لاستعمار واستغلال بلاد المسلمين والمسيحيّين على السّواء.

لقد وضع القرآن الكريم وسنّة النّبيّ ﷺ قواعد التّعايش مع غير المسلمين، وبخاصّةٍ المسيحيّون، وكانت هذه القواعد أسساً واضحةً جليّةً تستند على حقٍّ مقدّسٍ،ألا وهو الكرامة الإنسانيّة،حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء/٧٠)، ويبيّن الله تعالى أنّ البشر متساوون من حيث بشريّتهم، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات/١٣)، وجاء على لسان خير البشر سيّدنا محمّدٍ ﷺ: (إنّ ربّكم واحدٌ، وإنّ أباكم واحدٌ، كلّكم لآدم وآدم من ترابٍ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرٍ على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضلٌ إلّا بالتّقوى"[1]، ومن هنا كانت الحصانة لكلّ البشر بغضّ النّظر عن ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ودياناتهم، فالاحترام والتّقدير للشّخصيّة الإنسانيّة حقيقةٌ جليّةٌ في نصوص الإسلام، كلّ ذلك دون تفرقةٍ بين لونٍ أو ملّةٍ أو جنسٍ، و إذا أردنا أن نتحدّث – من باب التّقنين والتّقعيد – في الأسلوب الّذي باشر به الإسلام حقيقة التّعايش مع الآخرين نرى أنّ هذا التّعايش ينطلق من قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة/٨)، فالآية واضحةٌ تماماً في تقرير العلاقة بين المسلمين وغيرهم، إنّها علاقةٌ قائمةٌ على أمرٍ أعظم من العدل، الّذي هو إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه – وإنّما ترتقي هذه العلاقة إلى مرحلة الإحسان – وهو الزّيادة على الحقّ فضلاً، إنّها

١- رواه البيهقي، عن أبي النضرة ﷺ، شعب الإيمان،١١/١٣٠، وقال الطبرانيُّ: " لم يرو هذا الحديث عن الجريرى، إلاّ أبو المنذر الورّاق، تفرَّد به سهل بن عثمان ".

علاقةٌ قائمةٌ على البرّ والإحسان، والشّيء الرّائع أنّ الإسلام سمّى غير المسلمين داخل مجتمعه "أهل الذّمّة" أي أهل العهد والضّمان والأمان، لأنّ لهم عهد الله وضمان رسوله ﷺ وأمان جماعة المسلمين على أن يعيشوا في حماية الإسلام، وتحت راية المجتمع الإسلاميّ آمنين مطمئنّين، وهذه التّسمية ليس فيها شيءٌ من الدّونيّة، كما يظنّ البعض، لأنّ العربيّ إذا قال: "أنت في ذمّتي" هذا يعني في حمايتي ورعايتي وتحت كنفي، لا أؤذيك ولا أسمح لأحدٍ أن يؤذيك.

٢ــ موقف الإسلام من غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي:

– من عاملك كنفسه لم يظلمك –.

– لهم ما لنا وعليهم ما علينا،لهم ما لنا من الحقوق، وعليهم بعض الّذي علينا من الواجبات—، وفق هاتين القاعدتين قامت طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيّين، وشرحت من خلال النّقاط التّالية:

١– تأمين الحماية من العدوان الخارجيّ: حيث يوجب المجتمع الإسلاميّ أن تؤمّن كلّ ضوابط الحماية لكلّ من رضي العيش بداخله، وهذا ما صرّح به الفقهاء في إرشاداتهم[١]،ولعلّ أروع الأمثلة على ذلك في التّاريخ موقف الصّحابيّ القائد أبي عبيدة بن الجرّاح ﷺ من أهل حمص وغيرهم عندما ردّ عليهم أموالهم الّتي دفعوها مقابل حمايتهم من الاعتداء الخارجيّ بسبب عجزهم عن ذلك[٢]،وهذا ابن تيمية يقف بعنفٍ في وجه التّتار عندما أرادوا إطلاق سراح أسرى المسلمين فقط وإبقاء النّصارى في الأسر،فقال: إنّا لا نرضى إلّا بافتكاك جميع الأسرى من المسلمين وغيرهم،لأنّهم أهل ذمّتنا،ولا ندع أسيراً لا من أهل الذّمّة ولا من أهل الملّة[٣].

٢– تأمين الحماية الدّاخليّة: وتشتمل هذه الحماية على ما يلي:

أ– حماية الدّماء والأبدان: حيث تضافرت الأحاديث النّبويَّة وسلوك الصّحابة على تحريم إلحاق أيّ أذى وأيّ ظلمٍ بأيّ إنسانٍ مواطنٍ أو زائرٍ غير مسلمٍ هو في ذمّة

١– ينظر: ابن قدامة، المغني، ٧/ ١١٠.

٢– ينظر:البلاذري،فتوح البلدان، ص١٤٢.

٣– ينظر: ابن تيمية، الرسالة القبرصية، ص٤٠.

المسلمين وعهدهم، من ذلك قول النّبيّ ﷺ: "من آذى ذمّياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة"[1].

ب- حماية الأعراض: فلا يجوز في الإسلام إلحاق الأذى بالمسلم أو غير المسلم من شتمٍ أو قذفٍ أو تجريحٍ أو غيبةٍ، يقول في ذلك الفقهاء: "يجب كفّ الأذى عن الذّمّيّ وتحريم غيبته كالمسلم".

جـ- حماية الأموال: والواقع التّطبيقيّ لأحكام الشّريعة الإسلاميّة يظهر بوضوحٍ هذه الحماية لكلّ ممتلكات غير المسلمين، فلهم الحقّ في دخول كلّ المعاملات الماليّة وممارسة الصّفقات إلى غير ذلك من الحرّيّات الاقتصاديّة.

د- كفالة بيت المال: يكفل المجتمع الإسلاميّ للمسلم وغير المسلم كلّ الاحتياجات، وخاصّةً عند العجز عن الكسب والعمل، وذلك تطبيقاً لقول النّبيّ ﷺ: " كلّكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيّته، فالإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيّته"[2]، وأهل الذّمّة من أولى النّاس مع المسلمين بالبرّ والصّلة، وكانت ضمانات المجتمع المسلم واضحةٌ لكلّ فئات المجتمع لا تفريق في ذلك بين المسلم وغيره.

٣- الحرّيّات العامّة: وتشتمل هذه الحرّيّات على ما يلي:

أ- حرّيّة المعتقد وممارسة الشّعائر الدّينيّة، وصون أماكن العبادة: حيث أقرّ الإسلام بوضوحٍ تامٍّ حرّيّة الاعتقاد لكلّ النّاس، فلا إكراه لأحدٍ على دخول الإسلام، وإن كان يدعوهم إليه والدّعوة إلى الإسلام والإجبار عليه أمران متضادّان، الأول جائزٌ مشروعٌ، والثّاني حرامٌ ممنوعٌ، قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل/١٢٥)،وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة /٢٥٦)، فكانت القاعدة في ذلك: نتركهم وما يدينون، ومن أبلغ الأمثلة على تسامح الإسلام الرّفيع سماح النّبيّ ﷺ لنصارى نجران، وكانوا ستّين شخصاً، أن يدخلوا مسجده، وأن يجلسوا فيه بضعة أيّامٍ، فإذا حضرت صلاتهم توجّهوا جهة المشرق على

١- رواه السيوطي، جامع الأحاديث، ٤٦١/١٩. قال الألباني: حديث ضيف، وورد في تذكرة الموضوعات:"أخرجه أحمد في مسنده والبخاري في تاريخه والطبراني بسند رجاله معروفون وفيه ابن لهيعة وهو من رجال مسلم في المتابعات والصواب أنه حسن الحديث".

٢- رواه البخاري، عن عبد الله بن عمر،صحيح البخاري، ٤٣١/١.

مرأى من النّبيّ ﷺ دون اعتراضٍ منه أو منعٍ، والحقّ الّذي يجب أن يصدع به أنّ أعظم الشّواهد الواقعيّة على حرّيّة المعتقد في الإسلام، هو ما يرى الآن وبعد خمسة عشر قرنا ًمن أماكن العبادة: الكنائس والمعابد والأديرة المنتشرة في بقاع العالم الإسلاميّ والّتي تنطق بحرّيّة المعتقد الّتي جاء بها الإسلام.

ب- حرّيّة التّنقّل: فلغير المسلمين من أهل الدّيانات الأخرى حرّيّة التّنقّل والحركة والسّفر والتّرحال من بلدٍ لآخر، في أيّ وقتٍ شاؤوا، ولأيّ اتّجاهٍ ساروا، فقد جاء في العهد الّذي أرسله النّبيّ ﷺ إلى أهل أيلة النّصارى قرب العقبة: "... هذه أمنةٌ من الله ومحمّدٍ رسول الله إلى يوحنّا بن رؤبة، وأهل أيلة، سفنهم وسيّاراتهم في البرّ والبحر، لهم ذمّة الله وذمّة محمّد النّبيّ، ومن كان معهم من أهل الشّام واليمن، وإنّه لا يحلّ أن يمنعوا ماء ًيريدونه من برٍّ أو بحرٍ".

ج- حرّيّة الفكر والتّعلّم: عندما أرسى الإسلام قواعد المجتمع الإسلاميّ كان من بين أسسه نشر العلم بين كلّ فئات ذلك المجتمع، وأبلغ دليلٍ على ذلك هو كثرة الإنتاج العلميّ الّذي ظهر على أيدي غير المسلمين في شتّى المجالات العلميّة، واشتهرت أسماء علماء كثر من اليهود والنّصارى وغيرهم، فليس في أحكام الإسلام ما يمنع غير المسلمين من حرّيّة الفكر والتّعلّم، ولهم تعليم أبنائهم وتنشئتهم وفق مبادئ دينهم، ولهم إنشاء المدارس الخاصّة بهم، ولقد كانت الجامعات والمعاهد الإسلاميّة عبر التّاريخ مفتوحةً على مصراعيها لأهل الذّمّة حتّى تتلمذوا على أيدي علماء وفقهاء المسلمين، فدرس حنين بن إسحاق على يد أبي خليلٍ الفراهيديّ، وتتلمذ يحيى بن عديٍّ على يد الفارابي... إلخ.

د- حرّيّة العمل والكسب وتولّي مناصب الدّولة: فأبواب العمل مفتوحةٌ أمام المسلمين وغيرهم لممارسة أيّ عملٍ أو مهنةٍ، وهذا ما دفع غير المسلمين داخل المجتمع الإسلاميّ بكلّ ثقةٍ وطمأنينةٍ أن يتوجّهوا إلى الأعمال الّتي تدرّ أكبر قدرٍ من الأرباح، فأصبحوا صيارفةً وتجّاراً وأطبّاء، وكذلك الأمر بالنّسبة لتولّي وظائف الدّولة، فلهم مطلق الحرّيّة في ذلك، ولهم المشاركة فيما يسمّى مجلس الشّعب ترشيحاً وانتخاباً، لأنّ عضويّة المجلس تفيد في إبداء الرّأي للدولة وعرض مشكلات وأحوال المواطنين.

هـ- الحرّيّة الاجتماعيّة: والمقصود بها حرّيّة ممارسة كلّ النّشاطات الاجتماعيّة، كالمهرجانات والأعياد والزّيارات، وكانت سمة المجتمع الإسلاميّ هي التّعايش السّلميّ بين كلّ طوائفه وملله، وقد سبق الحديث عن الآية الّتي حثّت على البرّ وحسن الصّلة لغير المسلمين، وكان النّبيّ ﷺ يعود مرضى غير المسلمين، ويزور جيرانه منهم، ويتفقّد أحوالهم، فيحسن إلى محتاجهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ويدعوهم إلى الإسلام بالرّفق واللّين"[1].

وتطبيقاً لسنّة رسول الله ﷺ فإنّنا كمسلمين ومسيحيين لا نشعر إلّا أنّنا أبناء عائلةٍ واحدةٍ يتعاونون مع بعضهم كما يتعاون أبناء الأب والأمّ في العائلة الواحدة حتّى سما السّوريّون في فكرهم إلى رفض مصطلح "التّعايش المشترك" في التّعبير عن أحوالهم، وتبنّي مصطلح "العيش المشترك" بديلاً عنه، على اعتبار أنّ لفظ "التّعايش" يعبّر عن حالةٍ من التّأقلم بين بيئتين مختلفتين، أمّا "العيش" فهو تعاونٌ وتكاتفٌ في مجتمعٍ واحدٍ وبيئةٍ واحدةٍ[2].

ثالثاً: الاعتراف بالآخر:

١ ــ نظرة الإسلام إلى الآخر:

"إذا عرّفنا الآخر غير الإسلاميّ بصورةٍ مختصرةٍ بأنّه (المختلف) كيف ينظر الإسلام والمسلمون إلى الآخر؟ الجواب:

الحقيقة أنّ القرآن الكريم وضع قواعد واضحةٍ للعائلة البشريّة، وأعلن الإسلام أنّ النّاس جميعاً خلقوا من نفسٍ واحدةٍ، وهذا يعني وحدة الأصل الإنسانيّ، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء/١)، والنّاس جميعاً في نظر الإسلام هم أبناء هذه العائلة الإنسانيّة، وكلّهم له الحقّ في العيش والكرامة دون استثناءٍ أو تمييزٍ، فالإنسان مكرّمٌ في نظر القرآن الكريم، دون النّظر إلى دينه، أو لونه، أوجنسه، وما اختلاف البشريّة في ألوانها، وأجناسها، ولغاتها، إلّا آيةٌ من الآيات الدّالّة على عظيم قدرة الخالق

١- البخاري، الجامع الصحيح، ٤/ ٤.

٢- جوزيف زيتون،(مدير جمعية القديس غريغوريوس الخيرية)، أعلام المسيحية، دمشق، جمعية القديس غريغوريوس، الخميس، ١٢/ ٥/ ٢٠١١ م، ٠٠: ١١ صباحاً.

تعالى،قال عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ (الروم/٢٢).وهذا الاختلاف لا يجوز أن يكون سبباً في التّنافر والعداوة، بل بالعكس يجب أن يكون سبباً للتّعارف والتّلاقي على الخير والمصلحة المشتركة، فالله تعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات/١٣) وميزان التّفاضل الّذي وضعه القرآن الكريم، إنّما هو ما يقدّمه هذا الإنسان من خيرٍ للإنسانيّة كلّها مع الإيمان الحقّ بالله تعالى، والآخرون الّذين لم ينتسبوا إلى مدرسة الإسلام، لم ينظر القرآن الكريم إليهم على أنّهم ليسوا بشراً، وإنّما نظر إليهم نظرة الطّبيب إلى المريض، فهؤلاء الآخرون عندما يرفضون دعوة الإسلام،لا يحاربهم دين الله عزّ وجلّ ولا يقاتلهم، لأنّه لا إكراه في الدّين، فنحن المسلمون عندما لا يريد الآخرون أن ينضمّوا إلى مدرسة الإسلام، فلنا الحرّيّة التّامّة في صلتهم، والعدل معهم، ومعاملتهم المعاملة الطّيّبة، بناءً على مبدأ الاحترام المتبادل، والعلاقات والمصالح المشتركة.

إنّ الحقيقة هي أنّ الإسلام لم يأت ليلغي الأديان السّماويّة السّابقة، وإنّما جاء مجدّداً ومتمّماً لها، فسيّدنا المسيح يقول: "ما جئت لأنقض، وإنّما جئت لأتمّم"[١]، وإلى هذا أشار النّبيّ ﷺ فقال: "إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلّا موضع لبنةٍ من زاوية، فجعل النّاس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلّا وضعت هذه اللّبنة؟ قال: فأنا اللّبنة، وأنا خاتم النّبيّين"[٢]. وهكذا لم يأت المسيح ليهدم رسالة موسى، ولم يأت محمّد ﷺ ليجرّد المسيح من رسالته، فكلّ نبيٍّ أتى مصدّقاً لما سبقه، والنّبيّ السّابق أتى ممهّداً لمن بعده، والقرآن الكريم هو مجمع الرّسالات السّماويّة ودعوةٌ للإيمان بكلّ أنبياء الله، لذا فإنّ المؤمن بالمسيح لا بدّ أن يعترف بمحمّدٍ كما جاء في القرآن الكريم، والمؤمن بمحمّدٍ لا بدّ أن يعترف بالمسيح كما جاء في القرآن الكريم أيضاً.

١- إنجيل متى، ج ٥، ص١٧.

٢- رواه مسلم، عن أبي هريرة، الجامع الصحيح، ٤ / ١٩٧١.

الحقيقة الّتي يجب إعلانها بوضوحٍ هي أنّ الإسلام احترم وجود الآخرين مطلقاً،وهم المخالفون له في الرّأي والاعتقاد، واعترف بكيانهم دائماً،سواءٌ أكانوا أفراداً أم دولاً،فقد جاء في سورة الفصل- أي الّتي فصلت بين المسلمين وغيرهم-قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون/٦)، والله تعالى يقول: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ...﴾ (المائدة/٤٢)، لقد فصل الله تعالى بذكر كلّ الآخرين، واعترافٌ بوجودهم المطلق، ولا سبيل معهم إلّا بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالّتي هي أحسن،والمعاملة القائمة على العدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج/١٧)، فالوشائج الّتي تربط المسلمين بغيرهم: أخوّةٌ إنسانيّةٌ يلتقي عليها المسلمون مع البشر كافّةً، سواءٌ أكانوا أصحاب دياناتٍ سماويّةٍ، أو مذاهب ومللٍ أرضيّةٍ، وإنّ الاتّفاق في الاعتقاد ليس شرطاً لاستمرار الوجود على ظهر الأرض في مجمل التّصوّر الإسلاميّ، وفي الوقت نفسه، إنّ الاختلاف في الاعتقاد لا يعني مطلقاً سببٌ في حدّ ذاته لإلغاء الوجود كلّه على وجه الأرض، وصدق الله تعالى حين قال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(فاطر/٤٦).

لقد سعى علماؤنا سعياً عمليّاً دؤوباً في تحقيق مبدأ الاعتراف بالآخر، إلى أن حقّق في ذلك الاعتراف بالإسلام والمسيحيّة كرسالتين سماويّتين من قبل رابطة الكنائس البروتستانتيّة في ألمانيا الدّيمقراطيّة، وأصدر عن ذلك بيانٌ مشتركٌ نصّ على الاعتراف بالرّسالتين السّماويّتين اللّتين نزلتا على عيسى رسول الله ومحمّد نبيّ الله، واللّتين تهدفان إلى سعادة الإنسان وسلامته.

٢ ــ من إشكاليات الاعتراف بالآخر (زواج المسلمة من مسيحي):

وفي هذا المجال تثار مشكلةٌ من قبل أخوتنا المسيحيّين وهي مشكلة عدم التّساوي بين الرّجل والمرأة في الزّواج في المجتمع المسلم - كما يرى الإخوة المسيحيّون - وإمكانيّة زواج المسلم من المسيحيّة دون العكس، إنّ مثل هذه المشكلة تؤدّي إلى نوعٍ من تقوقع بعض المسيحيّين داخل أحياء أو قرى خاصّةٍ بهم، كما هو الحال في بعض

المناطق السّوريّة، ويوصل كما يظنّ بعض المسيحيّين إلى نشوء عالمين: مسيحيٍّ ومسلمٍ، ولا يسمح بأيّ نوعٍ من الاختلاط الّذي يسمح بالتّعايش المشترك.

والردّ على ذلك: فإنّ الإسلام ما ألغى المسيحيّة، على العكس، الإسلام أقرّها واعترف بها، واعترف بعيسى عليه السّلام اعترافاً كاملاً لا نقاش فيه، واعترف بالدّين المسيحيّ بآياتٍ واضحةٍ وصريحةٍ، لا لبس فيها على الإطلاق، بل وأمرنا الإسلام أن نعامل المسيحيّين وأن نعيش معهم وأن نعترف بكلّ ما أنزل عليهم وعلى موسى وعلى عيسى عليه السّلام من البيّنات والآيات الواضحات، هذا أمرٌ منتهٍ بنصٍّ القرآن الكريم، لا نقاش فيه ولا لبس، أمّا موضوع الزّواج، فالزّواج علاقةٌ خاصّةٌ حميمةٌ لها قضاياها ولها أبعادها النّفسيّة والشّخصيّة والعقليّة والفكريّة، يجب ألّا نتحدّث عن الممارسات الّتي يمارسها بعض المسلمين فيما يخصّ علاقة الرّجل بالمرأة في الزّواج ثمّ نقول هذا هو الإسلام، الإسلام ليس كذلك، يجب أن نفرّق بين المبدأ والممارسة، فالممارسات الّتي تمارس في حياة الكثير من الأزواج المسلمين والمسيحيّين، هي مناقضةٌ ومنافيةٌ لمبادئ الإسلام وأخلاقه وتعاليم المسيحيّة وتسامحها، ومن باب التّشريع الحكيم لم يجز تعالى زواج المسيحيّ بمسلمةٍ، تحاشياً لحصول مثل هذه الممارسات[1]، فالإسلام أباح للمسلم أن يتزوّج من المسيحيّة أو اليهوديّة، لأنّها إذا دخلت بيت المسلم تجد عقيدتها مقدّسةً محترمةً من زوجها، وبذلك يكون استمرار هناء الأسرة مضموناً، ومنع الإسلام المسلمة أن تتزوّج من اليهوديّ أو المسيحيّ، خوفاً أن يسمعها الجرح أو الطّعن بمقدّساتها، وقد يوجب هذا انحلال الأسرة، وضياع الأولاد، وإذا كان المسيحيّ أو اليهوديّ آمن بمحمّدٍ وبرسالته، كما يؤمن المسلم بموسى ورسالته، وعيسى ورسالته فعند ذلك يكون لا مانع من الزّواج.

رابعاً: التسامح في الإسلام:

التّسامح في المفهوم الإسلاميّ: هو" أن يكون لكلّ فردٍ في الأمّة حقٌّ في أن يعتقد ما يراه حقّاً، وأن تكون له الحرّيّة في تأدية شعائر دينه كما يشاء، وأن يكون أهل

١- ينظر: أديب الخوري، إشكالية الاعتراف بالآخر، ص ٢٦٨.

الأديان المختلفة أمام قوانين الدّولة سواءٌ"[1]، وهذا التّعريف يضمن لكلّ أصحاب الدّيانات حرّيّة العيش في المجتمع الإسلاميّ دونما تفريقٍ بينهم وبين المسلمين.

١- المسيحية والتسامح الإسلامي:

شمل التّسامح الإسلاميّ مبادئ السّيّد المسيح بالذّات، بل قدّسها أيضاً وكرّمها في شخصيّة السّيّد المسيح، وشخصيّة أمّه وعائلتها، وذلك حين ذكر ميلادهما في هالةٍ من التّقديس الملائكيّ وأيضاً حين سمّى كبريات السّور القرآنيّة باسم مريم وعائلتها آل عمران، هذا إلى جانب أنّ القرآن الكريم وقف مناضلاً إلى جانبهما، مدافعاً عنهما محارباً أعداءهما، وأعداء رسالة سيّدنا عيسى السّماويّة.

لم يتسامح الإسلام مع المسيحيّة فحسب، بل لم يقبل من النّاس ليكونوا مسلمين إلّا أن يؤمنوا بالسّيّد المسيح وبموسى، وبكلّ أنبياء الكتاب المقدّس، فقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة/١٣٦).

ومن التّسامح الإسلاميّ، بل من جوهره أن أدخل جوهر تعاليم إنجيل المسيح، وتوراة موسى ووصاياهما، وتاريخ وحياة أنبياء التّوراة والإنجيل في قلب القرآن الكريم، وذكر فيه من معجزات عيسى عليه السّلام ما لم تذكر في الأناجيل الأربعة، قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ...﴾ (المائدة/٤٨)، أي ومحتوياً على الكتاب المقدّس من شرائع وتعاليم سماويّةٍ، لذلك نرى أنّ القرآن الكريم عندما يتحدّث عن العدل يقرّر أنّ العدل لكلّ النّاس بصرف النّظر عن عقائدهم وأجناسهم وألوانهم ومواطنهم، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ...﴾ (النساء/٥٨).

ليس هذا فقط، بل كانت وظائف الدّولة في العصور الإسلاميّة الأولى تعطى للمستحقّ الكفء بغضّ النّظر عن عقيدته ومذهبه، وهكذا كان كلّ إنسانٍ مسلماً أو غير مسلمٍ يملك أن يعيش في ربوع التّسامح الإسلاميّ مكفول الحرّيّة والعبادة، مكفول

١- محمد منير سعد الدين، الحوار والعيش المشترك في مجتمع متعدد، ص١١٥.

الحياة والمال، مكفول الرّزق والمعيشة-عاملاً أو عاجزاً عن العمل- ما دام خاضعاً للقوانين الّتي تنظّم حياة الجماعة.

هذا ويذكر أنّ هذا التّسامح لشيءٍ ذاتيٍّ من طبيعة الدّيانة الإسلاميّة ونزعتها الأخويّة الإنسانيّة، وهي كما مرّ توجب على المسلم أن يؤمن بالله وبرسله جميعاً، وأن يذكرهم بالإجلال والاحترام، وأن لا يتعرّض لأتباعهم بسوءٍ،وأن يكون معهم حسن المعاملة، رقيق الجانب، ليّن القول،يحسن جوارهم،ويحمي أماكن عبادتهم، ولا يجور عليهم بحكمٍ، ويصون كرامتهم وحياتهم كما تصان كرامة المسلمين وحياتهم، ولقد تجلّت هذه المعاني في الميدان العمليّ فترى أثر هذه المبادئ في نفوس المسلمين وحياتهم،وعلاقاتهم مع الآخرين، ونجد قصصاً حضاريّةً رائعةً تشهد على عظمة الإسلام في مجال التّسامح الدّينيّ،وعلى أنّه إنسانيّ النّزعة، عالميّ الأفق والهدف والرّسالة، وفي حياة الرّسول الكريم ﷺ وفي مسيرته وعمله، تجاه أهل الكتاب المقدّس ما يؤكّد هذه الحقيقة، فبعد هجرته ﷺ إلى المدينة المنوّرة كان أوّل ما عمله من شؤون الدّولة وفي ظلّ رسالة السّماء وتعاليمها أن أقام بينه وبين غير المسلمين من أهل الكتاب ميثاقاً تحترم فيه عقائدهم وتلتزم فيه الدّولة بحسن معاملتهم، وكما يعامل المسلمون (لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين)، فحينما جاء وفد نصارى الحبشة إلى المدينة أنزلهم رسول الله ﷺ في مسجده النّبويّ، وقام بنفسه على ضيافتهم، وكان ممّا قاله يومئذٍ: "إنّهم كانوا لأصحابنا لمكرمين، فأحبّ أن أكرمهم بنفسي"[1].

إنّ الإسلام لم يدع أهل الكتاب المقدّس في عزلةٍ اجتماعيّةٍ مكتفياً بحماية أرواحهم وأموالهم وحرّياتهم، كلّا بل فسح لهم في رحابه وبين أهله أن يعيشوا مواطنين محترمين تربط بينهم وبين المسلمين صلات المودّة والتّرابط الاجتماعيّ في ظلّ عواطف وطنيّةٍ نبيلةٍ.

إنّ المسيحيّين في الإسلام يعيشون — كما هو واقع في مجتمعاتنا - في جوٍّ اجتماعيٍّ طلقٍ، يشاركون المسلمين أفراحهم وحفلاتهم، ويشاركهم المسلمون كذلك

١- رواه أ- الصيداوي، عن أبي قتادة ﷺ، معجم الشيوخ، ١/ ٩٧.

ب- البيهقي، دلائل النبوة،٢ /١٨٤، تفرد به أبي طلحة بن زيد عن الأوزاعي، قال ابن أبي حاتم في علل الحديث:"أبي طلحة بن زيد ضعيف الحديث".

في هذه المناسبات، ويتمّ هذا التوادد الاجتماعيّ بينهم في ظلال القرآن، حيث يقول الله تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (المائدة: ٥).

٢- الرد على شبهة انتشار الإسلام بحدّ السيف:

عولج موضوع التّسامح في الإسلام في معرض الرّدّ على شبهة انتشار الإسلام بحدّ السّيف، وتوسّع آفاقه بالقتل وسفك الدّماء،بل لأنّ البعض تمادى وادّعى أنّ الإسلام اقترن بالقهر والإجبار وخنق الحرّيّات،حيث نجد بعض المفكّرين والسّاسة،وبعض رجال الدّين من غير المسلمين ساروا مع هذا خطأً دون أن يتبنّوا الحقيقة بأنفسهم، ويلاحقوها بجهدهم وسعيهم،علماً بأنّ أبسط قواعد المنهج السّليم في مثل هذه الأمور هي أن يحكم العاقل على الأشياء من خلال دراسته لها والتّمعّن فيها، وألّا يقرّ قراراً،أو يعتقد عقيدةً إلّا بعد إمعان النّظر فيها والبحث والتّمحيص، ولو أنّ النّاس التزموا قول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات/٦)، لما غابت عنهم حقائق الأمور ولما التبس عليهم صحيحها وباطلها حيث أنّ هذا النّداء موجّهٌ لكلّ مؤمنٍ حقيقيٍّ مهما كان دينه أو لونه أو جنسه.

وإذا كان التّوحيد سمةً من سمات الإسلام، ومعلماً من معالمه البارزة، فإنّ السّماحة والتّسامح الدّينيّ فيه من أبرز خصائصه وصفاته،حيث كان عملاً يمارس، ومنهجاً يسلك، وسنّة لا بدّ من اتّباعها، ويتجلّى هذا التّسامح الدّينيّ فيما يلي:

أوّلاً: لقد أكّد الإسلام وبشكلٍ واضحٍ أنّ النّاس جميعاً إنّما خلقوا من نفسٍ واحدةٍ،وأنّ الأصل البشريّ لأبناء البشريّة قاطبةً إنّما هو أصلٌ واحدٌ،قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء/١)، ومهما تفرّق النّاس بعد ذلك على أممٍ وقبائل وبلدانٍ وأجناسٍ فإنّما هو كتفرّق البيت الواحد، والأب واحدٌ والأمّ واحدةٌ.

ثانياً: إنّ الإسلام تمشّيا ً مع طبيعته العالميّة فقد احتضن الرّسالات والدّيانات السّماويّة الّتي نزلت قبله، وقرّر وبشكلٍ واضح مع وحدة الإله وحدة العقيدة ووحدة الدّين السّماويّ، ووحدة الدّين الّذي نزل به الرّسل جميعاً، يقول تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ... ﴾ (الشورى/١٣).

ثالثاً: لقد أعلن الإسلام أنّه برسالته السّماويّة ودعوته الرّبّانيّة إنّما يريد تكريم الإنسان وسعادته، وأنّ الرّسل جميعا ً قد جاؤوا برسالةٍ واحدةٍ هي عبادة الله وحده لاشريك له، وأنّ على المسلمين أن يؤمنوا بكلّ رسل الله وبرسالاتهم جميعاً، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة/١٣٦).

رابعاً: إنّ المتتبّع لسيرة النّبيّ محمّد ﷺ والدّارس للقرآن الكريم الّذي أنزله الله تعالى عليه، والمتتبّع لحياة أتباعه الّذين شيّدوا حضارةً بنيت على الحبّ والتّسامح والعدل والإخاء، إنّ هذا المتتبّع الدّارس لكلّ ذلك يرى إيمان النّاس بالإسلام كان عن طريق الرّضا والقناعة والتّفكّر،لا عن طريق القهر والإجبار والإكراه،انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ... ﴾ (البقرة/٢٥٦).

خامساً: لم يقبل الإسلام أن يتمتّع أتباعه وحدهم بحرّيّة العبادة، إنّما قرّر أيضا ً هذا الحقّ لكلّ أصحاب الدّيانات السّماويّة الأخرى، واعتبر أماكن عبادتهم محترمةً، و لم يكتف بذلك فحسب، بل وكلّف المسلمين أيضاً أن يدافعوا عن هذا الحقّ لهم وللجميع، وبذلك يثبت أنّ الإسلام نظامٌ عالميٌّ حرٌّ يمكن للجميع أن يعيشوا في ظلّه آمنين متمتّعين بحرّياتهم الدّينيّة، وعلى قدم المساواة مع جميع المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا... ﴾ (الحج /٤٠).

سادساً: يقرّر الإسلام وبكلّ وضوحٍ مبدأ المساواة بين النّاس فلا يجوز أن يستعلي عرقٌ على عرقٍ، ولا لونٌ على لونٍ، فالخلق كلّهم عيال الله، وأحبّهم إلى الله

أنفعهم لعياله، هكذا قال النّبيّ محمّد ﷺ، وقال تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ...﴾ (الحجرات/١٣).

سابعاً: من مظاهر التّسامح الدّينيّ في الإسلام أنّ اختلاف النّاس في أديانهم لا يعني أبدا ً أن يكون الحوار بينهم بأسلوب العنف،بل الإسلام يؤكّد على أن يحاور بعضهم بعضا ً بالحسنى وفي حدود الأدب والحكمة والرّفق، قال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...﴾ (العنكبوت/ ٤٦).

ثامناً: إنّ من التّسامح الإسلاميّ مع اليهود والنّصارى أبناء الكتاب المقدّس أنّ القرآن الكريم – وهو كتاب الله المنزل على سيّدنا محمّد– لم ينعتهم بالكفّار،بل ناداهم وسمّاهم بأروع أساليب الخطاب، وبأرقّ وأعذب العبارات في عشرات السّور من القرآن الكريم بقوله:" يا أهل الكتاب"، يعني يا أهل التّوراة والإنجيل،بل لقد أكّد القرآن الكريم تلك الحقيقة الواقعة بتقارب أبناء الدّيانتين الإسلاميّة والمسيحيّة بقوله تعالى: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ...﴾ (المائدة/٨٢).

خامساً: مولد السيد المسيح:

استند علماؤنا في شرحهم لموقف الإسلام من السّيّد المسيح بما أنزله تعالى في كتابه العزيز من قوله: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾(آل عمران/٤٢-٤٥).

ومن الملاحظ من حوارات علمائنا مع المسيحيّين تجنّبهم للمسائل العقدية، فلم يسجّل يوماً لهم حوارٌ طرح فيه موضوع الصّلب، أو صعود السّيّد المسيح، أو عقيدة التّثليث، ولعلّ ذلك من حكمتهم البالغة، لأنّ مثل هذه الموضوعات الشّائكة قد لا تجدي نفعاً في الحوار، بل على العكس، فإنّها قد تؤدّي إلى جدالٍ عقيمٍ ينعكس سلباً على العلاقة الإسلاميّة المسيحيّة، لقد انطلق السوريون في حوارهم المسيحيّ من مبدأ الالتقاء والتّقريب، فلم يتعرّضوا لموضوعات لا تخدم هذا الهدف، لذلك كان توجّههم في طرح موضوع السّيّد المسيح وطبيعته توجّه الحبّ والإجلال للمسيح عليه السّلام، أيّاً كانت طبيعته الألوهيّة أو النّاسوتيّة – حسب الطّرح المسيحيّ-.

لقد شرح علماؤنا من خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم ولادة السّيّد المسيح، مستعرضاً تكريم القرآن الكريم له ولعائلته، ونذكر قبساً من ذلك في معرض الاستدلال والتّبيان: "نحن المسلمين نؤمن بعيسى وبرسالته، ونقدّس أمّه مريم العذراء ونحبّها، لأنّ القرآن أمرنا بذلك والنّبيّ ﷺ علّمنا ذلك، ففي القرآن الكريم سورة آل عمران، وهي عائلة السّيّد المسيح، من هو عمران؟ هو والد مريم، قال تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ...﴾ (آل عمران/٣٥)، والمرأة هي أمّ مريم، وإطلاق اسم العائلة على السّورة يدلّ على التّكريم والتّعظيم والتّقدير.

وفي حين لم يذكر القرآن الكريم مولد سيّدنا محمّد ﷺ، ولا مولد أمّه، ولكنّه ذكر مولد أمّ المسيح سيّدتنا مريم، وسمّى أيضاً سورةً باسمها، ثمّ إنّه لم يذكر ولادة مريم وحسب، بل ذكر ولادة السّيّد المسيح، ولم يقف عند هذا وحسب، بل ذكر أيضاً من أنبياء التّوراة ولادة يحيى عليه السّلام، وذكر ولادة إسحاق أبي إسرائيل، وأبي أنبياء بني إسرائيل، ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾(الصافات/١١٢).

ونعود إلى ميلاد أمّ المسيح سيّدتنا مريم العذراء،في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (آل عمران/٣٥)، أي عندما شعرت أنّها حاملٌ نذرت أن يكون مولودها خادماً لبيت المقدس، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ...﴾، وكأنّها تعتذر من

ربّها لأنّها كانت تريد أن يكون المولود ذكراً ليكون أجدر للخدمة، لأنّ الذّكر في هذه الأوصاف بالخدمة أكثر من الأنثى،"... وإنّي سمّيتها مريم..."أي العابدة، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ (آل عمران/٣٦-٣٧)،أي كما رغبت امرأة عمران، تقبّل الله منها دعاءها ونذرها،وأنبت ابنتها مريم نباتاً حسناً، وكفل تربيتها نبيّ الله زكريّا،حتّى اعتزلت النّاس لتتفرّغ لعبادة الله ولتحيا الحياة الرّوحيّة، لتتعرّف على الله بفكرها وروحها وبنور بصيرتها، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ (مريم/١٦-١٧)، فاجأها سيّدنا جبريل بصورة شابٍّ من أجمل ما خلق الله عزّ وجلّ،﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ (مريم/ ١٨)، أنّ علامة التّقوى والنّور الإلهيّ ظاهرٌ على صورته،﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم/١٩-٢١).

كان عيسى عليه السّلام رحمةً، مطهّراً من العيوب والنّقائص والفواحش، ودليلاً للنّاس على ربّهم، وعلى قانون ربّهم وعلى شريعة ربّهم، ليسعدوا بها في الدّنيا والآخرة، وكان أمره مقضيّاً، حيث نفخ في صدرها روح الله فخلق الله منها الحمل بسيّدنا عيسى، فلمّا ظهر عليها أثر الحمل خافت من الظّهور أمام النّاس خشية الاتّهام، وكان ذلك هو الابتلاء، فلماذا حملت مريم بهذا الأسلوب؟ لماذا أراد الله ذلك؟

الجواب: لكي يعلّمنا الله أنّ الحياة طريق البلاء، ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء/ ٣٥)، وليعلّمنا الصمود والصّبر عند البلاء، وفي مراحل العناء والمرض والشّدّة وتسلّط العدوّ، وبشّر الصّابرين.

ثمّ أنّ مريم العذراء عندما ظهر حملها ابتعدت عن النّاس ومصاحبتهم، فحملته ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيداً عن النّاس ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (مريم/ ٢٣-٢٤)، إنّها الطّاهرة المتعبّدة النّاسكة الورعة التّقيّة موضع النّظر والمثل، مرّت ألفي سنةً وهي قدّيسةٌ ومقدّسةٌ، وأمّ نبيّ الله العذراء البتول.

ولد السّيّد المسيح وأتت به قومها تحمله، وتحمل معه معجزته الأولى، "هذه المعجزة لسيّدنا عيسى لم تذكر في الإنجيل، إضافةً إلى معجزةٍ أخرى لم يذكرها الإنجيل أيضاً وهي نزول المائدة من السّماء -القصّة المذكورة في سورة المائدة- وأيضاً معجزة خلق الطّير من الطّين بعد أن نفخ فيه بإذن الله، لم تذكر في الإنجيل، ولذا فإنّ المعجزات المذكورة في القرآن الكريم عن سيّدنا عيسى ضعف المعجزات الّتي ذكرت في الإنجيل، فالإنجيل الموجود في القرآن أكبر من الإنجيل المنفرد، ألا يوجب هذا على أبناء الدّيانتين العالميّين أن يتلاقيا ويتعارفا أنَّ كلّ ما قدّسه المسيح هو مقدّسٌ عندنا، لا يوجد ما يعاجز القرآن والإسلام إلّا لقاء الكفّ مع الكفّ الأخرى في وحدانيّة الله تعالى، إنّ عيسى عليه السّلام يقول: "وإنّ الحياة الحقيقيّة هي أن يعرفوك أنّك أنت الإله الحقيقيّ وحدك، ويعرفوا الّذي أرسلته يسوع المسيح"[1]، هذا الكلام معناه أن لا إله إلّا الله وأنّ عيسى رسول الله، أمّا بالنّسبة لنبوّة محمّدٍ ﷺ في الإنجيل؛ فقد ذكر أنّ اليهود أرسلوا وفداً إلى سيّدنا يحيى عليه السّلام، فسألوا سيّدنا يحيى: هل أنت المسيح؟ قال: لا، قالوا: أ أنت إيليا؟ قال: لا، قالوا: أ أنت النّبيّ المنتظر؟، قال: لا.

إذن النّبيّ المنتظر غير المسيح وغير النّبيّ إيليا، وغير النّبيّ يحيى عليهم السّلام، فالعالم المسيحيّ لو أقرّ بما في الإنجيل، ولو عرف الإسلام الحقيقيّ لآمن به، ولصار العالم أمّةً واحدةً لأنّ كلّ واحدٍ منّا يتمّم الآخر، لكنّنا بحاجةٍ إلى رجال علمٍ يكونون على مستوى من النّضج والحكمة والمعرفة[2].

- نظرة تحليلية:

ليس المقصود من إيراد النّصّ ذكر قصّة السّيّد المسيح، فهي معروفةٌ لكلّ قارئٍ للقرآن الكريم، سواءٌ أكان مسلماً أو مسيحيّاً، إنّما المقصود هو بيان الأسلوب الحكيم الّذي صيغ في بيان القصّة، والّذي لا يتعرّض لعقيدة المسيح بسوءٍ، بل هو دعوةٌ

١- إنجيل يوحنا، ج١٧، ص٣-٤.

٢- محمود كفتارو،محاضرات في الحوار الإسلامي المسيحي، ص١٤٤.

للمسيحيّين للإيمان بالسّيّد المسيح الحقّ، كما آمن به المسلمون من قبل،، لم يقل يوماً أحد علمائنا: المسيح ليس إلهاً بل مخلوق أو عقيدة الثّالوث عقيدةً خاطئةً، و لم يستخدم أحد عبارة: الإنجيل الحاليّ محرّفٌ، العبارات الّتي يستخدمها البعض من المحاورين الإسلاميّين، فلا يصلون إلى نتيجةٍ ترجى من ذاك الحوار، حتّى أنّه لم يتعرّض في أيّ حوارٍ – حسبما وصل إليه البحث – لموضوع الصّلب أو الرّفع، إنّما استخدم في جميع الحوارات ألطف وأحكم عباراتٍ تستخدم في الإقناع، ليس ذلك وحسب، بل هي عباراتٌ لا يستطيع مسيحيٌّ أن ينكرها، مثل قولهم: السّيّد المسيح رسول الله، فهذا لا ينكره مسيحيٌّ مؤمنٌ، أو قولهم: نحن المسلمون نؤمن بعيسى وبرسالته، ونقدّس أمّه مريم العذراء ونحبّها، لأنّ القرآن أمرنا بذلك والنّبيّ ﷺ علّمنا ذلك فمثل هذه العبارة كفيلةٌ أن تؤلّف قلب المسيحيّ حتّى ولو لم يكن يؤمن برسالة محمّدٍ ﷺ.

المبحث الثاني: الإسلام والحوار الديني:

إن الحوار الديني هو واجبٌ إسلاميٌّ، عملاً بقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ (آل عمران/٦٤)، والحوار هو قضيّةٌ جوهريّةٌ في الدّعوة الإسلاميّة اليوم، لأنّ هذا الحوار في حقيقته شكلٌ من أشكال الدّعوة إلى الله، فالنّبيّ ﷺ قد حاور المشركين، وحاور اليهود والنّصارى، وجلس معهم الجلسات الطّويلة يدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة،وعندما يمارس الدّعاة الحكماء الحوار الإسلاميّ المسيحيّ بالشّكل المطلوب، وبالمنهج الّذي رسمه القرآن، فيمكن لنا أن نستفيد فائدةً كبيرةً جدّاً، وهذه الفائدة تتلخّص في أنّنا نستطيع أن نوصل الإسلام إلى كلّ أبناء المسيحيّة في العالم من خلال الحوار، كما يمكن من خلال الحوار أن نحقّق التّفاهم والوحدة الوطنيّة في البلاد الّتي يعيش فيها المسلمون والمسيحيّون سويّةً، بحيث لا يتدخّل أصحاب المطامع لبثّ الفتن والفرقة بينهم.

١- قواعد هذا الحوار:

"الإسلام يحترم كلّ الأديان،ولا يسأل الإنسان عمّا يعتقد، فمن طرف الإسلام القضيّة منتهيةٌ، لكن لماذا لا يعرض الدّين على الطّرف الآخر؟ فإن شاء المعروض عليه أن

يقبل فله الحقّ، وإن شاء أن يرفض فله الحقّ أيضاً، أنّه لا إكراه في الدّين،والإسلام كلّه حوارٌ مع اليهود والنّصارى، ويلاحظ هذا في سورة المائدة وفي سورة آل عمران، هناك سورٌ متعدّدةٌ كلّها قائمةٌ على الحوار"[1].

بهذه الكلمات نرسي القاعدة الأساسيّة الّتي يبنى عليها الحوار الديني والّذي اعتمد فيها على مصادر أساسيّةٍ، هي:

١- القرآن الكريم: فإنّ معظمه حوارٌ محترمٌ بين سيّدنا محمّد والأنبياء من قبله، وبين شعوبهم المخالفين لهم في الدّين، فكان حواراً حرّاً أدبيّاً عقلانيّاً من قبل الأنبياء وعلى العكس من أبناء الدّيانات الأخرى، ولّما أضيفت السّلطة والقوّة إلى نبوّة محمّدٍ ﷺ نزل القرآن قائلاً ﴿لا إكراه في الدّين...﴾ (البقرة /٢٥٦).

٢- السّنّة، أي تطبيق النّبيّ ﷺ لحرّيّة الأديان والدّعوة إلى الحوار المحترم، في ظلال الحكم العقلانيّ، والبرهان الواضح للبحث عن الحقيقة، وعن السّعادة.

٣- التّاريخ الإسلاميّ، فقد كان الخلفاء الرّاشدون وعلماء المسلمين يعقدون النّدوات الدّينيّة، ويجري الحوار الحرّ - بكلّ ما في كلمة الحرّيّة من معنى - في الدّولة الأمويّة والعبّاسيّة فضلاً عمّا في القرآن والسّنّة.

وانطلاقاً من هذه الأصول يمكن أن نضع قواعد للجوامع المشتركة بيننا وبين المسيحيّين هذه القواعد هي:

القاعدة الأولى: الأصول الإيمانيّة الواحدة: حيث أنّ القرآن الكريم يؤكّد دائماً على أنّ جميع الرّسالات السّماويّة ودعوات الأنبياء عليهم السّلام قد صدرت من مشكاةٍ واحدةٍ ومنبعٍ واحدٍ، وهو الأصل السّماويّ لها، فكلّ الأنبياء والمرسلين أتوا بدينٍ واحدٍ سماويٍّ يهدف إلى إسعاد الإنسان في الدّنيا والآخرة – وهو دين الإسلام-، وهذا الدّين السّماويّ الواحد كانت تتغيّر شرائعه بحسب أوضاع الأمم والشّعوب إلّا أنّ أركان العقيدة ومفهومها هي ذاتها لا تتغيّر من دينٍ لآخر ومن نبيٍّ لآخر، ولذلك نقرأ في القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا

١- عماد نداف، الشيخ أحمد كفتارو يتحدث، ص١٠٧.

وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (الشورى/ ١٣)، ولذلك فإنّ الحقائق الإيمانيّة واحدةٌ عند جميع الأنبياء والمرسلين، وهي تتمثّل فيما يلي:

١- الإيمان بالله الواحد الأحد، خالق الكون، المتّصف بالكمال والمنزّه عن النّقص.

٢- الإيمان باليوم الآخر حيث الحساب والجزاء ثمّ الثّواب والعقاب.

٣- الإيمان بالملائكة الأطهار.

٤- الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين الّذين أتوا لهداية الخلق إلى الله تعالى بدءاً من آدم عليه السّلام وختماً بمحمّدٍ ﷺ.

٥- الإيمان بكلّ كتب ورسالات السّماء المنزلة على الأنبياء والمرسلين.

هذه الحقائق الّتي نطق بها القرآن الكريم نقرؤها واضحةً في أسفار اليهود والنّصارى حاليّاً، حيث جاء في إنجيل مرقس: "إنّ أوّل كلّ الوصايا الرّبّ إلهنا، الرّبّ واحدٌ، الله واحدٌ وليس آخر سواه"[١]، وجاء في إنجيل يوحنّا قول المسيح: "وهذه هي الحياة الأبديّة، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيّ وحدك، ويسوع المسيح الّذي أرسلته"[٢].

القاعدة الثّانية: تكريم السّيّد المسيح عليه السّلام وعائلته: فلقد كرّم القرآن الكريم السّيّد المسيح، ومنحه وأمّه البتول وعائلته الكريمة تكريماً وتبجيلاً عظيماً، وهذه الشّخصيّة الكريمة قد أوضح القرآن الكريم حقيقتها، وما اختصّها من تكريمٍ ومعجزاتٍ وفق ما يلي:

١- المسيح عيسى بن مريم هو بشرٌ مخلوقٌ وعبدٌ لله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝٢٩ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ (مريم / ٢٩-٣٠).

٢- المسيح في القرآن الكريم كان قدوةً صالحةً وأنموذجاً رائعاً للإيمان والعبادة والإخلاص لله تعالى، قال تعالى على لسانه: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝٣١ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم /٣٠).

١- إنجيل مرقس، ج ١٢، ص ١٢-٢٩.

٢- إنجيل يوحنا، ج ١٧، ص ٣-٤.

٣- مدح القرآن الكريم المسيح عليه السّلام بأنّه كلمة الله وروحٌ منه، فهذه هنا إضافة التّشريف والتّكريم بأنّ المسيح كلمة الله وروحه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء/١٧١).

٤- عيسى ابن مريم في القرآن الكريم نبيٌّ ورسولٌ من عند الله كغيره من الأنبياء والمرسلين دعا إلى توحيد الخالق، وتصحيح انحراف النّاس عن دينهم، وبعدهم عن شريعتهم، قال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ...﴾ (البقرة/٢٥٣).

٥- مدح القرآن الكريم الكتاب الّذي نزل على سيّدنا عيسى، وهو الإنجيل، ووصفه بأنّه الهدى والنّور والموعظة، فقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة/٤٦).

٦- ثمّ ذكر الله تعالى معجزات السّيّد المسيح في القرآن الكريم وهي سبعٌ: الكلام في المهد، إبراء الأكمه، إبراء الأبرص، إحياء الموتى، تصوير الطّين والنّفخ فيه فيصبح بإذن الله تعالى حيّاً،الإخبار عن بعض المغيّبات، نزول المائدة من السّماء، وهذه المعجزات لم تذكر كلّها في الأناجيل الحاليّة، فأيّ تكريمٍ منحه القرآن للسّيّد المسيح؟!

٧- لم يقتصر القرآن الكريم على مدح السّيّد المسيح وعائلته وكتابه، بل أيضاً مدح أتباعه من الحواريّين وسمّاهم الأنصار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ (الصف/١٤)، ووصف تعالى الحواريّين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد/٢٧).

القاعدة الثالثة: المثل الأخلاقية المشتركة:

حيث أنّ مصدر الدّيانات السّماويّة واحدٌ فلا بدّ أن تكون المثل والتّعاليم الأخلاقيّة واحدةٌ، ولذلك فإنّنا نجد قواعد أدبيّةٍ وقيماً أخلاقيّةٍ مشتركةٍ بين المسلمين والمسيحيّين، كلّها تسعى إلى لقاء الإنسان مع الإنسان تحت مظلّة الحبّ والتّعاون

والإخاء، ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة الأخلاقيّة الّتي نطق بها الإسلام وسبق أن تحدّث عنها المسيح عليه السّلام:

١- تكريم الإنسان ورحمته مطلقاً: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ (الحجرات/١٣). وفي الإنجيل على لسان السّيّد المسيح: طوبى للمساكين بالرّوح لأنّ لهم ملكوت السّماوات[١].

٢- نشر المحبّة والإحسان بين النّاس: قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (البقرة/١٩٥)، وفي حديث النّبيّ ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه"[٢]، وجاء في الإنجيل: "وصيّةٌ جديدةٌ أعطيكم إيّاها: أن تحبّوا بعضكم بعضاً"[٣].

٣- العفو والصّفح: وهو خلقٌ عظيمٌ حثّ عليه القرآن الكريم في مواضع شتّى، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت/٣٤)، وجاء في الإنجيل على لسان السّيّد المسيح: "سمعتم أنّه قيل: عينٌ بعينٍ وسنٌّ بسنٍّ، أمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشّرّ، بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً"[٤].

٤- ترك الفواحش والتزام العفاف والطّهر: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ (الإسراء/٣٢)، وجاء مقابلاً له في الإنجيل: "سمعتم أنّه قيل: لا تزن، وأمّا أنا فأقول لكم: إنّ كلّ من ينظر إلى امرأةٍ ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه"[٥].

٥- الأمانة:حيث قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾(المؤمنون/٤)، وعلى لسان السّيّد المسيح: "فإن قدّمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكّرت أنّ لأخيك شيئاً عليك فاترك هناك قربانك قدّام المذبح واذهب أوّلاً اصطلح مع أخيك وحينئذٍ تعال وقدّم قربانك"[٦].

---

١ - إنجيل متى، ج٥، ص٢.

٢- رواه البخاري، الجامع الصحيح، ١/ ١٤.

ب- مسلم،الجامع الصحيح،١/ ٤٩، عن أنس بن مالك ﷺ.

٣- إنجيل يوحنا، ج١٣، ص٣٤.

٤- إنجيل متى، ج٥، ص٣٨.

٥- إنجيل متى، ج٥، ص٢٧.

٦- إنجيل متى، ج٥، ص٢٣.

٦- حفظ اللّسان عن الآثام: قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (الإسراء/٥٣)، وجاء في الإنجيل: "من قال لأخيه: رقا ــ أي يا فارغ ــ ومن قال: يا أحمق يكون مستوجباً نار جهنّم"[١].

القاعدة الرابعة: السلام والأخوة الإنسانية:

وهذا أمرٌ واضحٌ جليٌّ في القرآن الكريم، وفي سنّة النّبيّ ﷺ، فلقد لخّص الله تعالى مهمّة رسوله ﷺ في كلماتٍ قليلةٍ واضحة، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء/١٠٧)، وهذه الرّحمة الّتي جعلها الله تعالى صفةً للنّبيّ ﷺ ليست رحمةً خاصّةً، بل هي رحمةٌ مطلقةٌ، رحمة الإنسان مطلق الإنسان بغضّ النّظر عن دينه ولونه ولسانه، ولذلك وضع النّبيّ ﷺ قاعدةً يجب أن تكون دستوراً للعلاقات بين الشّعوب، وذلك عندما قال: "الرّاحمون يرحمهم الرّحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السّماء"[٢]، ومثل هذه المنطلقات الإنسانيّة لنشر السّلام والأخوّة بين النّاس نجدها واضحةٌ جليّةٌ عند السّيّد المسيح عليه السّلام، فقد جاء في الإنجيل: "طوبى للمساكين بالرّوح لأنّ لهم ملكوت السّموات،طوبى للحزانى لأنّهم يتعزّون، طوبى للودعاء لأنّهم يرثون الأرض، طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ، لأنّهم يشبعون، طوبى للرحماء لأنّهم يرحمون، طوبى لصانعي السّلام لأنّهم أبناء الله يدعون"[٣].

بهذه القواعد حدّد علماء الإسلام ملامح الحوار الإسلاميّ المسيحيّ، بل كلّلوها بآداب التزموها في حوارهم، هذه الآداب هي ما سيتكلّم عنه فيما يلي:

٢- آداب هذا الحوار:

"حاور من خالفك بأدب، لأنّك من خلال اهتمامك برأيه يشعر بأنّك تحترمه، وهذا الشّعور يؤلّف جسراً يجعله قابلاً لكي يسمع منك"[٤].

لقد تبنّى علماء الإسلام هذا المبدأ في حوارهم مع المسيحيّين وأضافوا عليه آداباً أخرى تناسبت وحال الدّاعي الحكيم الحريص على مصالح أمّته وعالمه الإسلاميّ، من هذه الآداب:

١- إنجيل متى، ج٥، ص٢٢.

٢- رواه أبي داوود، السنن، عن عبد الله بن عمروﷺ، ٤/٢٨٥، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٣- إنجيل متى، ج٥، ص١-١٠.

٤- عدنان السقا، الحوار الهادئ، د.ب، د.د، د.ط، ٢٠٠٧م، ص٢٣.

١- التّعاون والتّعاضد في خدمة الإنسانية، وصرف الجهد والطّاقات الكبرى لقضاياها المصيريّة، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ (المائدة/٢).

٢- التّعاون فيما اتّفق عليه والتّناصح فيما اختلف فيه، والبعد عن المغالاة والتّطرّف والتّشدّد.

٣- لا خلاف في الأصول، والاختلاف في الفروع تنوّعٌ فكريٌّ فيه رحمةٌ للأمّة في كثيرٍ من الأحيان.

٤-المجادلة بالّتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ...﴾ (النحل/١٢٥).

٥- في الحوار ليس هناك حاكمٌ ومحكومٌ، أو قاضٍ ومتّهمٍ، بل جميع الأطراف في الحوار متساوون.

٦- إنّ خطاب الله تعالى مع خلقه هو خطاب الآمر النّاهي الّذي لا معقّب لأمره، ومع ذلك فقد ذكر الله تعالى صوراً متعدّدةً لحواره مع خلقه تبياناً لأهمّيّة الحوار في الوصول إلى المعرفة، الأمر الذي يجب أن يكون هدفاً لحوار أولاً وأخيراً.

هذه هي مبادئ الإسلام في الحوار الديني، وهي ليست على سبيل الحصر، فإن جهود علمائنا لا تتوقف في استنباط قواعد جديدة للحوار الديني متناسبة مع تطور الأحوال المجتمعية وغير متعارضة مع الأحكام الإجمالية للكتاب والسنة، وكما رعى إسلامنا أصحاب الديانات السماوية رعى من باب الأولى المسلمين المنتسبين لدين الإسلام، وأولى رعايته الخاصة للمرأة والطفل، فأعطاهما ما لم تعطه المنظمات الدولية من حقوق وامتيازات وهذا حديثنا في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

الفصل الرابع

الإسلام والمسلمون:

- الإسلام والتعدد المذهبي والطائفي.
- الإسلام والطفولة.
- الإسلام وحقوق المرأة.

المبحث الأول: الإسلام والتعدد المذهبي والطائفي:

نشأة المذاهب الفقهية الإسلامية:

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد وفيه مجمل أحكام الشريعة الإسلامية، وكان المصدر الأول للتشريع، وقد شرح عليه الصلاة والسلام هذه الأحكام في ما رواه للصحابة من السنة النبوية المطهرة، وكان الصحابة يسألونه فيما يستجد لهم من مسائل، وبعد أن انتقل النبي عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى بدأ الصحابة يتناقلون ما سمعوه من رسول الله من أحاديث ويدونوها فتكون المصدر الثاني من مصادر التشريع (السنة)، و مع تطور المجتمع الإنساني، وتوسع الفتوحات الإسلامية استجدت الكثير من المسائل التي تحتاج لحكم الشارع فيها فأصبح الصحابة والتابعين من بعدهم أمام خيارين:إما أن يجتمع الصحابة على رأي واحد للمسألة وكان ذلك مصدراً ثالثاً للتشريع (الإجماع)، أو أن يجتهد الواحد منهم في المسألة فيقيسها على مسألة أخرى ذكر النبي ﷺ حكمها، و ذلك المصدر الرابع (القياس).

وبالاعتماد على هذه المصادر الأربعة جمع أئمة العلم فيما بعد الأحكام الشرعية في مصنفات علمية حسب أولوية المصدر عند كل واحد منهم، إضافة إلى مصادر أخرى مختلف فيها (كالاستحسان و الاستصحاب، وسد الذرائع، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي)، فنشأت المذاهب الأربعة (الحنفية، المالكية، الشافعية، والحنبلية)، وسمي من اعتمد أي من هذه المذاهب الأربعة (أهل السنة والجماعة).

معنى المذاهب الفقهية[1]:

المذاهب الفقهية: هي الآراء الفقهية المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، وقد أتت حصيلة اختلاف الفقهاء في مسائل اجتهادية غير قطعية الثبوت أو الدلالة، في نطاق الأحكام السلوكية.

[1] – ينظر فقه الأزمة، منشورات وزارة الأوقاف السورية، ١ / ٢٢٠.

وهذا يعني أن في مصدري الكتاب والسنة، ما هو غير واضح الدلالة على المعنى المطلوب، بل يحمل في طيه أكثر من احتمال واحد. كما أن في السنة ما هو غير قطعي الثبوت، بل تطوف به احتمالات الصحة والحسن والضعف.

ثم إن هذا المعنى يوضح أن هذه الخلافات الفقهية التي هي مادة المذاهب الفقهية لا علاقة لها، من قريب أو بعيد، بالأصول الاعتقادية المتعلقة بحقيقة الكون والإنسان والحياة، أو بما يتفرع عن معرفة هذه الحقائق الثلاث، من سلسلة المعتقدات الإسلامية التي يتكون من مجموعها معنى الإيمان والإسلام.

ولكن، لماذا كان في النصوص الفقهية في القرآن والسنة، ما قد يحمل أكثر من دلالة واحدة، ومن ثم كان فيه مجال واسع للاجتهاد والاختلاف.

الحكمة من ذلك أن تأتي مجموع الشرائع السلوكية ذا وجوه وطرق متعددة في استيعاب حاجات الناس ومصالحهم مهما تنوعت هذه الحاجات والمصالح، ومهما تطورت مع تطور الأزمان، وقد غدت هذه الحكمة واضحة جلية من كثرة ما تناولتها الدراسات والأبحاث المتنوعة.

لقد تميزت الشريعة الإسلامية الغراء بأنها مكملة ومتممة للشرائع السماوية السابقة، ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة /٣) هذا الكمال وهذا التمام من شأنه أن جعل التشريع مناسب لكل زمان ومكان وهو أيضا أحد وجوه الإعجاز فيه، كما أن تنوع الأحكام الشرعية تحت مظلة مصادر التشريع (الكتاب والسنة والإجماع والقياس) التي استقى منها أئمة المذاهب قواعدهم جعلت في التشريع من المرونة والسهولة ما يمكن أي مكلف من تطبيق ما يناسب حاله منها دونما حرج أو ضيق أو تكليف فوق الاستطاعة.

يتضح مما ذكرناه في تعريف المذاهب الفقهية أن العامل الأساسي لها، وهو اختلاف الفقهاء، ينبغي أن يكون موجوداً في حياة المسلمين الفقهية منذ عصر النبوة، وهذا هو الواقع المعروف فعلاً، لقد كان الوحي هو الحاجز الوحيد الذي يمنع تسرب الخلاف إلى الصحابة في استنباط الأحكام الفقهية من بعض النصوص القرآنية، أو الأحاديث النبوية، حتى إذا صادف أن مرت بهم ظروف أحوجتهم إلى معرفة حكم من

الأحكام الشرعية التي لم يتضح وجه الدلالة عليها بيقين، وحيل بينهم وبين معرفته تلقياً عن رسول الله ﷺ، لجؤوا إلى إعمال النظر والاجتهاد في فهمه، حسب إمكاناتهم وقدراتهم العلمية، فربما اتفقوا وربما اختلفوا في الاجتهاد والفهم، والاختلاف هو الغالب. إذن فالعامل الأساسي في نشأة المذاهب، هو اختلاف الفقهاء في الأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة المحتملة، ولكن هذا الاختلاف إنما ينبع من فهم المصادر التشريعية فكل مستند إلى هذه المصادر، ويصب في مصلحة الأمة الإسلامية من قبيل الرحمة بها والتوسيع عليها في تقليد ما ناسب المقلد.

الحكمة من الخلاف المذهبي والفقهي:

إننا لا نرتاب على ضوء ما قد ذكرناه، في أن نشأة المذاهب الفقهية وتطورها وانتهاءها إلى الحال التي هي عليها الآن، كل ذلك كان خير حماية للوحدة الإسلامية من التصدع والشقاق.

وقد يبدو غريباً في أذهان بعض الناس أن تكون اختلافات المسلمين في فهم الشريعة الإسلامية تعميقاً لعوامل وحدتهم وحماية لها من عادية التفرق والعداوة.

إن هذا الاستغراب صحيح عندما يكون مآل الاختلاف أن ينسب كل فريق صاحبه إلى الآخر انحراف في الفهم والسلوك، أو إلى الوقوع في خطيئة لا تغتفر، غير أن الذي تبيّن لنا من معنى المذاهب الفقهية وعوامل نشأتها، أن الخلافات الفقهية التي تشكل العمود الفقري في تلك المذاهب، كانت خلافات تعاونية مسوغة، لا خصومات أو شقاقات فكرية مجرّمة، وإن أكبر دليل على ذلك أن أئمة المذاهب الأربعة تتلمذ أحدهم على يد الآخر فأخذ عنه وطور مذهبه، فالإمام الشافعي تتلمذ على يد الإمام مالك، وأحمد بن حنبل أخذ عن الشافعي. وكل حفظ عن أستاذه ما تعلمه و لم يقدح به يوماً، إنما كانت قاعدته كما جسدها الإمام الشافعي في قوله: " رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب. بل وأكثر، ففي كثير من المسائل كان أحدهم يعطي الحكم الشرعي، وتمر السنوات فيعود ليدرس المسألة ويجتهد فيها فيأخذ برأي الآخر.

ومعنى هذا أن نسيج الوحدة الاسلامية إنما تلاقت سداه ولحمته من هذه الخلافات التعاونية. إذ لولا الساحة التشريعية العريضة التي تكونت من مجموع الاجتهادات الفقهية المتعددة، لما أتيح للمساحات الإسلامية الشاسعة والمتنوعة، أن تتلاقى وتتلاحم تحت مظلة شرعة واحدة.

غير أن المذاهب الفقهية على الرغم من دورها الإيجابي، في ترسيخ بناء الشريعة الإسلامية، وتعميق دعائم الوحدة الإسلامية، خلال ما لا يقل عن خمسة قرون من عمر الشريعة الإسلامية، أصابتها، كأي شيء آخر آفات قلصت الكثير من آثارها الإيجابية، وكادت أن تحيل آثارها المفيدة الوحدوية إلى نتائج سلبية ضارة في كثير من الأحيان.

وتتلخص هذه الآفات في:

١- تأثير الاختلافات الاعتقادية والسياسية على المذاهب الفقهية.

٢- إخضاع ضوابط الرواية وعلم الجرح والتعديل (وهو علم قواعد دراسة الحديث الشريف و درجته لمعرفة ما إذا كان يؤخذ به أم لا) لتيار بعض المذاهب الاعتقادية والسياسية.

٣- تعصب أتباع المذاهب لمذاهبهم.

فلنفصل القول في كل من هذه الآفات بالقدر الذي تتعلق به الحاجة في هذا المقام.

أولاً: أثر الاختلافات الاعتقادية والسياسية على المذاهب الفقهية:

من المعلوم أن أكثر المذاهب الاعتقادية التي يعبر عنها بالفرق، بادت بعد أن انتشرت وسادت، فالمرجئة والجهمية والقدرية والمجسمة والحشوية، وحتى المعتزلة، ما كادت تعبر عن ذاتها وأفكارها بالجدل هنا وهناك حيناً من الوقت، حتى أخذت تضمحل ثم تذوب في تيار العقيدة الإسلامية الكبرى المتمثلة فيمن يُسمّونه بأهل السنة والجماعة.

وقد كانت جماعة الفقهاء والمحدثين والمشتغلين بالتفسير في الحجاز وبلاد الشام والعراق قد اعتزلوا الخصومات التي ارتفع أوارها بين تلك الفرق المبتدعة، ومضى كل منهم يعكف على ما تفرغ له من حديث أو فقه أو تفسير.

بوسعنا إذن أن نقول: إن هذه الفرق لم تترك خلال فترة هياجها أثراً سلبياً يذكر في علاقات المذاهب الفقهية بعضها ببعض.

إلا أنه من الممكن أن نلاحظ ظاهرتين تجسدان نوعاً واضحاً من التفاعل أو التأثير المتبادل بين بعض تلك الفرق الاعتيادية والمذاهب الفقهية، وبوسع الباحث أن يرى هذا التأثير ظاهرة إيجابية مفيدة، كما أن بوسعه أن يفسرها تفسيراً آخر مخالفاً.

الظاهرة الأولى: المذهب الإباضي، ونحن نعلم أن الإباضية هي الفرقة المتبقية من ست فرق تشكل جلّ من يسمون بالخوارج، أما الفرق الخمس الأخرى فقد تاب كثير منهم، ورجعوا عن ضلالتهم بحكمة سيدنا علي رضي الله عنه في محاورته لهم، واتساع صدره معهم، وقضى على سائرهم ممن أبى إلا التكفير والقتال.

وفرقة الإباضية هذه، أقل الخوارج شططاً وغلواً، وأكثرهم ورعاً والتزاماً. وقد كان المفروض أن تبقى أفكارهم الفقهية التي اختصوا بها، محصورة في النقاط المتعلقة بالأمور الاعتقادية الخاصة بهم. غير أنهم تجاوزوا ذلك إلى إقامة بنيان فقهي خاص بهم، وظهرت لهم المؤلفات بل الموسوعات الفقهية التي تعبر عن شخصية فقهية خاصة للفرقة الإباضية.

والراجح الذي تسكن إليه النفس أن فقهاء المذهب الإباضي، لو لم تكن أفكارهم الاعتقادية والسياسية قد شكلت منهم جماعة مستقلة، لكانوا اليوم تلامذة، بل فقهاء بارزين تتوازعهم المذاهب الفقهية الأربعة.

ولكن جذورهم الفكرية الاعتقادية، أبت عليهم إلا أن تكون لهم شخصية فقهية مستقلة هذا مع العلم بأن جل آرائهم الفقهية لا تخرج، لدى تمحيص النظر فيها عن دائرة المذاهب الأربعة.

الظاهرة الثانية: المذهب الشيعي الذي تفرعت عنه مذاهب فقهية متعددة، من أبرزها مذهب الإمامية، والزيدية، والهادوية... إلخ.

ولسنا الآن بصدد بيان الفروق القائمة بين هذه المذاهب التي تؤول بجملتها إلى مذهب واحد، ولكن الذي يهمنا في هذا الصدد أن نتساءل عن علاقة البنية الفكرية والعقائدية لمذهب الشيعة عموماً بالمنهج المقرر عندهم في الاجتهادات الفقهية..!

إن كلاً من الإمام محمد الباقر،وابنه جعفر الصادق، وزيد بن علي رضي الله عنهم جميعاً، من أبرز أئمة الفقه الشيعي اليوم. وما من مسألة فقهية في مذهب الشيعة إلا وتنسب إلى واحد من هؤلاء الأئمة الثلاثة.

غير أننا عندما نعود إلى أصول الاجتهاد الفقهي، المعتمدة عند هؤلاء الأئمة الأعلام، لا نجد أيّ فرق بينها وبين الأصول الاجتهادية المتبعة لدى سائر الفقهاء، لا سيما أئمة المذاهب الأربعة.

بل لقد كان بين هؤلاء الأئمة الثلاثة وأئمة المذاهب الأربعة، من التفاعل والتعاون ما يؤكد أنهم كانوا ينهلون من مصادر فقهية واحدة، ومن ثم فقد كانوا جماعة بل كتلة فقهية واحدة. ولقد لقي أبو حنيفة كلاً من زيد بن علي، ومحمد الباقر وجعفر الصادق فدارسهم وأخذ منهم. ووافقهم في حب آل البيت والتعلق بهم، ووافقوه في تقدير الخلفاء الثلاثة واحترامهم وعدم ذكرهم بأيّ سوء، ولقد لقي الإمام مالك إمام دار الهجرة جعفر الصادق رضي الله عنه وأخذ عنه وكان يذكره بأحسن ما يذكر طالب شيخه.

إذن، فقد كان المنهل الفقهي وأصول الاجتهاد عند هؤلاء جميعاً واحدة، وكانوا يتلاقون على خدمة الشريعة الإسلامية وتجلية أحكامها، أسرةً علمية وإسلامية واحدة.

فإن كان هناك عامل آخر، فهو إذن هذا العامل الثاني الذي سنتكلم عنه والذي يشكل في الوقت ذاته الآفة الثانية من الآفات التي لحقت المذاهب الفقهية.

ثانياً: إخضاع فن الرواية وعلم الجرح والتعديل:

وإنما اشترطها إخوتنا الشيعة في الأصل لصحة الإمامة، سواء منهم من يرى أن الإمامة محصورة في أولاد فاطمة رضي الله عنها بالنص عليهم واحداً إثر آخر، أو من يرى أن مساق الخلافة في أولادها ولكن باختيار الشيوخ ولهم على ذلك أدلتهم التي يسوقونها.

غير أن كثيراً منهم سحبوا هذا المنهج إلى فن الرواية والجرح والتعديل، فجعلوا من جملة شروط قبول الرواية أن يكون الراوي من آل البيت، ولعلهم إنما يشترطون ذلك تلمساً لمزية العصمة في الرواة،إذ لو لم يفترض انفراد آل البيت بها لما كان ثمة أي معنى لاشتراط كون الراوي من آل البيت.

إن اعتبار هذا الشرط، ووضع الشيعة له فيما بعد موضع التنفيذ، كان لا بدّ أن يفرد الشيعة بمنهج مستقل في فهم الحديث الصحيح، وشروط الأخذ به، ومن ثمّ فقد كان لا بدّ أن ينبثق لهم من ذلك فقه خاص بهم يعتمد على أحاديث خاصة بهم.

ونحن لا نريد هنا أن نناقش هذا الشرط الذي فرضوه في الأصل لصحة الإمامة غير أن نوضح أن أياً من أئمة آل البيت رضي الله عنهم وفي مقدمتهم أولئك الأعلام الثلاثة لم يقتصر في أخذه الحديث على آل البيت، بل روى عنهم وعن عامة الصحابة وعن كثير من التابعين، كإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن أبي رافع...!

ثالثاً: تعصب اتباع المذاهب لمذاهبهم:

نشأت هذه العصبية في القرون المتأخرة، ولعلها زادت واستشرت في أواخر عهد الخلافة العثمانية، إذ كان المذهب الحنفي هو المعتمد من قبل الدولة، ومن ثم فقد كان هو السائد في أكثر المناطق لنفوذ العثمانيين.

ومن الطبيعي أن ينشأ عن هذا التعصب ردود فعل من جنس المشكلة ذاتها لدى أتباع المذاهب الأخرى، وقد ظهرت ردود الفعل هذه في مظاهر متعددة.

فمنها اعتداد كل صاحب مذهب بمذهبه، إلى درجة الاستهانة والانتقاص من المذاهب الأخرى، وهكذا، فبعد أن كان الخلاف بين أئمة هذه المذاهب خلافاً تعاونياً كما قلنا، تحول الخلاف بين أتباعها في كثير من الأحيان إلى تنافس وتخاصم واتهام.

ومنها الركون إلى المماحكات والمجادلات المؤلمة والجارحة، في جزئيات فقهية مما وقع فيه الخلاف، كإسبال اليد وعدم إسبالها في الصلاة، وكالقنوت أو عدم القنوت في صلاة الفجر وكقضاء الصلاة الفائتة أو عدم قضائها، وكمشروعية أو عدم مشروعية

جلسة الاستراحة بعد الصلاة...إلخ، فبعد أن كانت هذه المسائل توضع في أماكنها من الاعتبار ضمن سلّم الأولويات، عند الأئمة والفقهاء السابقين، وكانوا يمرّون باجتهاداتهم عندها، دون أن يستشعر أحدهم بأيّ وقع لاختلافاتهم فيها، إلى درجة أن الإمام الشافعي أمسك عن القنوت في صلاة الصبح في مسجد أبي حنيفة ببغداد، ولما سئل عن ذلك قال: أدباً مع صاحب هذا القبر. أقول بعد أن كان هذا هو موقف الأئمة السابقين من هذه المسائل الجزئية، خلف من بعدهم خلف يتباهون بآرائهم الشخصية في هذه المسائل، ويجعلون منها عصيّ تأديب، واتهام لكل من خالفهم فيها، ولا يبالون أن يثيروا أخطر أنواع الشجار فيما بينهم، وربما داخل المساجد، لينتصر كل منهم لنفسه في ساحة هذه الجزئيات التي ليست لها أي أهمية في ترتيب سلّم الأولويات.

وواضح جداً لكل ذي وعي من الناس أن هذا الخصام الشديد الذي يمزق وحدة المسلمين إرباً، ليس انتصاراً لدين الله من خلال هذه الجزئيات الصغيرة التي يسع المسلم أن يتقرب إلى الله بفهمها على الوجه الذي يريد، بل يسعه أن لا يلتزم بها أصلاً، وإنما هو انتصار في الحقيقة للنفس على حساب مصلحة الدين، بل في مقابل القضاء على أقدس ما جاء الإسلام لتحقيقه ثم لحمايته، ألا وهو وحدة هذه الأمة وتضامنها.

ولعل هذه الظاهرة التي نعاني منها اليوم، هي أبلغ وأخطر ما قد وصلت إليه العصبية المذهبية، بل عصبية الاختلافات الفقهية عموماً، في حياة المسلمين.

وأخيراً: كيف نعالج هذه الآفات..؟

ليس فينا من يجهل القاعدة القائلة: إدراك المشكلة واليقين بأنها مشكلة يساوي نصف الطريق إلى حلّها.

إن إيماننا جميعاً بأن هذه الآفات الثلاث، هي فعلاً آفات خطيرة تقلب الآثار الإيجابية المفيدة للمذاهب الفقهية إلى آثار سلبية ضارة، يشكل أهم مراحل المعالجة لها.

ومحال، لمن أخلص لله عز وجل في علمه وسعيه، أن يتيه في هذه الساحة عن معرفة الحق أو أن يلتبس عليه الانتصار للنفس وكبريائها، بالانتصار لدين الله و اتباع مرضاته.

غير أن الإخلاص لدين الله سرّ يودعه الله كما قالوا قلب من أحب من عباده، فلا سبيل للحصول عليه يتصنع أو تكلف. إذن فما السبيل للحصول على هذا السرّ الرباني العظيم؟

السبيل هو أخذ النفس بمنهج تربوي جادّ ودائم، قوامه الإكثار من ذكر الله وربط النعم دائماً بالمنعم، فإن المسلم إذا استقام على استعمال هذا العلاج، تنامت محبة الله بين جوانحه وإنما ينبثق الإخلاص من هذا الحب.. وفي ضرام هذا الحب تنمحي حظوظ النفس وتذوب مشاعر الكبرياء، وتتجلى هذه الآفات على أنها فعلاً آفات.

وما أسهل حينئذ القفز فوقها، والعود إلى سنن الرشد الذي كان عليه السلف الصالح، إذ كان اختلافهم اختلافاً تعاونياً، يزيدهم ألفة وتضامناً وحباً.

الإسلام والفرق الإسلامية:

كانت نشأة المذاهب الفقهية بسبب الاختلاف في استنباط الأحكام الشرعية، وأما الفرق فقد كانت تعود إما لأسباب عقيدية متعلقة ببعض مسائل العقيدة، أو لأسباب سياسية مبنية على الاختلاف في قواعد اختيار الإمام، وموضوع الشورى وما إلى ذلك. الأمر الذي أدى بعد صراعات طويلة واندثار الكثير منها إلى وجود طوائف دينية أساسية ثلاث هي:

أولاً: السنّة: سموا "أهل السنّة" لاستمساكهم واتّباعهم لسُنة النّبيّ ﷺ، وسموا بالجماعة لأنّهم جماعة الإسلام الذين اجتمعوا على الحق و لم يتفرقوا في الدين، وتابعوا منهج أئمة الحق و لم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور العقيدة، أما عن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة:

- هي أصول الإسلام الذي هو عقيدة بلا فرق ولا طرق، ولذلك فإن قواعد وأصول أهل السنة والجماعة في مجال التلقي والاستدلال تمثل في الآتي:

- مصدر العقيدة هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح.

- كل ما ورد في القُرآن الكريم هو شرع للمسلمين، وكل ما صح من سنة رسول الله ﷺ وجب قبوله وإن كان آحاداً، أما عن المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة فقد أصبحت رسمية في معظم كتبهم هي حسب ظهورها: الحنفيّةُ، المالكيّةُ،

الشّافعيّة، الحنبليّة، وهذه المذاهب ماهي إلا مدارس فقهية، اتفقت في الأصول، واختلفت في الفروع، ولا يوجد بينها اختلاف في العقيدة، كما أن هناك مذاهب فقهيّة أخرى غير هذه الأربع لكنها لم تنتشر ويحصل لها الاشتهار مثل هذه المذاهب الأربعة، ولأهل السّنّة والجماعة منهجٌ شاملٌ في تزكية النّفوس وتهذيبها، وإصلاح القلوب وتطهيرها، لأنّ القلب عليه مدار إصلاح الجسد كلّه وذلك بأمورٍ منها:

١- إخلاص التّوحيد لله تعالى والبعد عن الشّرك والبدعة ممّا ينقص الإيمان أو ينقضه من أصله.

٢- التّعرّف على الله جلّ وعلا بفهم أسمائه الحسنى وصفاته العلا ومدارستها وتفهّم معانيها والعمل بمقتضياتها؛ لأنّها تورث النّفس الحبّ والخضوع والتّعظيم والخشية والإنابة والإجلال لله تعالى.

٣- طاعة الله ورسوله بأداء الفرائض والنّوافل كاملةً، مع العناية بالذّكر وتلاوة القرآن الكريم والصّلاة على النّبيّ ﷺ والصّيام وإيتاء الزّكاة وأداء الحجّ والعمرة وغير ذلك ممّا شرع الله تعالى.

٤- اجتناب المحرّمات والشّبهات مع البعد عن المكروهات.

وهذه الفئة هي الفئة الفعّالة في الدّعوة الإسلاميّة المعتدلة، والسّير بها على منهج النّبيّ ﷺ، وهي أيضاً الّتي تتصدّى لمهمّة التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة والحوار مع باقي الأديان، ورغم تعدّد الجماعات الإسلاميّة في مضمار الدّعوة والحوار، إلّا أنّ هناك مدارس كبرى على مستوى العالم العربي والإسلامي تقوم بهذه المهمة، منها مدرسة الشيخ العلامة بدر الدين الحسني، ومدرسة سماحة الشّيخ العلّامة أحمد كفتارو التي تعدّ من أهمّ المدارس الدّعويّة التي انطلقت من دمشق في القرن العشرين،وذلك لما تميّزت به دعوة هذه الجماعة من وسطيّةٍ واعتدالٍ، وجمعٍ بين العلم والتّزكية، ولما حقّقته من انتشارٍ عالميٍّ أوصل صوت الإسلام إلى أصقاع الأرض.

أولاً: الوهابية:

الوهّابيّة مصطلحٌ أطلق على حركةٍ إسلاميّةٍ سياسيّةٍ قامت في وسط شبه الجزيرة العربيّة في أواخر القرن الثّاني عشر الهجري، الموافق الثّامن عشر الميلادي١، جاءت دعوة الوهابية للمنهج السلفي بهدف ما تعتبره تنقية عقائد المسلمين والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام وتراها الوهابية مخالفةً لجوهر الإسلام التوحيدي، مثل التوسل بالقبور، والأولياء، والبدع بكافة أشكالها أو ما يطلق عليه بشكلٍ عام اسم بدعة. ويصفها أتباعها بأنها دعوةٌ إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرجوع إلى الإسلام الصافي وهو طريقة السلف الصالح في اتباع القرآن والسنة، أي عملياً عدم الاعتماد الكلي على المذاهب الفقهية السنية الأربعة والاعتماد المباشر على النص من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح وإجماع العلماء مدللين على ذلك بأقوالٍ للأئمة الأربعة، ولهم نشاطهم الدّعويّ القويّ، ويتّسمون بصورةٍ خاصّةٍ من التّحفّظ والتزام المظهر العامّ الّذي يدلّ عليهم، كتغطية الوجه بالنّسبة للمرأة واللّحية والعباءة القصيرة بالنّسبة للرجل ومنهم المقتصد ومنهم المغالي المتشدد، أما المعتدلون فيكتفون بالتمسك بالكتاب والسنة كمصادر للتشريع، وأما المتشددون فقد وصلوا في غلوهم إلى تكفير جميع الفرق الإسلامية الأخرى مما سواهم.

ثانياً: الشيعة:

تعود تسمية الشيعة إلى أتباع سيدنا علي كرم الله وجهه، ثم تفرقوا إلى فرقٍ واتخذوا لأنفسهم المذهب الفقهي الشيعي المعروف، وكلمة الشيعة مأخوذةٌ من (المشايعة) بمعنى المتابعة، وتسمى الشيعة بهذا الاسم لأنهم يشايعون علياً وأولاده الطاهرين، وهم يعتقدون بأن الرسول ﷺ عين من بعده لمقام الخلافة والإمامة اثني عشر خليفةً بأمر الله تعالى، هذا ولم يكن الشيعة عبر التاريخ على درجةٍ واحدةٍ، بل كان منهم المغالي والمقتصر، أما المغالون فقد بالغوا حتى ألهوا سيدنا علياً، وأما المقتصرون فقد اكتفوا بتفضيل سيدنا علي على من سواه من الصحابة، وهذا ما عليه أغلبية الشيعة في

١- كان ذلك على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ م - ١٧٩٢م) ومحمد بن سعود، حيث تحالفا لنشر الدعوة السلفية، ما نتج عنه من قيام الدولة السعودية الأولى.

زماننا الحاضر، يعتقد الشّيعة بأنّ الإسلام هو الدّين الحقّ، الّذي لا يقبل غيره، وأنّ الإسلام له أصولٌ وفروعٌ وأحكامٌ وأخلاقٌ.. وأنّ من أنكر الأصول كان كافراً ويعبّرون عن ذلك بـــ"المنكر للضروريّ"، ويعتقدون أنّ الرّسول ﷺ، وابنته فاطمة الزّهراء، والأئمّة الاثني عشر[1] معصومون، أمّا أصول الإسلام عندهم فهي عبارةٌ عن التّوحيد والنّبوّة والمعاد، ومن توابع التّوحيد العدل، ومن توابع النّبوّة الإمامة، وأمّا فروع الإسلام فهي: الصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وما يلحق بذلك من سائر أقسام العبادات مثل الوضوء والغسل والتّيمّم والاعتكاف وما أشبه، إلّا أنّهم يختلفون عن السّنّة في بعض المسائل كالإمامة، وزواج المتعة...ولهم مذهبهم الفقهي الخاص بهم.

ثالثاً: الموحّدون (الدروز):

الدروز قبائل عربيةٌ سكنت جبل العرب، ولقد كانت علاقة العقيدة الدرزية بالإسلام موضع البحث الدائم والتشكيك من قبل الباحثين والنقاد، تاريخياً انشقت الدرزية عن الفرقة الإسماعيلية بالأخص، أثناء الخلافة الفاطمية في القرن العاشر، إذاً تاريخياً تعود أصول الدرزية إلى أصولٍ إسلاميةٍ، حسب هذا الرأي،أما عقائدياً، فقد اختلفت آراء الباحثين حول الموضوع فهناك من لا يعتبرونها من الإسلام، ومن الباحثين من اعتبر الدرزية مذهباً من المذاهب الإسلامية، ومنهم من اعتبرها ديانةً مستقلةً بحد ذاتها حتى وصل الوضع إلى درجةٍ عاليةٍ من الضبابية حتى على أعلى المستويات، وفي الوقت نفسه تعتبر الطائفة الدرزية في سوريا مذهباً إسلامياً بالرغم من وجود الأحكام المذهبية الخاصة بها والتي يعامل أبناء هذه الطائفة وفقها معاملةً تختلف عن معاملة باقي الطوائف الإسلامية، يعتقد الموحّدون الدّروز أنّ الله واحدٌ أحدٌ لا إله إلّا هو ولا معبود سواه الواحد الأحد الفرد الصّمد المنزّه عن الأزواج والعدد، وهو الحاكم الفعليّ والأزليّ

١- الأئمة الاثنى عشر عند الشيعة هم: الإمام علي أمير المؤمنين ﷺ، الإمام الحسن ﷺ، الإمام الحسين، الإمام زين العابدين، الإمام محمد الباقر، الإمام جعفر الصادق، الإمام موسى الكاظم، الإمام علي الرضا، الإمام محمد التقي،الإمام علي الهادي، الإمام الحسن العسكري، الإمام الحجة المهدي، ينظر: محمد حمزة، نشأة الفرق الإسلامية، ص٣٣.

للكون، والغاية من علوم التّوحيد هو رفع البشر إلى منازل عاليةٍ، وهي تبدأ من مرحلة الموحّد وهي اتّباع حلال الحلال أي أفضله، ومبادئ التّوحيد: الفضائل العفّة والعدل والطّهارة ثمّ منزلة حرف الصّدق ثمّ منزلة الحدود ثمّ منزلة المؤانسة أو النّاسوت، وهي سعادة السّعادات وغاية الغايات من خلق النّفوس وهي جوهر التّوحيد - حسب فلسفتهم -.

الإسلام والصراع الطائفي:

الإسلام دين التوحيد، وقد جاء ليجمع كلمة الناس عامة على توحيد الله عز وجل، إلا أن هذا التوحيد لم يلغ التّعدُّديّة الثّقافيّة والحضاريّة التي تميّزت بها بلادُنا والتي أدّت إلى نُشُوء حضاراتٍ وتُراثاتٍ مُختلفةٍ ومُتنوّعةٍ غذّت الثّقافة الإنسانيّة بغنى عطائها وأصالة مُساهمتها. ولا تزالُ هذه التُّراثيّاتُ حيّةً تضيء ويستضاء بها، وتجدُ فيها حافزاً لمُواجهة التّحدّيات الثّقافيّة والحضاريّة الحاليّة.." -وكما هُو أصلٌ في الشّريعة الإسلاميّة - يرى أغلب المُعاصرُين أنّ التدين موقفٌ رُوحيٌّ قبل كُلّ شيءٍ، يتفكر فيه العبد ويتقرب من خلاله إلى ربه، فتسمُو نفسُهُ، ويطهُرُ قلبُهُ ووجدانُهُ، فينعكسُ ذلك على علاقته مع الآخرين أفراداً وجماعاتٍ، إنّ التَدين رُوحانيّةٌ تنقُلُنا من الاستبعاد إلى الاستيعاب، ومن الرّفض إلى القبُول، ومن التّصنيف إلى التّفهُّم، ومن التّشويه إلى الاحترام، ومن الإدانة إلى الرّحمة، ومن العداوة إلى الأُلفة، ومن التّنافُس إلى التّكامُل، ومن التّنافُر إلى التّلاقي، ومن الخُصُومة إلى الأُخُوّة وثقافة الحوار، الحوارُ مع الآخر الذي يعني معرفتهُ والتّعرُّف عليه والاعتراف به، معرفتهُ كما يعرفُ هُو نفسهُ، والتّعرُّف عليه بكامل شخصيّته، والاعتراف به كمُكملٍ لنا أكثر منهُ خصماً أو مُنافساً أو عدُوّاً، وذلك بعيداً عن الأفكار المُسبقة من أيّ نوعٍ كانت، وعن المصالح والأنانيّات أيضاً، وفي مثل هذه الأجواء يتحوّلُ الحوارُ إلى غنى مُتبادل من غير أن يتنازل أيٌّ من الطّرفين عن ذاته أو عن تُراثه أو عن شخصيّته أو عن كيانه.

هذا هو بالضبط المغزى والغاية من وجود الطوائف أو الفرق الدينية أياً كان التعبير،التكامل وإغناء الفكر، وليس الصراع والتنافر والتماس الأخطاء الذي يفضي إلى

التعصب والكراهية، لقد استغل أعداء المسلمين الجهل والتعصب المترسخين في أذهان ضعفاء الإيمان لإشعال نيران الفتنة بين طوائف المسلمين بحجة التكفير والخروج عن تعاليم الدين.

ونحن في هذا المقام لا نوجه الحديث لهؤلاء، إنما نحاكي ضمائر المسلمين الذين غُرِّروا بأحاديث التكفير، ألا يشهد أصحاب الفرق الإسلامية جميعها أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله؟ أليس ربنا واحد ونبينا واحد، ألم يجتهد صحابة رسول الله في عهده في الكثير من المسائل فأقرهم النبي ﷺ على اجتهادهم دونما ملامة، ألم يختلف صحابة رسول الله منذ لحظة وفاته على من يخلفه ﷺ فيهم،غير أن هذا الخلاف لم يودي بأحدهم أن يكفر أخاه أو أن يقدح فيه؟ وتحضرني رسالة هرقل ملك الروم إلى معاوية رضي الله عنه يعرض عليه مساعدته في أخذ الخلافة من علي، فكتب له:" علمنا بما وقع بينكم وبين علي بن أبي طالب، وإنا لنرى أنكم أحق منه بالخلافة، فلو أمرتني أرسلت لك جيشاً أوله عندك وآخره عندي يأتون إليك برأس علي "، فما كان جواب معاوية إلا أن أرسل له: " من معاوية بن أبي سفيان إلى هرقل كلب الروم، أخان تشاجرا فما بالك تدخل فيما بينهما؟ إن لم تخرس أرسلت إليك بجيش أوله عندك وآخره عندي يأتونني برأسك أقدمه لعلي ".

ويأتي الإمام البلخي سائلاً الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان عن الفقه الأكبر، فأجابه: " لا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا تنفي أحداً من الإيمان، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا توالي أحداً دون أحد" .

وتمر الأربعة عشر قرنا، بما فيها من فتن كقطع الليل المظلم، يقتل فيها المسلم أخاه المسلم دونما وجه حق، ودونما وعي أو تفكير في العودة إلى أصول الشريعة لحقن الدماء، ويأتي المجدد الرباني سماحة الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى ليسجل موقفاً تاريخيا يستحق المتأمل الوقوف عنده، عندما سأله أحدهم: هل أنت مع علي أم معاوية؟ فأجابه: أين علي الآن؟ وأين معاوية الآن؟ توفاهم الله منذ قرون، فما لنا ولهم؟ وأنا الآن أمدُّ لك يدي لأصافحك.

هذا هو ديننا وهذا هو إسلامنا، لا أحد ينكر أن الفرق الدينية أخذت منحى عقيدي وفقهي، إلا أن أسباب نشوءها كانت سياسية بحتة، ومعلوم أن السياسة لعبة تتغير بتغير المصالح والجهات، فمن مصلحة اللاعبين بمستقبل الأمم أن يثيروا التفرقة بين هذه الفرق حسب مصالحهم السياسية، مع أنها بمنحاها الفقهي والعقيدي تبعد كل البعد عن السياسة، وهذا ما أراد المجددون من علماؤنا ترسيخه في النفوس، لابد أن تعود الفرق الدينية أياً كانت لأصولها الشرعية التي تدعو بلا شك إلى التجمع والتوحد تحت الراية الكبرى، راية التوحيد، هذه الحقيقة الكبرى التي تعصم دماء جميع المسلمين، وتجعل من كل الاختلافات الفرعية باباً لإغناء الفكر الإسلامي وتوسعة لأتباعه، لا باباً للفتن وإراقة الدماء، حسبنا من المقال وصية نبينا محمد ﷺ:" إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ــ يوم النحر ــ في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلّالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه "[1].

المبحث الثاني: الإسلام والطفولة:

أقرّ زعماء العالم بحاجة أطفال العالم إلى اتفاقية خاصة بهم، لأنه غالبا ما يحتاج الأشخاص دون الثامنة عشر إلى رعاية خاصة وحماية لا يحتاجها الكبار لتمكين الطفل من التمتع بطفولة سعيدة ينعم فيها، ويكون محميا من جميع الجهات، ولديه الحقوق التي تؤمن له حياة سعيده، لخيره وخير المجتمع، واهم بنودها:

أولاً: يجب أن يتمتع الطفل بجميع الحقوق المقررة في هذا الإعلان. ولكل طفل بلا استثناء الحق في أن يتمتع بهذه الحقوق دون أي تفريق أو تمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين، أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الثروة، أو النسب أو أي وضع آخر يكون له أو لأسرته..

١ ــ رواه ابن ماجة، عن أبي سعيد الخدري صحيح ابن ماجة، رقم ٣١٩١، قال الألباني: حديث صحيح.

ثانيا: يجب أن يتمتع الطفل بحماية خاصة وأن تمنح له الفرص والتسهيلات اللازمة لنموه الجسمي والعقلي والخلقي والروحي والاجتماعي نموا طبيعيا سليما في جو من الحرية والكرامة.

ثالثا: للطفل منذ مولده حق في أن يكون له اسم وجنسية.

رابعا:يجب أن يتمتع الطفل بفوائد الضمان الاجتماعي وأن يكون مؤهلا للنمو الصحي السليم. وعلى هذه الغاية، يجب أن يحاط هو وأمه بالعناية والحماية الخاصتين اللازمتين قبل الوضع وبعده. وللطفل حق في قدر كاف من الغذاء والمأوى واللهو والخدمات الطبية.

خامسا:يجب أن يحاط الطفل المعاق جسميا أو عقليا أو المقصي اجتماعيا بالمعالجة والتربية والعناية الخاصة التي تقتضيها حالته.

سادسا:يحتاج الطفل لكي ينعم بشخصية سليمة إلى الحب والتفهم. ولذلك يجب أن تتم نشأته برعاية والديه وفي ظل مسؤوليتهما، في جو يسوده الحنان والأمن المعنوي والمادي فلا يجوز إلا في بعض الظروف، فصل الطفل الصغير عن أمه. ويجب على المجتمع والسلطات العامة تقديم عناية خاصة للأطفال المحرومين من الأسرة وأولئك المفتقرين إلي كفاف العيش.

سابعا: للطفل حق في تلقي التعليم، الذي يجب أن يكون مجانيا وإلزاميا، في مراحله الابتدائية علي الأقل، وتقع هذه المسؤولية بالدرجة الأولى على أبويه.

ثامناً: يجب أن يكون الطفل في جميع الظروف، بين أوائل المتمتعين بالحماية والإغاثة.

تاسعا: يجب أن يتمتع الطفل بالحماية من جميع صور الإهمال والقسوة والاستغلال.ولا يجوز استخدام الطفل قبل بلوغه سن الرشد. ويحظر في جميع الأحوال حمله على العمل أو تركه يعمل في أية مهنة أو صنعة تؤذي صحته، أو تعليمه أو تعرقل نموه الجسمي أو العقلي أو الخلقي.

عاشرا:يجب أن يحاط الطفل بالحماية من جميع الممارسات التي قد تضر به كالتمييز العنصري أو الديني أو أي شكل آخر من أشكال التمييز، وأن يربى على روح التفهم والتسامح، والصداقة بين الشعوب، والسلم والأخوة العالمية.

وبينما اشتغلت المنظمات العالمية الحديثة بالتوصية بالطفولة، ووضعت القوانين والقواعد التي تضمن للأطفال حقوقهم الكاملة منذ الولادة وحتى وصولهم إلى سن الرشد، كان للإسلام شأنه مع الطفولة شأنه مع كل شيء في الحياة، حيث فصل في حقوقها منذ نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ، بل سبق التشريع الإلهي كل تلك المنظمات بما أعطى للأطفال من أولوية و أهمية وتكريم. وتفصيل ذلك فيما يلي:

١- أمر الإسلام - وقبل كل شيء - كل من الأبوين أن يحسن اختيار الآخر. وذلك لكي ينشأ الطفل في ظل والدين صالحين مؤمنين عالمين بأحكام الشريعة وأسس التربية الإسلامية، يحسنا تربية الطفل اللذان سينجبانه إلى الحياة الدنيا. في ذلك ورد حديث النبي ﷺ: إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه١. وقوله ﷺ: تنكح المرأة لأربع: لدينها ولجمالها ولحسبها ولمالها فاظفر بذات الدين تربت يداك [٢]. وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حق الطفل على أبويه فأجاب: أن يحسن اختيار أمه واسمه، وأن يعلمه القرآن.

٢- أن يحسن اختيار اسمه، وقد ورد في الحديث النبوي الشريف: حق الولد على والده أن يحسن اختيار اسمه وأن يحسن تأديبه ٣، واختيار الاسم مهم جداً في حياة الطفل، فهو أول شيء يحمله الإنسان معه عند ولادته، وينادى به طوال عمره، ويبقى معه حتى يدخل قبره، ضف إلى ذلك ما ذكر: أنَّ لكل امرء نصيب من اسمه، الأمر الذي أثبته علم الأسماء والصفات، فعندما يحسن الأبوين تسمية طفلهما إنما يساهمان في المستقبل في بناء أخلاق وصفات ابنهما النفسية، ومهاراته الشخصية، وهو مما اعتنى به الإسلام في حقوق الأطفال.

---

١ ــ رواه ابن ماجة، عن أبي هريرة، صحيح ابن ماجة، رقم ١٦١٤، حسنه الألباني.

٢ ــ رواه البخاري عن أبي هريرة، الجامع الصحيح، رقم ٥٩٠٠.

٣ ــ رواه البيهقي، شعب الإيمان، عن عبد الله بن عباس، ٢٨٩٩/٦، فيه محمد بن الفضل ضعيف.

٣- حق التربية والتعليم، وهو الذي عبر عنه الحديث النبوي الشريف " وأن يحسن أدبه"، وقول سيدنا عمر رضي الله عنه: " وأن يعلمه القرآن "، فإحسان الأدب رأس التربية، والقرآن الكريم شمل علوم الأولين والآخرين فتعليمه هو تعليم شامل لمختلف العلوم الدينية والدنيوية، وهذا طبعاً لا يتنافى مع تعليم العلوم الحديثة لأن الإسلام حث على طلب العلم أيا كان فرعه، وكفى بنا أن اول آية نزلت في القرآن الكريم ﴿ اقرأ... ﴾، والقراءة مفتاح التعلم.

٤- التربية بالحب: وهي أعلى مرتبة وأمضى أثراً وأحسن نتيجة من سائر أنواع التربية، ومن مارس مع أبنائه التربية بالحب حصد فيهم اللحمة واللطف والعطف والإحسان إلى الآخرين، ويؤكد دارسي علم النفس أن الحاجة للحب واحد من الحاجات النفسية للإنسان، ويترك عدم إشباعها أثراً خطيراً يظهر في سلوك المرء وتصرفاته، وأما وسائل التربية بالحب فهي: كلمة الحب، ابتسامة الحب، لقمة الحب، نظرة الحب، قبلة الحب، لمسة الحب، دثار الحب، ضمة الحب.

وكلٌ قد أمر به الشارع الحكيم من خلال الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة: ولقد صورت السيرة النبوية العطرة أروع الصور من المحبة والرحمة في معاملة الأطفال، فها هو نبي الأمة ﷺ يحمل حفيديه الحسن والحسين ويصعدهم على صدره وهو يدندن لهم بعبارات التدليل، وها هو يقبل الأطفال فإذا بأحد صحابته يسأله: أتقبل الأطفال؟ إن لي عشرة أطفال ما قبلت أحدهم يوماً قط، فكان جوابه عليه الصلاة والسلام: من لا يرحم لا يرحم "[1].

ومن التربية الإسلامية: الإحسان وحسن الصحبة، والمعاملة بالرحمة والمحبة والرأفة واللطف، من خلال تقديم الهدية للطفل، و المسح على الرأس، وإشاعة الألقاب المحببة لدى الأطفال، واللعب معهم أيضاً، و مدح الطفل في السر والعلن، والمساعدة في حسن اختيار الأصدقاء.

٥- من حفظ حقوق الأطفال في الإسلام تقديم القدوة الحسنة: فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ...﴾

---

١ ــ رواه البخاري، عن أبي هريرة، الجامع الصحيح، رقم ٥٩٩٧.

(الأحزاب/٢١)، والقدوة الحسنة مهمة جداً في حياة الطفل، والأهم أن يعي الطفل فكرة أن القدوة الحسنة هي قدوة نسبية، وليست مطلقة، لأن القدوة المطلقة للنبي ﷺ فقط، أما البشر فهم قدوة بشكل نسبي، فكل بني آدم خطاء، ومهما بلغ المؤمن من درجات الكمال لا يخرج عن هذه الدائرة، فليس من المهم أن أقدم نفسي لأبنائي على أنني قدوة بقدر ماهو مهم أن أعلمهم أن القدوة ممكن أن يخطئ ولكن حتى يبقى قدوة يجب أن يعود عن الخطأ بالتوبة والاعتذار، فالتوبة سلوك شرعي، والاعتذار ثقافة اجتماعية، كلاهما يدعو إليهما ديننا الحنيف.

هذا شيء مقتضب من حقوق الطفل في الإسلام، وما هو إلا عناوين عريضة يندرج تحتها نقاط كثيرة فصل فيها أهل العلم والاختصاص، ومن عناية الإسلام بالطفل عنايته أيضاً باليد التي تربي الطفل والقلب الذي يحتويه، إنها المرأة، وسندرس فيما يأتي نظرة الإسلام إلى المرأة وحقوقها وواجباتها في تشريعاته.

المبحث الثالث: الإسلام وحقوق المرأة [١]:

من خلال دراسة وضع المرأة في العالم القديم قبل الإسلام بما في ذلك المرأة العربية نستنتج هاتين النتيجتين:

أولاً: أنّ الأخطاء التي ارتُكبت في حق المرأة في تلك العصور إنما تنبثق جميعُها من خطأ واحد، هو أن إنسانيتها لم تكن محل اعتبار لدى الرجل، إما لأنهم أنكروا إنسانيتها أصلاً، أو لإحساسهم أن مهمات المرأة في الحياة لا تقتضيها دوراً أساسياً تسهم به في المحيط العام.

ثانياً: أن كلّ ما نالته المرأة في الأمم والحضارات من مكانة مُرضية، لم يكن عامّاً، وإنما اقتصر على فئات وطبقات معينة، و لم يكن أمراً شرعياً تعترف به الدولة والأمة، بل كانت تناله بباعث من بواعث العاطفة في بعض الأحيان، أو كمطلب من

[١]- ينظر: المرأة في الإسلام، المنهج الموحد، الجمهورية العربية السورية، وزارة الأوقاف، منشورات الدعوة النسائية، الجزء الثامن، ص ٨ وما بعدها.

مطالب المتعة والوجاهة الاجتماعية في عصر الترف والبذخ الذي تنتهي إليه الحضارات الكبرى في أحيان أخرى.

أمّا المكانة التي تحسب من عمل الآداب والشرائع أو الحضارات، فقد كانت معدومة في عصور الحضارة الأولى جميعاً، ما خلا حضارةً واحدة هي الحضارة المصرية فقد خوّلت المرأة حقوقاً شرعية قريبة من حقوق الرجل، فكان لها أن تملك وأن ترِث وأن تتولى أمر أسرتها في غياب من يعولها، وهي حقوق كانت تضطرب باضطراب الدولة، وتعود مع عودة الطمأنينة إليها.

بيد أن الحضارة المصرية زالت وزالت معها شرائعها قبل عصر الإسلام ومنذ استولى الرومان على مصر والشرق الأوسط عامة واشتد ظلمهم، انتشر في مصر وغيرها من أقطاره موجة من كراهية المرأة، وانتهى بهم ردّ الفعل بعد سقوط الدولة الرومانية بما انغمست فيه من ترف وفساد إلى الإيمان بنجاسة الجسد ونجاسة المرأة.

ويبدأ إحسان الإسلام إلى المرأة وإنقاذه إياها من حيث انبثقت المظالم والمهانات التي تعرضت لها في الأمم التي لم تستظل بالإسلام بلا استثناء، ونعني بذلك قضية (إنسانيتها)، فعلى حين رأينا أن إنسانية المرأة لم تكن محل اعتبار لدى الرجل في تلك الأمم، إما لجحودهم تلك الصفة فيها، وإما لاعتقادهم بأن مهمات المرأة لا تخوّلها دوراً أساسياً تسهم به في المحيط العام، نزل الإسلام في جزيرة العرب ليرفع منزلة المرأة من ذلك الدَّرْك الهابط إلى ذلك المستوى الرفيع العالي الكريم، انطلاقاً من تكريم الإسلام لبني آدم أجمع، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء/٧) ومن نظرته إلى الحياة الإنسانية، وإلى طبيعة الإنسان، كان ذلك الارتفاع الذي لم تعرفه البشرية إلا من ذلك المصدر الكريم.

وأوّل فضل الإسلام على المرأة وتكريمه لها تقريره مشاركتها الرجل في أخوّة النسب الإنساني من جهة، وفي وحدة المعنى الإنساني من جهة أخرى على النحو التالي:

فهي أخت الرجل إذ تنسب وإياه إلى أب واحد وأمّ واحدة، وذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات / ١٣)، ولفظ (الناس) في اللغة يشمل أفراد الإنسان كافة رجالاً ونساء، فهو على هذا يقرّر الأخوة، أخوة النسب بين الرجل والمرأة، فكل منهما شقيق

للآخر كما يصرح بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: "...إنما النساء شقائق الرجال "[1]، وأخوة النسب على هذا النحو تقتضي (المساواة) إذ لا يكون أحد الشقيقين أوفر حظاً في النسبة إلى أبويه من الآخر، فالمرأة على هذا مساوية للرجل في النسبة إلى الأبوين لا تزيد فيها عنه ولا تنقص.

وهي إنسانة مثله مساوية له في معنى الإنسانية وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء/١)، فقوله سبحانه: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ فيه دلالة على النسبة الروحية أوضحُ وأوكد من دلالته على أخوة النسب الحسّيَّ الذي لا بدّ فيه من نفسين اثنين لا نفسٍ واحدة، لا سيما أن النفس في اللغة تدل على الروح، وعلى الصفات المعنوية للمرء، ولا تقتصر دلالتها على شخص الإنسان الظاهر للحس.

ثم يأتي قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ليسهم مع سابقه في توكيد الدلالة على وحدة المعنى الإنساني، ذلك أن الجملة السابقة ترد الجميع إلى نفس واحدة هي نفس آدم عليه السلام، أما هذه الجملة فتنفرد بتقرير نسبة الزوجة أمّ الجميع حوّاء إلى نفس المصدر الروحي الذي نسب إليه بنوها، فالأبناء وأمهم معهم داخلون في التقويم الإنساني المستمد من خصائص تلك النفس الواحدة.

ولعل ما يتكرر في القرآن الكريم من الإشارة إلى هذا التماثل بوجهيه السابقين إنما هو من أجل استئصال الشعور الراسخ باستصغار المرأة في نفوس بعض العرب، وتلك واحدة من مفاخر الإسلام في فترة كانت تنعقد فيها مؤتمرات بعض الأديان لتبحث في المرأة: هل هي إنسان أم غير إنسان، وفي أمم أخرى كانوا يظنون أن إله الخير خلق الرجل وإله الشر خلق المرأة.

وعلى أساس ذلك التماثل في الإنسانية الذي قرره الإسلام بين الرجل والمرأة، وترجمة له وتثبيتاً لجذوره في نفوس الناس إلى يوم القيامة، أعلن الإسلام:

---

[1] ــ رواه أبو داوود، عن عائشة، رقم ٢٣٦، وسكت عنه.

أولاً: مبادئ كرّم بها الإسلام المرأة: وأهمها:

١-أنه دفع عنها اللعنة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئة منها وحدها. قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة/ ٣٦) وقال في توبتهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الأعراف/٢٣) بل قرّر إعفاء المرأة من مسؤولية أمّها حواء، وهو أمر يشمل الرجل والمرأة على السواء. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة/١٣٤) .

٢-حارب الإسلام فكرة أن المرأة عالة يحسن التخلص منها وهي وليدة، فحارب عادة الوأد التي كانت معروفة في حياة بعض القبائل العربية حرباً لا هوادة فيها، وعالج تلك العادة بنفس الروح التكريمية الخالصة التي ينظر بها الإسلام إلى البشر عامة قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء/٣١) وهنا أزال خوف الوالدين من الفقر على أرزاقهم، وقدم رزق الأولاد في هذه الآية، لأنهم سبب الخشية من الإملاق ليملأ صدور الآباء ثقة برزق الله وكفالته للأولاد قبل الآباء.

٣-ثم استجاش وجدان العدل والرحمة وهو يقول عن يوم القيامة: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير/٨-٩) فجعل هذا موضع سؤال استنكاري بارز ظاهر في ذلك اليوم الرهيب، وقرع الوائدين فقال سبحانه: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام /١٤٠) .

٤-أيضاً: حارب كرهها والتشاؤم بمولدها، حتى صرح أنها بشارة عظمى، وذلك في الآية التي قرع فيها الله سبحانه المتطيرين بمولدها قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل/ ٥٨-٥٩) وقد شرح رسول الله ﷺ هذه البشرى شرحاً تطبيقياً عملياً يفيض بالحنان والعاطفة عندما قال ﷺ: " من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى"[1]، ونسمع قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ (الشورى/ ٤٩) فنرى كيف بدأ بالإناث قبل الذكور.

---

[1] ــ رواه الزرقاني، عن واثلة بن الأسقع، مختصر المقاصد، رقم ١١٠٢.

٥-كما حرم سبيها مذ حرم الغزو أصلاً و سوَّى بين دمها ودم الرجل، فصار يُقتل قاتلها، و لم يكن الأمر كذلك ، و حمى سمعتها من أقاويل السوء حين شرع حداً قاسياً على ضربين مادي ومعنوي لمن يتهمها بالزنى قال تعالى: ﴿ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (النور/٤) .

٦-أيضاً: حرم استئثار الرجل دونها بالمهر، وجعله حقاً خالصاً لها، وجدد تعدد الزوجات وقيده بقيود كفيلة بالقضاء عليه، وكان قبل بلا حدّ ولا قيد.

٧-كما حرَّم ما كان معروفاً في الجاهلية من إكراه الفتيات على البغاء، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾ (النور/٣٣).

٨-أما الأم فقد ورد تعظيمها في الشرع مع الإرشاد إلى مقام عظيم مقدر لها، لتأديتها أجلِّ الأعمال للحياة الإنسانية عامة ولولدها خاصة، فهي مع الوالد سبب في مجيء إنسان ينعم بما في هذا الكون من مغانم معرفة الله تعالى وعبادته، لذلك جاء الإحسان إليهما مقارناً للإيمان به تعالى والأمر بعبادته ﴿ ۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ (الأنعام/١٥)، بل جاء وجوب الشكر على تلك النعمة مقارناً لوجوب شكره تعالى ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (لقمان/١٤)، وبذلك يلحظ المسلم كيف أسبغ الله سبحانه على مكانة الوالدين صبغة القداسة والمسارعة إلى مرضاتهما فبرهما فريضة واجبة على الأبناء.

وإذا كانت الآيات هنا توضح مقاماً من التعظيم يشترك فيه الأب والأم فإن الآيات التالية توضح إفراد الأم بسهم آخر من التعظيم لمقامين خاصين بها دون الأب:

أولهما: الحمل والفصال قال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ (لقمان/١٤)، وليس يخفى ما في الحمل والرضاع على أحد.

ثانيهما: مقامها في (قانون الأمومة) الذي هو استعداد روحي تنفرد به الأم دون الأب، وبوساطته يُحيي الله في إنسانية الولد ملكةً تجعل صلته بأبويه صادقة التعظيم لهما، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم

بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (النحل/٧٢)، وفي الحفد معنى الخفة في العمل والإسراع والخدمة والتعظيم فالحفدة هم الأولاد الذين يجدون في أنفسهم من الولاء والتعظيم لوالديهم ما يحبب إليهم خدمتهم والمبادرة لطاعتهم ومرضاتهم طاعة وتقرباً إلى الله سبحانه، لقوله جل وعلا: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء/٢٣-٢٤).

٩-وأما تكريمها بنتاً لا تزال تحت وصاية أبويها أو أوليائها، فيتمثل في تحريم وأدها كما ذكرنا وفي مثل وصايا الرسول ﷺ إذ يقول: " من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن فقال رجل: أو اثنتان يا رسول الله؟ قال: أو اثنتان فقال رجل: أو واحدة يا رسول الله؟ قال: أو واحدة " [١] وقوله ﷺ: "مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا قَالَ: يَعْنِي الذُّكُورَ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ "[٢] من أجل هذا يغدو شعور المرأة بأنها غير مرغوب فيها، آخر أمر يجوز أن يطوف في خلد المرأة المسلمة ولولا اختفاء جوهر الدين وراء التقاليد لما بقي لهذا الشعور حتى الآن محل في المجتمع الإسلامي.

١٠-وأما تكريمها زوجاً، فما أظنّ أنَّ هناك منزلة للزوجة أسمى إنسانية من منزلة رفعها إليها الإسلام، وصحح بها النظرة المعكوسة التي كانت عند الجاهليين. اقرأ إن شئت قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم/٢١) ولا ينسى المسلم قوله ﷺ: " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[٣]، أو قوله: " الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة " [٤]، " ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها

---

[١] ـــ رواه أحمد، عن أبي هريرة، المسند، ١٨١/١٦، إسناده صحيح إلا عمرو بن شهاب.

[٢] ـــ رواه أبو داوود، عن عبد الله بن عباس، سنن أبي داوود، رقم ٥١٤٦، سكت عنه.

[٣] - رواه الترمذي، عن عائشة، سنن الترمذي، رقم ٣٨٩٥.

[٤] - رواه مسلم، عن عبد الله بن عمرو، الجامع الصحيح، رقم ١٤٦٧.

سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته "[1]، أو قوله حين شكت بعض الصحابيات أزواجهن عند أمهات المؤمنين، فقال مخاطباً أصحابه رضي الله عنهم في ذلك بفيض من اللطف والحكمة: " لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم " [2].

وأما تكريمها جنساً فيقرره أمثال قوله ﷺ: " حُبّب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة "[3]، وقوله ﷺ في خطبة الوداع: " ألا واستوصوا بالنساء خيراً.."[4].

ومضى الصحابة الكرام رضي الله عنهم تلامذة الرسول ﷺ يترسمون في معاملة أزواجهم ما يفعله النبي ﷺ فقد كان مع أزواجه لين الجانب، حلو العشرة، كن يراجعنه في كثير من الأمور ويرددن عليه، حتى صِرن القدوة للنساء.

هكذا أثمر سعيُ صاحب الشريعة محمد ﷺ في رفع شأن المرأة، ورأت النساء أنفسهن والرجال سواسية، حتى اعتددن بأنفسهن الاعتداد كله، وحتى كانت عائشة رضي الله عنها تستشهد بقوله ﷺ: " إنما النساء شقائق الرجال "[5].

وتألقت أمهات المؤمنين لا سيما عائشة رضي الله عنها في ظل التربية النبوية مثلاً وقدوةً لكل امرأة مسلمة بما نعمت به من عطاء الإسلام للمرأة، فإذا لهن مكانة عظيمة في العلم والأدب والدين حتى قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: " ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً "، فلما توفي عليه الصلاة والسلام صارت بعده المرجع الأول في كل ما يتعلق بالعلوم الإسلامية، لا في المدينة فحسب بل في الأمصار الإسلامية كلها، إذ كان المسلمون إذا أشكل عليهم الأمر كتبوا إلى الصحابة رضي الله عنهم فيرجع هؤلاء إلى الفقهاء والمحدثين منهم، وعلى رأسهم السيدة عائشة رضي الله عنها كذلك كانت نساؤه ﷺ جميعاً منبع خير لكل

---

[1] ـــ رواه أبو داوود، عن عبد الله بن عباس، سنن أبي داوود، رقم ١٦٦٤، سكت عنه.

[2] – رواه أبو داوود، عن إياس بن عبد الله، رقم ٢١٤٦، سكت عنه.

[3] ـــ رواه الطبراني، عن أنس بن مالك، المعجم الأوسط، ٥٣/٦.

[4] ـــ رواه مسلم، عن أبي هريرة، الجامع الصحيح، رقم ١٤٦٨.

[5] ـــ رواه أبو داوود، عن عائشة، سنن أبي داوود، رقم ٢٣٦، سكت عنه.، سكت عنه.

مؤمن وقدوة لكل مؤمنة، شاركن النبي ﷺ في ضرائه وسرائه وظلت بيوتهن مهابط الوحي والرحمة والهدى مدة حياته ﷺ، فلما انتقل إلى جوار ربه بقيت هذه البيوت مثابة للمؤمنين وموئلا لمن أراد النفقة في دين الله تعالى.

ويمضي الزمان، وتظل بصيرة المؤمنين تكتشف صوراً من تكريم الإسلام للمرأة، وحسب المرأة تكريماً أن الله عز وجل سجل في القرآن الكريم شكوى امرأة أخذت تجادل رسول الله ﷺ في زوجها، وأن الله كان يستمع إلى تلك الشكوى، وأنزل فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فقال جل وعلا: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة / ١) .

مسؤوليات المرأة في الإسلام:

قرر القرآن للمرأة حرية الاعتقاد للاستقلال عن الرجل في المسؤولية الدينية ولعلّ مما يدل على ذلك أنه كان للنساء بيعة خاصة في الإسلام دون بيعة الرجال، لتدخل كل امرأة الإسلام من باب غير باب زوجها أو أبيها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الصف/١٢) فلا يجوز للرجل أن يفرض عقيدته على امرأة، وإن القرآن ليعرض هذه المسألة في أقوى صورها، يعرض الرسل الذين جاؤوا ليحملوا الناس على منهج الله، فالمتصور أن الأولى لهم أن يحملوا زوجاتهم عليه، ومع ذلك قدم لنا القرآن صورة نوح ولوط عليهما السلام وقد عجزا عن إقناع أزواجهما بمنهج الله وظلتا مخالفتين له ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم/١٠) .

والإسلام إذ يقرر حرية الاعتقاد للمرأة يفعل ذلك ابتداء من أن الاعتقاد سيلزمها بمنهج فإذا لم تكن مرتبطة بالعقيدة باختيارها وبطواعيتها، فإن إقبالها على المنهج عموماً غير مأمون بغير رقيب.

وبناء على تلك المسؤولية جُعلت المرأة مع الرجل في ميزان الثواب والعقاب الأخرويين على درجة سواء، كل حسب عمله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء/٢٤)، وفي مجال العقاب قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾(التوبة/ ٦٨)، ويؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ في الآية الكريمة التالية: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب/ ٣٥)، فالآية تصرح بمسؤولية المرأة عن عملها مسؤولية خاصة كاملة، خصوصية مسؤولية الرجل عن عمله وكمالها.

ولقد بلغ احترام الإسلام لأهلية المرأة الدينية أن قرر القرآن أن المرأة محل اصطفاء الله سبحانه كالرجل تماماً، محل لأن يخصها الله سبحانه بشيء، كما اصطفى مريم عليها السلام: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران/٤٢)، واصطفى أم موسى وأوحى لها بأمور:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص/ ٧).

ولأن المرأة كانت مسؤولة عن عملها مسؤولية كاملة، فإن هذه المسؤولية الكاملة تقتضي الحرية في العمل حرية كاملة، إذ لا مسؤولية حيث لا حرية، فالمرأة في الإسلام حرة التصرف في حق نفسها، إذا بلغت وظهرت عليها علامات الرشد وحسن التصرف، فتزول عنها ولاية وليها، أو الوصي عليها، فيكون لها التصرف الكامل بشؤونها المالية والشخصية:

فلها اختيار المكان الذي تقيم فيه ما دامت ذات عقل وعفة مأموناً عليها قال الشيخ أحمد إبراهيم في كتابه (الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية): (والأنثى إذا بلغت مبلغ النساء فإذا كانت بِكراً أو شابة أو ثيباً غير مأمون عليها، فلأبيها أو من يقوم مقامه

من الأولياء والمحارم المأمونين عليها أن يحفظها عنده جبراً عنها، وإن كانت بكراً ودخلت في السن واجتمع لها رأي وعفة، أو ثيباً مأمونة على نفسها، فليس لأحد من أوليائها أن يجبرها على الإقامة عنده فإذا تزوجت أوجب الشرع عليها أن تتبع الزوج لاعتبارات معلومة عادلة).

ولها حق قبول أو رفض من جاء يطلب يدها بقول الرسول ﷺ:" الأيم أحقّ بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن في نفسها وإذنها صمُاتها "[1].

ثم هناك حق المرأة في التعلم، بل هو فريضة عليها في الحدود الضرورية لها في شؤون دينها، فما زاد على ذلك فحق مباح لها، لقوله ﷺ: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [2]وهو هنا يشمل الرحل والمرأة باتفاق علماء الإسلام، وكانت الشفاء تعلم أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها تحسن الخط وتزيينه، كما أمرها بذلك الرسول ﷺ، ويدخل في هذا التعليم إعدادهن لتبعات الحياة الأساسية.

وقد أحسَّت المرأة في عصر التنزيل نتيجة لهذا الحث بحاجتها إلى العلم حتى روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فقال: " اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا " فاجتمعن، فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله [3].

هكذا بلغ حرص المرأة المسلمة على العلم غايته حتى طلبن المجالس الخاصة بهنّ للتعليم، مع أنهن كنّ يستمعن في المسجد لتعليمه ومواعظه عليه الصلاة والسلام.

كذلك نجد النبي ﷺ قد سن للنساء سنة مؤكدة هي شهود مجامع الخير يتزودون منها.

تقول أم عطية الأنصارية رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى العواتق، والحيض، وذوات الخدور فأما الحيض فيعتزلن الصلاة،

---

[1] ـــ رواه البخاري، عن عائشة، الجامع الصحيح، رقم ٦٩٧١.

[2] – رواه الألباني، عن أنس بن مالك، الصحيح الجامع، رقم٣٩١٤.

[3] – رواه البخاري، عن أبي سعيد الخدري، الجامع الصحيح، رقم ٧٣١٠.

ويشهدن الخير ودعوة المسلمين قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: " لتلبسْها أختها من جلبابها "[1].

ويجب أن نعلم أن الإسلام لم يحرم على المرأة تعلم أي نوع من أنواع العلم النافع، وهي في هذا كالرجل سواء بسواء، فلها أن تتعلم الطب والصيدلة وعلوم الفضاء والزراعة والصناعة والتجارة...فقد أباح لها الإسلام التعلم بمختلف أنواعه ومراحله.

المرأة والمسؤولية الاقتصادية والمالية:

وأول صورها الملكية الفردية الذي قرره الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ (النساء/٣٢)، وذلك أنه إذا كانت المرأة في نظر الإسلام أهلاً للتكليف الإلهي بعبادة الله تعالى وفعل الخير فأولى أن تكون أهلاً لما دون ذلك من القيم الاقتصادية على اختلاف أنواعها، وعلى رأسها الملكية الفردية، وإذا كانت حرة التصرف في حق نفسها، وهو أسمى الحقوق وآصلها، فَلَأَنْ تكون حرة التصرف في العمل والمال، وهو أهون من باب أولى.

والمتتبع لأحكام الفقه الإسلامي لا يجد فرقاً بين أهلية الرجل والمرأة في شتى أنواع التصرفات المالية كالبيع والإقالة والخيارات والسلم والصرف والشفعة والإجارة والرهن والقِسمة والبينات والإقرار والوكالة والكفالة والحوالة والصلح والشركة والمضاربة والوديعة والهبة والوقف والعتق وغيرها، ولها أن تمارس ذلك كله بنفسها أو بمن توكله عنها باختيارها، كما جعلها صاحبة الحق المطلق على ملكها الذي حصلته بكافة أسباب التملك إرثاً أو مهراً أو تجارة أو هبة.

وهذا المستوى في الكمال في الأهلية الاقتصادية لم تصل إليه المرأة في كثير من دول أوروبا إلى عهد قريب، فبعضها يجعل الميراث لأكبر وارث من الذكور، وبعضها يجعل إذن الولي ضرورياً لتوقيع أي تعاقد للمرأة بشأن المال، ويجعل إذن الزوج ضرورياً لكل تصرف مالي من الزوجة في مالها الخاص! وذلك بعد توارث المرأة وحركاتها الكثيرة وما نشأ عنها من فساد في نظام المرأة كله وفي نظام الأسرة، وفي الجو الأخلاقي العام

---

[1] ـــ رواه البخاري، عن نسبة الأنصارية، الجامع الصحيح، رقم ٣٢٤.

فأما الإسلام فقد منحها هذا الحق ابتداءً وبدون طلب منها، وبدون ثورة، وبدون جمعيات نسوية وبدون عضوية برلمان، منحها هذا الحق تمشياً مع نظرته العامة إلى تكريم الإنسان جملة، ذكراً كان أو انثى.

ولا نشك أن من لوازم حرية التصرف في المال حق العمل والحرية فيه، إذ كيف يباح لها التصرف في المال تجارة أو زراعة أو صناعة ثم يكون العمل محرماً عليها؟!...وأما الحجاب المفروض عليها فلا يستدعي تحريم مزاولة العلم عليها أو اضطلاعها بوظيفة، ما تحلت بآداب الإسلام ووقفت عند حدوده، وما استطاعت التوفيق بينه وبين مسؤوليتها بصفتها راعية في بيت زوجها.

تشريعات شرعها الإسلام للمرأة:

أول هذه التشريعات ما يتعلق بأساس الأسرة:

الزواج: (الزوجية) نظام أزلي يلتئم به شمل كلّ شيء، ويصلح عليه وجوده وتخرج به ثماره، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات/ ٤٩)، وقال جلّ وعلا: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم/٢١).

ويتبين من مجموع الآيتين أن الإسلام يعدّ الزواج ضرورة فطرية للفرد لسَكَنِ النفس، وسبيلاً يدرج فيه الحبّ والتراحم في المجتمع، وسبيلاً كذلك إلى حفظ التناسل من أجل هذا كله دعا إليه الله سبحانه بمثل قوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ (النور/٣٢) وقال ﷺ: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " [1] فالإسلام يعد الزواج إلى جانب ما تقدم وسيلة للعفة والارتفاع الخلقي.

على أن الإسلام لم يكتف بالتشجيع على الزواج ورفع العوائق من الطريق إليه بل أتبع ذلك بالتنظيمات والضمانات التشريعية.

[1] – رواه ابن حبان، عن عبد الله بن مسعود، صحيح ابن حبان، رقم ٤٢٠٦.

وأولها: الرضا والاستئذان لقوله ﷺ: " لا تُنْكَحُ الأيِّمُ حَتى تُستأمر، وَلا تُنْكَحُ البِكْرُ حتى تستأذن" قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: "أن تسكت" [1]، والرضا يستوجب الرؤية بلا شكّ، ولو مراراً بحضور الولي أو غيره من الأهل.

وثانيها: العلانية والإشهاد: ولا بد من إيجاب وقبول صريحين يشهد عليهما الشهود حتى لُيستحب دقُّ الطبول لهذه المناسبة زيادة في الإعلان لقوله ﷺ: " أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف "[2].

وثالثها: نية التأبيد لا التوقيت، فإذا نوى أحد الزوجين أو صرح بأن يكون هذا الزواج موقوتاً بزمن لم ينعقد، لأن هذا الارتباط مقصود به السكن والاستقرار.

رابعها: المهر، وهو تعبير عن رغبة الرجل فيها ورمز لتكريمها وإعزازها، فهو إذن ليس ثمناً للمرأة، وإنما هو عَطِيّةٌ من الله للمرأة، ليست مقابل شيء يجب عليها إلا الوفاء بحقوق الزوجية، كما أنها لا تقبل الإسقاط ولو رضيت المرأة إلا بعد العقد لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ (النساء/٤) .

وخامسها: النفقة التي أوجبها على الرجل وجعلها فريضة كي يتاح للأم من الجهد والوقت ومن هدوء البال ما تشرف به على بيتها وأولادها.

وسادسها: وفي سبيل الاستقرار البيتي وقطعاً لدابر الفوضى والنزاع فيه، جعل الإسلام القِوامة فيه للرجل، وذلك تمشياً مع سياسة الإسلام في تنظيم لقاء الناس واجتماعهم، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: " إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"[3].

وثمة إرشادات أرشد إليها الإسلام حتى يؤتي الزواج ثماره التي أرادها الله منه، منها أن تكون الزوجة المختارة أو الزوج المختار ممن يتوقع أن يحققوا هذه الثمار، كما أرشد إليه قوله ﷺ: " فاظفر بذات الدين تربت يداك " وقوله ﷺ: " تزوجوا الوَدود الولود فإني مكاثر بكم الأمم " كما أرشد ﷺ صيانة للقلوب أن" لا يخطب الرجل على

---

[1] – رواه البخاري، عن أبي هريرة، الجامع الصحيح، رقم ٥١٣٦.

[2] – رواه الترمذي، عن عائشة، سنن الترمذي، رقم ١٠٨٩، قال: حديث غريب حسن.

[3] ـــ رواه أبو داوود، عن معقل بن يسار، سنن أبي داوود، رقم ٢٠٥٠، سكت عنه.

خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله، أو يأذن له الخاطب "[1] ومن تلك الإرشادات اليُسر في المهر وتكاليف الزواج حتى لقد زوّج الرسول ﷺ رجلاً بما معه من القرآن واستن الصحابة والتابعون رضي الله عنهم بسنته ﷺ حتى زوّج سعيد بن المسيب ابنته إلى تلميذه ابن أبي وداعة على درهمين، وقد خطبها الخليفة لولي عهده فأبى.

أنواع من الزواج يرفضها الإسلام صيانة لحقوق المرأة:

هناك أنواع من الزواج استحدثت في الوقت الحالي، وقد منعت في الإسلام صيانة لكرامة المرأة وحفاظاً على حقوقها، من هذه الزيجات:

١- الزواج العرفي: عرف الزواج العرفي بتعاريف عديدة، كل منها كان يعبر عن فهم صاحب التعريف لهذا المصطلح، فمنهم من يعرف الزواج العرفي بأنه: ((اتفاق خاص بين رجل و امرأة بصورة سرية، و قد يكتبان ورقة بذلك و قد لا يكتبان، وذلك دون علم الأهل و الأقارب، كما قد يستأجران شاهدين وقد لا يستأجران. ويعرف الزواج العرفي [أيضاً] بأنه: الزواج الذي لا يكتب بوثيقة رسمية وقد تصحبه توصية للشهود بالكتمان وبذلك يكون زواج السر، وقد لا تصحبه وصية بالكتمان، وهذا النوع من الزواج له صورتان: إما أن يكتمل الأركان والشروط الشرعية إلا أنه يفقد عنصر التثبيت في المحكمة الشرعية، وهذا النوع صحيح شرعاً إلا أنه ممنوع لأن المرأة لا تملك إثبات أي نوع من حقوقها الشرعية السابقة، والصورة الثانية التي يفقد فيها أحد الأركان الشرعية (كالإشهاد مثلاً)، وهنا يكون الزواج باطلاً أصلاً، ومرجع بطلانه أيضاً لأنه ينقص من كرامة المرأة ويعرضها للحرمان من حقوقها الشرعية كذلك.

٢- زواج المتعة: وعرف زواج المتعة بأنه: ((زواج لأجل، مقابل أجر، متفق عليه بالتراضي، ينتهي بغير طلاق، بل بمجرد انتهاء الأجل دون أن يكون هناك حد لهذا الأجل، يثبت به النسب والميراث للأبناء لا للزوجة، إلا إذا اشترطت ذلك، و ليس لها نفقة إلا إذا اشترطت كذلك، وزواج المتعة غير محدد بعدد، بخلاف الدائم الذي حدد بأربع))[2]، وهذا الزواج محرم باتفاق أهل السنة والجماعة، ويجوز عند إخوتنا الشيعة،

---

[1] ـــ رواه البخاري، عن عبد الله بن عمر، الجامع الصحيح، رقم ٥١٤٢.

[2] - فرج فودة، أحمد صبحي منصور، زواج المتعة، ص ٢١.

ووجه تحريمه عند أهل السنة أن حكم إباحته صدر الإسلام قد نسخ بالتحريم بالنص الشرعي، لأن فيه استعمالاً للمرأة لغرض الجنس فقط، دونما احترام لكيانها ولما أعطاه الله لها من حقوق الحياة الزوجية المشتركة.

٣- وزواج المسيار: هو زواج يتم بعقد شرعي، ومهر متفق عليه بين الزوجين، لكنه يعفى من شيئين أساسيين، لا تقوم دعائم البيت إلا بهما، وهما إعفاء الرجل من حق النفقة على الزوجة، وإعفاؤه من حقها من المبيت عندها أيضا وهذا التنازل يتم بالتراضي بين الزوجين عند العقد حيث أنها ـــ أي أن الزوجة تسقط حقها من النفقة والمبيت عندها، بكل إرادتها وإقرارها ورضاها بذلك، [وهو مرفوض شرعاً من هذه الناحية]، أما سائر الشروط المفروضة في الزواج الشرعي، فإنها تنطبق على زواج المسيار، كالولي، والإقرار من كلا الطرفين، والإشهاد على الزواج، كالولي، والإقرار من كلا الطرفين، والإشهاد على الزواج، وحق الميراث إن كان من جهة الزوج أو الزوجة، ونسبة الولد إلى أبيه وأمه، مع مراعاة حق الرعاية والنفقة على الأولاد، والقيام على تربيتهم التربية الإسلامية المطلوبة، وغير ذلك مما هو معروف بالضرورة من الشرع))[١].

٤- زواج الفريند: friend: فتوى هذا الزواج أثارت جدلاً واسعاً في العالم الغربي والعربي والإسلامي أطلقها الشيخ عبد المجيد الزنداني[٢] عندما أصدر فتوى باسم زواج فريند، ومهما اختلفت التسمية إلا أن فتوى الزنداني لاقت ردود فعل متباينة ما بين التأييد والمعارضة.. البعض رآها وسيلة للقضاء على المشاكل التي تواجه الأقليات الإسلامية بالغرب في ظل ظروف مجتمعية صعبة وتحديات جمة من أجل الحفاظ علي الهوية الإسلامية.. في ظل مجتمعات ينتشر فيها الانحلال والفساد وتفتقد القيم الإسلامية؛ لذا كان الزواج هو الحل ليخفف من تلك المعاناة بما يتناسب مع تلك المجتمعات، خاصة أن أركانه من الناحية الشرعية متوافرة... أما الجانب المخالف له، فقد أكد أن الفتوى تعد ستارا وبابا خلفيا للفساد والانحلال الأخلاقي، ووصل الأمر إلى وصفها بالزنا المقنن، وأكدوا أنها باطلة لافتقادها شروط الزواج وأركانه الأساسية وتهديده لسلامة

---

[١]- عرفان الدمشقي، نكاح المسيار، ص٣.

[٢]- معاصر، رئيس جامعة الإيمان، رئيس مجلس الشورى في حزب التجمع اليمني للإصلاح.

البناء العائلي من جهة ثانية.. بالإضافة إلى كونه يثير مشكلة الاحتكاك بين قيمنا الإسلامية والعربية الأصيلة والقيم السائدة في بلاد الغرب حول مسألة بالغة الدقة تتعلق بما هو حلال وما هو حرام في العقود والعهود التي تنظم علاقة الرجل بالمرأة..وما بين الشد والجذب تباينت الردود حول فتوى الشيخ الزنداني الذي يصر على أن فتواه تعد تيسيرا للزواج وتصحيحا لوضع يعتبره من وجهة نظره شاذا))[1]، وزواج الفريند رغم صحته الشرعية من حيث الأركان والشروط، إلا أن سلبياته النفسية و الاجتماعية كثيرة، وهو في النهاية لا يخرج عن كونه زواجاً عرفياً بعقد غير موثق، وإن اكتملت أركانه و شروطه فهو غير مرغوب به شرعاً وقانوناً ومجتمعاً، كما أنه يجتمع مع زواج المسيار في تنازل المرأة عن حقوقها في المسكن الشرعي والنفقة، وهنا يكون عرفيا لكونه بعقد غير موثق وبنفس الوقت مسياراً لمماثلته في الشروط التي يقوم عليها. الجدير بالذكر: أن فكرة الزواج الفريند ليست مجرد فتوى أطلقها الشيخ الزنداني كما قيل، إنما هي اقتراح أطلقه ((القاضي ليندزي " lendzee " الذي كان لسنين طويلة مسؤولا لمحكمة دنور" denor " في الولايات المتحدة الأمريكية و الذي سنح له مقامه مشاهدة حقائق كثيرة، يقترح ترتيب إجراء باسم زواج صداقة، وقد فقد للأسف منصبه هذا في أمريكا، حيث شهد أنه يفكر في سعادة الشباب قبل أن يوجد حالة الإحساس بالذنب، إثر ذلك بذل الكاثوليكيون والمجموعات المناهضة للسود مساعيهم لعزله، إن اقتراح زواج الصداقة كان قد عرضه محافظ ذكي، و يقصد منه إيجاد حالة من الاستقرار في العلاقات الجنسية، و قد لاحظ ليندزي أن المشكلة الأساسية في الزواج تكمن في عدم وجود المال الكافي، وليس وجود المال وضرورته من أجل الأطفال المحتملين فقط، ولكن يلاحظ أن المعيشة من جانب المرأة ليست لائقة))[2]. ليس هذا وحسب، بل إن مثل هذا النوع من الزواج يهدم النواة الأولى في المجتمع وهي الأسرة، فتضيع حقوق الوالدين وتضيع صلة الأرحام، وبالتالي يحرم الأطفال من كل أشكال الاستقرار الأسري والاجتماعي.

---

[1] - www.egypty.com.

[2] ــ أحمد جنتي، الزواج الدائم و المؤقت، ص ٦٦.

شبهات تتعلق بحقوق المرأة في الإسلام:

أولاً: شبهة تعدد الزجات: وقد ثبتت مشروعيته في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء/٣) .

والتعدد نظام لم ينشئه الإسلام بل حدده، و لم يأمر به بل رخص فيه وقيده، إنه في الإسلام رخصة تؤدي وظيفة صمام الأمان في مجالها كضرورة الطلاق عند الاقتضاء، وهي في الإسلام وقاية اجتماعية بحتة يتقي بها أخطاراً أكبر من مزاج الأفراد ومن رغبات الزوجات والأزواج إنه علاج لواقع قديم وحديث: فهناك حالات واقعية في مجتمعات كثيرة تاريخية وحاضرة تبدو فيها زيادة عدد النساء الصالحات للزواج على عدد الرجال الصالحين للزواج كما حصل في بعض المجتمعات بعد الحربين العالميتين، وهنا يجيء حلّ الإسلام للمشكلة متمثلاً بالتعدد، ومستجيباً لحاجة المرأة الفطرية إلى الحياة الطبيعية، سواء في ذلك مطالب الجسد ومطالب الروح والعقل من السكن والأنس بالعشير، وليست المسألة مجرد حاجة اقتصادية لدى المرأة تجاه الرجل كما يزعم الزاعمون، فهذا الحلّ الذي اختاره الإسلام هو رخصة مقيدة لمواجهة الواقع الإنساني بفطرته وضروراته متمشياً مع واقعيته الإيجابية ومع رعايته للخُلُق النظيف والمجتمع المتطهر وهو الحلّ الذي تأتي حلول القوانين الأرضية مطابقة له حين يهتدي أصحابها إلى رشدهم فقد تقدم أهالي (بون) عاصمة ألمانيا الاتحادية سنة ١٩٤٩ م بطلب إلى السلطات المختصة يلتمسون فيه أن ينصّ في الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات لزيادة عدد النساء على الرجال بسبب الحرب العالمية الثانية.

وهناك رغبات الزوج في الإنْسال الذي تتوقف فترته لدى الزوجة إذا بلغت الخمسين.

أيضاً رغبة الزوجة عن أداء الوظيفة الزوجية لمرض أو تقدم في السن أو غير ذلك، مع رغبة الزوجين كليهما في استدامة العشرة الزوجية وكراهية الانفصال.

ومثله حالة عقم الزوجة مع رغبة الزوج الفطرية في النسل.

فالتعدد في هذه الأحوال جميعاً حلّ رحيم عادل نظيف، والإمساك على الزوجة الأولى في هذا الحلّ وضمن الظروف التي عددناها مروءة ونبل، وهذا الحلّ أفضل بلا

شك من كلّ حلّ محتمل آخر طُرح لمواجهة الحالات السابقة مثل: أن نكبت الرجل ونصده عن نشاطه الفطري بقوة القانون بحجة أن هذا لا يتفق مع حق الزوجة ولا مع كرامتها، وأفضل أيضاً من أن نُطلق الرجل يسافح من يشاء من النساء.

ومن ثم تغدو المساوئ التي ذكرها الذاكرون للتعدد من أمثال أنه ينشئ بين الزوجات تحاسداً وتباغضاً، ويشغل الزوج بتوافه الخصام، وأن هذا العداء ينتقل إلى الأولاد، وأن الرجل لا يمكنه العدل مهما حرص في النفقة والمعاملة، مما يزرع في قلب الأولى عذاباً لا ينتهي، نقول تغدو هذه المساوئ وإن كانت ذات وزن أهون من تلك الضروريات التي ذكرنا ثم أيُّ نظام لا مساوئَ له؟! وأيّ شيء في الدنيا يجري كما يحب كل إنسان ويهوى؟! على أن التدين الصحيح يخفف بلا شك كثيراً من هذه الأضرار.

وأما إذا انحرف جيل من الأجيال في استخدام هذه الرخصة واتخذوها فرصة للذّة الحيوانية فليس ذلك شأن الإسلام، وليس هؤلاء الذين يمثلون الإسلام.

هذا، والإسلام قد شرط للتعدد العدل بين الزوجات في المعاملة والنفقة والمعاشرة، أما العدل في مشاعر القلوب فلا يطالب به أحد من بني الإنسان، لأنه خارج عن إرادة الإنسان وذلك مقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ (النساء/١٢٩) وهذا ما يكشف الوفاق بين مضمون الآيتين، فإن عرف الرجل من نفسه عدم القدرة على العدل أو خاف من عدم تحققه فواجبه أن يلزم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء / ٣) .

هذا وقد كان للإسلام أثر إصلاحي كبير في التعدد، فقد قصره على أربع وكان في الجاهلية بلا حدود، وشدد فيه على العدل بين الزوجات، و ربّى ضمير الزوج المسلم على خوف الله ومراقبته، وكلّ ذلك مما يجعل التعدد حين تقتضيه ظروف الإنسان الشخصية أو ظروف المجتمع العامة، قليل المساوئ، قليل الأضرار.

أضف إلى أن التعدد للرجل وليس للمرأة للأسباب التالية:

١) أن المرأة تحمل من لقاح واحد، فيكون اللقاء بذكور آخرين لا معنى له لأنه مجرد عن وظيفة الإنجاب، ومن ثم لم يركّب الخالق في فطرتها هذا الطبع.

٢) للحفاظ على الأنساب، فتعدد الأزواج بالنسبة للمرأة يضيع نسبة ولدها إلى شخص معين، وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى الرجل في تعدد زوجاته.

٣) لّما كان للرجل رئاسة الأسرة على ما قدمنا فلمن تكون هذه الرئاسة إذا تعدد الأزواج، ولمن تخضع المرأة؟ لهم جميعاً؟ وهذا غير ممكن لتفاوت رغباتهم، أم تخصّ واحداً دون الآخرين فتسخطهم جميعاً.

ثانياً: شبهة استئثار الرجل بالطلاق: إن الأصل في الرابطة الزوجية هو الاستقرار والاستمرار، والإسلام يحيط هذه الرابطة بكل الضمانات التي تكفُل استقرارها واستمرارها، وفي سبيل هذه الغاية يرفعها إلى مرتبة الطاعة ويعين على قيامها بمال الدولة للفقراء والفقيرات، ويفرض الآداب التي تمنع الفتنة كي تستقر العواطف وتهدأ القلوب عن التلفت، وهو يفرض حدّ الزنى وحدّ القذف، ويجعل للبيوت حرمتها بالاستئذان عليها، والاستئذان بين أهلها في داخلها، وينظم الارتباطات الزوجية بشريعة محددة، ويقيم نظام البيت على أساس القِوامة منعاً للفوضى والاضطراب والنزاع...إلى آخر هذه الضمانات والتنظيمات الواقية من كلّ اهتزاز، فضلاً عن التوجيهات العاطفية وفضلاً عن ربط هذه العلاقة كلها بتقوى الله ورقابته.

ولكن هناك حالات تتعذر فيها الحياة الزوجية بالرغم من جميع الضمانات والتوجيهات، ويصبح فيها الإمساك بالزوجية عبثاً لا يقوم على أساس، ولذا كان تشريع الطلاق، وللطلاق أحكام كثيرة لا محل لها في بحثنا، ويكفي أن نذكر أن في طياته حفظ لكرامة المرأة ولحقوقها دونما ظلم أو إجحاف، وإن جعل الطلاق بيد الرجل وحده هو الأمر الطبيعي المنسجم مع واجباته المالية نحو الزوجة والبيت، فما دام هو الذي يدفع المهر ونفقات العرس والزوجية، كان من حقه أن ينهي الحياة الزوجية إذا رضي أن يتحمل الخسارتين المالية والمعنوية الناشئتين عن رغبته في الطلاق.

والرجل في الأعم الغالب، أضبط أعصاباً وأكثر تقديراً للنتائج في ساعات الغضب والثورة وهو لا يقدم على الطلاق إلا عن يأس من إمكان سعادته الزوجية مع زوجته، ومع علم بما يجره الطلاق عليه من خسارة، وما يقتضيه الزواج الجديد من نفقات.

لذلك كان إعطاء الرجل حق الطلاق طبيعياً ومنطقياً، لارتباطه ارتباطاً مباشراً ووثيقاً بمسألة النفقة والمهر، فيما قرره الإسلام وعندما نلاحظ ذلك نجد أن هذا الارتباط المباشر والوثيق بينهما مصدر لأدقّ معاني المساواة بين الرجل والمرأة، لانسجامه مع القاعدة التي جعل الله تعالى من الطلاق مغنماً للرجل وربطه بالمهر والنفقة الذين جعلهما الله مغرماً عليه، وفي المقابل فقد جعل الله من المهر والنفقة مغنماً للزوجة وربطهما بالطلاق الذي جعله الله مغرماً عليها.

وهنا قد يقول قائل إن الرجل لا يوقع الطلاق دائماً وهو معذور فيه، بل قد يفعل ذلك نكاية بالزوجة، وكثير ممن لا خَلاق لهم يطلقون زوجاتهم لمجرد الرغبة في الاستمتاع بامرأة جديدة، وقد يكون له من الأولى أولاد فتسيء الزوجة الجديدة معاملتهم.

والجواب على هذا الاعتراض بل على كل اعتراض يمكن وروده على واحد من التشريعات إذا كان سيء الأخلاق، ضعيف الوازع الديني، ومع ذلك فلا يخطر في البال أن تلغى الأنظمة الصالحة لأن بعض الناس يسيئون استعمالها، أو أن لا تعطى لأحد في الدولة أيّة صلاحية، لأن بعض أصحاب الصلاحيات تجاوزوا عن حدودها.

إن الإسلام أقام دعامته الأولى في أنظمته على يقظة ضمير المسلم واستقامته ومراقبته لربه، وقد سلك لذلك سبلاً متعددة من مثل ما كنا نقرأ خلال آيات الأحكام السابقة المتعلقة بالزواج بكلّ أحواله وقضاياه، كقوله تعالى في الزوجية نفسها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم / ٢١)، وفي إحسان العشرة خلال الزوجية "..﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء/١٩) وفي حال النشوز وتأديب الناشز ﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء/١٢٨)، وكل ذلك خطاب لضمائر الزوجين معاً، وخلال آيات الطلاق يكثر الحديث عن التقوى من مثل قوله تعالى: ﴿ واتَّقُوا اللّهَ رَبَّكُمْ ﴾ (الطلاق/١)، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق/٤)، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝٥﴾ (الطلاق/ ٥) .

هذه السبل وأمثالها تؤدي إذا روُعيت بدقة وصدق، إلى يقظة ضمير المسلم وعدم إساءته ما وُكِل من صلاحيات ، على أن كُلَّ نظام وكل قانون في الدنيا لا بد من أن ينشأ عند تطبيقه بعض الأضرار لبعض الأفراد، ومقياس صلاح النظام أو فساده هو نفعه لأكبر قدر من الناس أو إساءته إليهم.

وهناك نقطة مهمة جداً وهي أن الاستفادة من (المذاهب الاجتهادية) الأربعة، وعدم التشبث بمذهب واحد في المحاكم الشرعية تخفف كثيراً من الإعنات، الذي تلقاه المرأة من الرجل في مثل حالات إيقاع الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد، أو طلاقها في حال غضب، أو عدم استطاعة الزوجة الخلاص من زوج يسيء معاملتها حتى صارت حياتها جحيماً وهو يأبى الطلاق.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يمكن للزوجة إذا شاءت أن تمارس حقها في الطلاق من الزوج مباشرة أي دون وساطة القضاء وذلك بأن تشترط في عقد النكاح، أن تكون عصمتها بيدها فإذا وافق الزوج على ذلك استوت معه في التمكين من ممارسة حق الطلاق عندما تريد ولكن على أن تتنازل عن المهر جزئياً أو كاملاً للزوج كما في حالة الخلع.

ثالثاً: شبهة حرية المرأة و الحجاب: من التشريعات التي كرم الإسلام بها المرأة وصانها تشريع (الحجاب) والمقصود به أن تحجب المرأة ما قد يبدوا فيها من مظاهر الفتنة والإغراء عن الرجال الأجانب عنها بقطع النظر عن أي لباس أو كيفية معينة يتم بها ذلك، وقد شرعه الله سبحانه صيانة للأسر أن تنهدم، وحفظاً على السلام والاستقرار فيها، وعلى تماسك العلاقة بين ركنيها.

وقد ثبتت مشروعية الحجاب، وما يحق للمرأة أن تبدو فيه أمام غير المحارم من الرجال بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (الأحزاب/ ٥٩) وقوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ

ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (النور/ ٣١).

وقد استنتج العلماء من الآيتين معاً أن حجاب المرأة يجب أن يشملها جميعاً بثوب سابغ ساتر لجسمها، وأن تغطي رأسها وجيبها وهي فتحة الصدر من الثوب، فلا يبدو منها سوى الوجه والكفين، وهو معنى قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾، والرسول ﷺ يقول مخاطباً أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها:" يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا "[1] وأشار إلى وجهه وكفيه، وليس بتعين في الشرع بعد ذلك ساتر معين في شكله أو لونه، إذ المهم أن يتحقق الستر وتنتفي الفتنة وعلى ذلك اتفاق جمهور علماء المسلمين وأئمتهم.

على أن هذا الحجاب في حدوده وكيفيته ما كان يوماً عائقاً ضدَّ المرأة عن أداء واجب أو تحصيل حقَّ كما زعم بعضهم إنما كان وسيظل خير سبيل يمكنها من أداء رسالتها على خير وجه، وهذا تاريخ المرأة بين أيدينا يحدثنا أنَّ آلافاً من أعلام النساء على مرّ التاريخ برزن في كل ميدان من ميادين الحياة بلا استثناء، وما كان الحجاب عائقاً لهنّ في شيء من ذلك، ولا ذكر التاريخ أنهنّ اضطررن في ذلك أن يتخلين عن الحجاب الذي فرضه الله عليهن.

وكما أمر الإسلام المرأة بالحجاب اتقاء الفتنة نهاها من أجل ذلك أيضاً عن التبرج والاختلاط بغير ضرورة،وعن سائر وسائل الإغراء والفتنة البصرية والصوتية كلها، فقال سبحانه: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ (الأحزاب/٣٢-٣٣) وهو خطاب موجه إلى زوجات الرسول ﷺ لكنه أمر يشمل كل مسلمة، وكيف لا وأمهات المؤمنين لا يطمع فيهن طامع؟!.

---

[1] ـــــ رواه أبو داوود، عن عائشة، سنن أبي داوود، رقم ٤١٠٤.

والخطاب على كل حال قد تنزل في عهد النبي ﷺ، عهد الصفوة المختارة من البشرية في جميع العصور.

رابعاً: شبهة منع المرأة من العمل: إن الإسلام قد أوجب على الرجل النفقة وجعلها فريضة، كي يتاح للزوجة من الجهد والوقت وهدوء البال ما تشرف به على أطفالها وبيتها خير إشراف، فهو لا يرغب للمرأة المتزوجة في الخروج للعمل إلا عند الضرورة، كي تتفرغ لأداء رسالتها كزوجة وأمّ، لأن الأم المرهقة بالعمل للكسب لا يمكن أن تمنح أولادها وأسرتها حقهم من العناية الواجبة.

إن الإسلام أراد للمرأة أن تتحرك في الحياة شقيقة للرجل في دور تكاملي لا تفاضلي فلكل منهما دوره: الرجل يتعامل مع الأشياء، ويبني الحياة سياسة واقتصاداً، والمرأة تتعامل مع الأشخاص ودورها الأصيل تربوي محض، وليس أحد الدورين بأهم من الآخر ولا هو في غنىً عنه.

على أن الإسلام فتح أمام المرأة باب العمل النبيل المشروع، اللائق بها والمناسب لكرامتها واستعداداتها الفطرية والأنثوية، وأباح لها ذلك ما التزمت آداب الشريعة وأحكامها في الستر والتصون، والجد في القول والمسلك، وما لم يعوقها العمل عن القيام بواجباتها في الأسرة.

وإن منجزات التكنولوجيا الحديثة قد وفرت على المرأة وقتها ومن ثمّ صارت المرأة قادرة على أن تزاول عملاً ما إن شاءت هي بل هو خير من أن تقضي فراغها فيما يضرها وما لا ينفعها، ومثل ذلك إذا وجدت حاجة لعون اقتصادي لزوجها، لا سيما إذا كبر الأولاد أو هي لم ترزق ولداً أصلاً، أو عند حاجتها لكفاية نفسها، إن لم يكن هناك من يعولها من أب أو زوج أو أخ أو قريب، أو لإبائها تحمل منه الغير عليها أو كفاية العاجزين من أسرتها إن لم يكن هناك من يعولهم، أو إذا اقتضت مصلحة المجتمع أن تعمل في بعض المجالات كالتعليم والتمريض وتطبيب النساء ونحو ذلك.

إن الإسلام لا يفرق بين الرجل والمرأة في حق العمل، ولا في الأجر عليه، و لم تكن مجالات العمل المختلفة في أي عهد من عهود الإسلام المزدهرة وقفاً على الرجال دون النساء، بل كان للمرأة المسلمة في ظل عهود الازدهار نصيب في سائر الأعمال

والمهارات فكانت تعمل بالتجارة والرعي والزراعة، وكانت تشترك في كثير من الصناعات والمهن اليدوية أو تشرف عليها، وعملت في مجال الإسعاف والتمريض والتطبيب، بل في مجال القضاء كذلك، فالإسلام لا يحرم على المرأة القيام بأي عمل تتقنه، وتستطيع النهوض به على وجهه، ولا يمنعها من الإسهام مع الرجل في بناء الحياة في مجالاتها جميعاً، ما كان هناك حاجة إلى عملها وخبراتها في تلك المجالات، وضمن الشروط التي ذكرناها آنفاً.

هكذا نرى أن موقف الإسلام من عمل المرأة هو الموقف الحكيم والمعتدل، فلا هو منعها العمل خارج بيتها، كما كان شأن الشرائع قبله، ولا هو ألزمها به، ودفعها إلى ترك أطفالها وإهمال رعايتهم، كما هو الحال عليه في أوروبة.

هذا بالنسبة للمرأة المتزوجة، أما غير المتزوجة فمجال العمل أمامها واسع، وقد علمنا أن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وليس من فائدة مجدية للعلم إلا العمل في سبيل أن تتمكن المرأة من المشاركة العملية بجهدها لنفع نفسها وأسرتها ومجتمعها عموماً.

ولكن خير الأعمال لها ما دام دورها الأصيل تربوياً محضاً كما ذكرنا هو عملها في رياض الأطفال، وفي المراحل الدراسية حتى نهاية المرحلة الجامعية.

وبعد فذلك هو وضع المرأة في ظل الإسلام وهو وضع كريم يحق للمرأة المسلمة أن تفاخر به جميع نساء العالم، يسبق تشريعات الإسلام جميع شرائع العالم وحضاراته إلى تقرير حقوقها والاعتراف بكرامتها اعترافاً إنسانياً نبيلاً، لا يشوبه غرض ولا هوى ولا يدفع إليه قسر ولا ضرورة.

خامساً: شبهة عدم المساواة مع الرجل (بين العدل والمساواة):

يحق هنا التساؤل: أي شيء من الحقوق بقي للمرأة لم يحققه الإسلام، ليسعى إلى نسله والحصول عليه؟

تريد المساواة الإنسانية مع الرجل؟ فقد أعطاها الإسلام هذه المساواة نظرياً وعملياً وأمام القانون.

تريد حق التعليم؟ فقد منحها الإسلام هذا الحق، بل جعله فريضة عليها.

تريد ألا تتزوج بغير إذنها، وأن تعامل معاملة كريمة بنتاً وزوجاً وأمّاً؟ فقد أعطاها الإسلام كلّ ذلك، حقاً مفروضاً على الرجال.

تريد الاستقلال الاقتصادي، وحق العمل، والمشاركة في شؤون الحياة المختلفة؟ فقد منحها الإسلام ذلك كله، وفتح لها تلك الأبواب جميعاً.

ولكن الإسلام مع هذا كله، فرّق بين الرجل والمرأة في بعض المجالات، ومن المؤكد أن هذا التفريق لا علاقة له بالمساواة التي قررها بينهما، بل بمصالح وضرورات اقتضت ذلك فلنبحث في هذه الفروق بشيء من التفصيل من خلال:

١- القِوامة، لماذا جعلت القوامة للرجل على المرأة؟ ولماذا فضل بها الرجل عليها؟

الجواب: دليل القوامة قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ (النساء/٣٤)، ومعناها الإدارة والإشراف على شؤون الأسرة، باعتبارها مؤسسة اجتماعية، أو شركة قائمة بين الرجل والمرأة، لا يستقيم أمرها دون مدير أعلى توكل إليه إدارتها وتسيير شؤونها ورعاية مصالحها.

وقبل أن نستجلي الحكمة من كونها من اختصاص الرجل ونبين أهدافها النفسية والاجتماعية، لا بد من بيان مجمل لنظرة الإسلام إلى مؤسسة الأسرة ومنهجه في بنائها والحفاظ عليها، وذلك أن القاعدة الأولى في نظام المجتمع الإسلامي هي قيامه على قاعدة الأسرة وجعلها وحدة المجتمع، وقوامة الرجل في الأسرة مظهر من مظاهر تنظيم الإسلام لمؤسسة الأسرة وضبط الأمور فيها وتوزيع الاختصاصات، وتحديد الواجبات لمنع نشوب خلاف بين أفرادها بردهم جميعاً إلى أمر الله، لا أمر الهوى والانفعالات الشخصية.

لقد شرع الإسلام مسألة القوامة تمشياً مع سياسة التنظيم التي يحرص عليها الإسلام حرصاً شديداً والتي تبدو بعض مظاهرها في الحديث الذي تقدم ذكره، وفيه أنه ﷺ كان يأمر الرجال أن يؤمروا عليهم أحدهم، حتى لو خرج ثلاثة في أمر فأحدهم أمير، وفي البيت كذلك لا بدّ من قيادة تحمل التبعة وتحفظ النظام وتضمن السلام والاستقرار.

وهنا يثار التساؤل: أي الزوجين كان المنطق كفيلاً بأن يسلمه القيادة؟ إن الإسلام دين يراعي الفطرة في كلّ ما يشرع، ويراعي الاستعدادات الموهوبة لشطري النفس الإنسانية (الذكر والأنثى) لأداء الوظائف المنوطة بكل منهما وفق هذه الاستعدادات، كما يراعي العدالة في توزيع الواجبات على كل من الشطرين، والعدالة في اختصاص كل منهما بنوع الواجبات المهيأ لها والمعانِ عليها من فطرته واستعداداته المتميزة المتفردة.

والقرآن الكريم يحدد أن (القوامة) في الأسرة للرجل، ويذكر من أسبابها أمرين: تفضيل الله سبحانه للرجل بمقومات القوامة وما تتطلبه من خصائص ودربة واستعداد، ثم تكليف الرجل الإنفاق على الأسرة.

فأما السبب الأول وهو أفضلية الرجل على المرأة، فوجه التفضيل هو الاستعداد والتدريب والمرونة فيما يختص بالقوامة، ذلك أن الله جعل من وظائف المرأة الحملَ والوضع والرضاع والتربية، وهي وظائف ضخمة عظيمة الشأن، وليست هينة بحيث تؤديها المرأة بدون إعداد جسدي ونفسي وعقلي، فكان عدلاً كذلك أن ينوط بالرجل توفير الحاجات الضرورية، وتوفير الحماية كذلك لزوجته كي تتفرغ لوظيفتها العظيمة الشأن، ولا يُحمل عليها أن تحمل وتلد وترضع وتكفل، ثم تعمل وتكد وتسهر لحماية نفسها وطفلها في آن واحد، وكان عدلاً كذلك أن يمنح الرجل من الخصائص في تكوينه العضوي والعصبي والعقلي والنفسي ما يعينه على أداء وظائفه هذه وأن تمنح المرأة كذلك ما يعينها في أداء وظيفتها.

ومن ثم: فقد زوِّدت المرأة بالرقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة غير الإرادية لمطالب الطفولة لتسهُل تلبيتها فوراً وتكون مُستحبة رغم المشقة، وكذلك زود الرجل بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال والاستجابة، واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة لأن وظائفه كلها في الحياة تحتاج إلى التروي وإعمال الفكر قبل الإقدام.

أما السبب الثاني وهو تكليفه الإنفاق فذلك فرع من توزيع الاختصاصات يجعله بدوره أولى بالقوامة، لأن تدبير المعاش للأسرة ومن فيها داخل في هذه القوامة، والإشراف على تصريف المال فيه أقرب إلى وظيفته فيها.

وفي مقابل القوامة، أوجب الإسلام على الرجل العدالة والمعاملة بالحسنى، والرفق في معالجة المشكلات التي قد تنشب في الأسرة وأخذ الأمر بيسر وهوادة، بل لَحِظ بعض علمائنا أن في القِوامة معنى الخدمة وأن معنى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء/٣٤) بأنهم مكلفون برعايتهن والسعي من أجلهن وخدمتهن إلى آخر ما تفرضه القوامة من تكليفات وكلّ ذلك مما يوحيه قوله ﷺ: " خيركم خيركم لأهله " [١].

والخلاصة أنّ هذه القوامة هي تكليف لا تشريف، وهي ليست عنواناً على أفضلية ذاتية للرجل على المرأة، إنما هي أفضلية الاستعداد الطبيعي للقوامة والنهوض بأعبائها، وهذا هو المعنى المراد في قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ (النساء/ ٣٤)، وهذه الأفضلية تنتهي في حقيقتها بالمساواة بين الحقوق والواجبات بين الجنسين، لأنها حق مقابل تكليف، وهي على كل حال مشروطة بكون الرجل صالحاً للقوامة، وذلك ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ فلم يقل جلاّ وعلا (الذكور) قوامون، إذ ليس كلّ ذكر رجلاً وإن يكن العكس صحيحاً، فقد يكون الذكر طفلاً أو أحمق أو غير ذلك... وأما الرجولة التي حددتها الآية وربطتها بالقوامة فهي الخلق الرفيع، والتقوى والمروءة، والصفح، والنضج العقلي والعاطفي، والقوة النفسية التي لا تستسلم للنزوات ولا تتخاذل في حق من حقوق الله.

والقوامة لقيامها على السببين معاً (الأفضلية والإنفاق)، فإن تصور سقوطها لقدرة المرأة على الإنفاق خطأ واضح من جهة،وإبطال لتشريع القوامة الذي قررته الآية الكريمة صراحة.

٢- الميراث: جعل الإسلام نصيب الذكور ضعف نصيب نظائرهم من الإناث في ميراث الأولاد قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ (النساء/١١)، ولا شك في أن هذا الفرق يظهر عند أدنى نظر أنه بَدَهيٌّ مُنْبَنٍ على الفرق

[١] ــ رواه الترمذي، عن عائشة، صحيح الترمذي، رقم ٣٨٩٥، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

السابق بصورة عامة، وإن بدا للوهلة الأولى في مبدأ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أن هناك إيثاراً للرجل، ولكن هذا النظر ما يلبث أن يتكشف عن التكامل في أوضاع المرأة والرجل وتكاليفهما، فالغُنم بالغُرم قاعدة ثابتة في تشريع الإسلام.

فالرجل في تشريع الإسلام مكلف بالإنفاق، فهو مُلزم بأعباء وواجبات مالية لا تُلزم بمثلها المرأة، فهو الذي يؤدي للمرأة صداقها، ولا تؤدي هي له صداقاً، والرجل ينفق عليها وعلى أولادها منه، وهي معفاة من هذا التكليف ولو كان لها مال خاص، والرجل مكلف بالنفقة على المعسرين والعاجزين عن الكسب في الأسرة، الأقرب فالأقرب، والمرأة معفاة من هذه الفريضة، حتى أجر رضاع طفلها من الرجل وحضانته عند افتراقهما بالطلاق، يتحمله الرجل ويؤديه لها.

فهو تشريع متكامل، توزيع التبعات فيه هو الذي يحدد توزيع الميراث، وتبعات الرجل في الإنفاق أثقل من تبعات المرأة، ومنظور التشريع في هذا إلى طبيعة الرجل وقدرته على الكسب وإلى توفير الراحة والطمأنينة الكاملة للمرأة لتتفرغ لرعاية الأولاد وشؤون البيت، ومن هنا كان العدل أن يكون نصيب الرجل أكثر من نصيب المرأة في الميراث.

على أن مبدأ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ليس مبدأ عاماً وحكماً مطلقاً، يُطبق في سائر الحالات كلما اجتمع ذكر وأنثى في الميراث كما يظن بعض الناس، إنما هو حُكم يسري في ميراث الأولاد من أحد الأبوين دون غيرهم كما أشرنا، وللورثة الآخرين ذكوراً وإناثاً أحكامهم الخاصة بهم، ونصيب الذكور والإناث واحد في أكثر هذه الأحكام.

فمثلاً إذا ترك المتوفى أولاداً وأباً وأماً، ورث كل من أبويه سدس الميراث، دون تفريق بين ذكورة الأب وأنوثة الأم لقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ (النساء/ ١١).

وإذا تركت المرأة المتوفاة زوجاً وبنتاً، فإن البنت ترث النصف، ووالدها زوج المتوفاة يرث الربع أي إن الأنثى هنا ترث ضعف ما يرث الذكر،وهناك حالات أخرى مشابهة فصلت فيها كتب الفقه.

وبذلك نلحظ معالم التوازن الشامل في الإسلام، الدين الذي شرعه الحكيم العليم، ويتبين لنا أن الإسلام لم يهضم حق المرأة في الميراث، ولم يُحاب الرجل على حسابها، بل إنه يراعي الأعباء والتبعات، وينظر إلى نوع العلاقة السارية بين الوارث ومورثه، فإذا اقتضت هذه العلاقة بينهما، ومدى الأعباء التي يُطالب بها الوارث، أن تكون حصة الذكر أكثر من حصة الأنثى كان حكم الميراث كذلك، وإذا اقتضى ذلك أن تتساوى الحصتان، أو أن تفضل الأنثى على الذكر كان الحكم كذلك كما اتضح لنا من خلال الأمثلة السابقة.

٣- الشهادة: جعل الإسلام الشهادة التي تثبت الحقوق شهادة رجلين عدلين أو رجلٍ وامرأتين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ (البقرة/٢٨٢).

وهنا أيضاً لا علاقة لهذا التفاوت بالإنسانية أو الكرامة أو الأهلية، وإنما المسألة مسألة مُلابسة عملية في الحياة، وذلك لأن الإسلام مع إباحته للمرأة التصرفات المالية يعدّ رسالتها الاجتماعية هي التوفر على شؤون الأسرة، وهذا ما يقتضيها لزوم بيتها في غالب الأوقات، وخاصة أوقات البيع والشراء، لذلك فإن شهود المرأة لحق يتعلق بالمعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادراً، وما كان كذلك فليس من شأنها أن تحرص على تذكره حين مشاهدته بل تمر به عابرة، فإذا جاءت تشهد كان أمام القاضي احتمال نسيانها أو خطئها، فإذا شهدت امرأة أخرى بمثل ما تشهد به زال احتمال الخطأ والنسيان والحقوق لا بد من التثبت فيها، وواجب القاضي بذل غاية الجهد لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

وهذا أحد سببي (الضلال) الذي ذكره لها سبحانه في الآية الكريمة وأما الآخر فقد ينشأ من الطبيعة الانفعالية للمرأة فإن وظيفة الأمومة البيولوجية تستدعي أن تكون المرأة شديدة الاستجابة الانفعالية لتلبية مطالب الطفل، بينما الشهادة على التعاقد في حاجة إلى تجرد كبير من الانفعال لتلبية مطالب الطفل، ووقوفٍ عند الوقائع بلا تأثر ولا

حياء، ووجود امرأتين فيه ضمانة أنه تذكر إحداهما الأخرى إذا انحرفت مع أيّ انفعال فتتذكر وتفيء إلى الوقائع المجردة.

نستنتج من مناقشة مسائل: (القوامة والميراث والشهادة) أن الإسلام لم يسوي بين المرأة والرجل، وإنما عدل بينهما، وفرق كبير بين المفهومين، فمبدأ المساواة لا يصلح للتطبيق بين الرجل والمرأة، فلكل منهما تكوينه الخاص، ولكل منهما ملكاته التي هيأه الله لها،فلا المرأة تسوى بالرجل فيما له وعليه، ولا الرجل يسوى بالمرأة فيما لها وعليها، ولنضرب مثالاً على ذلك في الأمومة، فهي ميزة ميز الله بها المرأة، ومنحة إلهية أعطاها الله لها خاصة، فهل أستطيع أن أطلب من الرجل – بحكم المساواة – أن يقوم بواجبات الأم؟ حتماً لا، لأن التكوين الذي فطر الله خلق الرجل عليه لا يسمح بذلك، والمرأة في هذا متفوقة على الرجل بكل المقاييس، ولا مجال للمساواة، وإنما هو العدل، العدل في توزيع الحقوق والواجبات على الطرفين كل حسب تكوينه وملكاته وإمكانياته، دون أن يكلف الله نفساً إلا وسعها، هذا ما حققه الإسلام، وفشل فيه دعاة الحرية والمساواة الذي أضاعوا حقوق المرأة أكثر ما أعطوها منها، دمروا بكلمة حق أريد بها باطلاً كيان الأسرة ونظامها الذي شرعه تشريع إلهي حنيف.

هذا... وبعد أن عرضنا ما أرساه الشارع الحكيم من أصول الاعتقاد، وما أكمله بالشريعة الإسلامية الغراء من خلال قواعد العبادة، وما أتم به من مكارم الأخلاق... وبعد أن بيَّنَّا أسس العلاقات بين المسلمين وأصحاب الشرائع الأخرى، وما للطفولة والمرأة من حقوق في الإسلام، لا تزال طائفة من أهل الضلال تلقي على الإسلام باتهاماتها، تنقص من كماله، وتطعن في تمامه، تارة يتهمون الإسلام بالجمود الفكري، وتارة ينعتونه بالإرهاب، ويصفون أتباعه بالتطرف، والحقيقة أن المتأمل في تعاليم الدين الحنيف لا يجد شيئاً من هذا، إلا أن الواجب يحتم علينا أن نناقش هذه التهم التي ألقيت على الإسلام، دين الله العلي الحكيم، الذي أنزله الباري عز وجل وتكفل بحفظه بقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/٩).

الفصل الخامس

موقف الإسلام من بعض المسائل المستحدثة:

- الإسلام وحرية الفكر والسلوك.
- موقف الإسلام من التطرف.
- موقف الإسلام من العنف في العالم.

المبحث الأول: الإسلام وحرية الفكر والسلوك.

يتهم إسلامنا بتقييده للحريات عموماً، وتكليفه المؤمنين بتكاليف كثيرة وأعباء يصعب امتثالها، فالبعض يرى في الإسلام دين جمود و تعصب ومغالاة، والإسلام من كل ذلك براء. فالإسلام احترم جميع أنواع الحريات، ومن أنواع الحريات التي احترمها الإسلام: حرية العقيدة، والحرية الاجتماعية، والحرية المهنية، والحرية الفكرية....

إسلامنا لم يجبر أحداً على الدخول فيه، " لا إكراه في الدين " وإنما عاقب على تركه بعد اعتناقه احتراماً لمكانته و هيبته في النفوس. حسبنا من ذلك ما أقر النبي ﷺ أهل الكتاب على ما هم عليه دون أن يجبرهم على اعتناق الإسلام، بل وأوصى بهم وباحترام كنائسهم وطقوسهم التعبدية [كما مر معنا في البحث].

إسلامنا لم يفرض صورة مجتمعية واحدة الملامح للمجتمع الإسلامي، بل وضع الخطوط العريضة للحلال والحرام، وترك أبواب الاجتهاد مفتوحة لما يطرأ من تغيرات في الأحوال والأزمنة.

إسلامنا لم يفرض على المؤمنين أنواعاً معينة من كسب المال، بل رفض القعود عن طلب الرزق وشجع على كل أنواعه ما دامت ضمن إطار طلب الحلال.

إسلامنا لم يقيد يوماً حرية الفكر، بل طلب أول ما طلب من الإنسان أن يفكر... ويتفكر... ويعقل... وكم من آية وردت في القرآن الكريم بهذه الألفاظ: يتفكرون، تتفكرون، يعقلون، تعقلون، يتذكرون، تتذكرون، يعلمون... تعلمون....

فالإسلام: أمر باستعمال العقل، و وجه إلى التفكر، وكذلك طلب العلم، طلب التفكر في الكون، خلق السماوات والأرض والليل والنهار والفلك التي تجري في البحر. في الموت والحياة، في الدنيا والآخرة.... تفكرٌ مع إعمال العقل في بديع الصنع وعظيم الحكمة.

ثم... وبعد التَّفكر والتَّدبر وإعمال العقل يأتي التكليف، التكليف بالعبادة وإخلاص التوجه، والالتزام بالأحكام المنزلة، والوقوف على الحلال والحرام، والسؤال هنا: هل تنتهي كل هذه الحريات وتقف عند التكليف؟ وهل يتعارض التكليف مع أي نوع من أنواع الحريات؟ الجواب فيما يأتي:

الإنسان بين الحرية والتكليف:

ما هو التكليف في الشريعة الإسلامية؟

التكليف: هو توَجُّه الخطاب من الله تعالى بالأمر والنهي إلى عباده، من خلال مطالبته بفعلٍ ما أو تَرْكِه، باستعمال القوة التي بثها فيه الله عز وجل، والاختيار الذي متّعه به ويتجسد التكليف في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (الإنسان/ ٣-٤) أي أعطيناه القدرة على كل من الاستجابة وعكسها، ليستأهل في الحالة الأولى المثوبة والأجر، وليستحق في الحالة الثانية الوعيد والعقاب.

الصفات التي يجب أن تتوافر في الإنسان ليكون أهلاً للتكليف:

١- الإعلام: ويكون بإبلاغ الإنسان الخطاب الإلهي عن طريق الرسل والأنبياء، فلولا هذا الخطاب لما عَلِم الإنسان بأنه مكلف.

٢- تمكن الإنسان من القيام بالمطلوب منه، فإذا حيل بين الإنسان وبين أداء ما كَلّفه الله عنه سقط عنه التكليف.

٣- امتلاك الإنسان للخيار في أن يستجيب أو لا يستجيب لله تعالى في الأمر الصادر إليه.

ومن هنا قرر العلماء سقوط التكليف عن:

١- الغافل الذي لا يدري شيئاً عن الخطاب الإلهي الذي توجه إليه.

٢- الناسي والساهي ونحوهما.

٣- المُلجَأ: أي المُجبَر وهو الذي لا يملك أي خيار في الفعل الذي يصدر منه، فهذه الحرية الذاتية هي المناخ الأساسي للتكليف.

ولذا كان التكليف منطوياً على أعظم مظاهر التشريف من الله تعالى للإنسان، فالله سبحانه وتعالى لم يدفع الإنسان إلى تنفيذ أحكامه قسراً، أو عن طريق الغريزة الآلية، كما هو حال سائر المخلوقات والحيوانات الأخرى، بل جهزه بالعقل المميز بين

الخير والشر ثم متّعه بالقدرة على الاختيار واتخاذ القرار طبق رغبته الذاتية ودون أي قسر خارجي يفقده اختياره.

هل يتعارض التكليف مع حرية الإنسان الفكرية؟ وهل يعد التكليف عائقاً أمام تحقيق الوحدة الإنسانية المنشودة؟

لا نزاع في أن وحدة الأسرة الإنسانية، والقضاء على عوامل التشرذم والتفرق فيها من أهم الأهداف التي جاء الإسلام لتحقيقها، على صعيد الحياة الدنيوية هذه.

ولعل من أبرز ما يجسّد هذا الهدف ويؤكده، كلمة "الحبل" التي عبر بها القرآن عن الاسلام، ثمّ أمرُه الناس جميعاً بالاعتصام بهذا الحبل الذي يمنعهم من التفرق بمقدار ما يمنعهم في الوقت ذاته من الضياع والهلاك، وذلك في قوله عز وجل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران/١٠٣).

والقرآن مليء بعد ذلك بالآيات التي تنهى عن التفرق والشقاق، وتوصي بالوحدة والاتفاق وتهيب بالناس، كل الناس، أن لا يكونوا كالجماعات والأقوام الذين خلوا من قبلهم، إذ أعرضوا عن السبيل العريض الذي يوحدهم ويجمع شملهم، واستعاضوا عنها بسبل متعرجة شتى، تفرقوا في متاهاتها، حيث أسلمتهم بدورها إلى أودية الضياع.

ألم يقل: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ (آل عمران/ ١٠٥).

أو لم يقل أيضاً: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام/١٥٣) .

ولكن ما هو المعنى المحدد للوحدة التي جاء الإسلام لتحقيقها ثم لحمايتها؟

إن من المهم جداً أن نطرح هذا السؤال، ولعل من أهم ما يحوجنا إلى طرحه، أن الناس كانوا، ولا يزالون، على الرغم من الحقيقة الإنسانية الواحدة الجامعة لهم، مختلفين في كثير من مشاربهم وعاداتهم، وأساليب تعاملهم مع الحياة ومرافقها، بل كانوا، ولا يزالون مختلفين في لغاتهم وألوانهم وانتماءاتهم العرقية والقومية.

من أجل هذا، كان لا بّد من أن نتبيّن الحجم المحدد المطلوب لهذه الوحدة التي جاء الإسلام لإقامتها، ثم لحمايتها وتغذيتها، بحيث تدرك أن الخطب فيما وراء هذا الحجم يسير، وإن الوحدة إذا تم نسيجها داخل حدود هذا الحجم، عاد الاختلاف فيما وراء ذلك صوراً من التعدد الهامشي لا ضرر فيها ولا خطر منها.

إن الوحدة المطلوبة هنا، هي وحدة الرؤية العقلية إلى الكون والإنسان والحياة، بحيث يصدر الناس جميعاً من عقيدة واحدة بحقيقة الإنسان والحياة التي يتمتع بها، وبالمكونات التي من حوله، وليس المعنّي بحبل الله في الآية السابق ذكرها إلا هذه العقيدة العقلية الشاملة، أما إضافة الحبل إلى الله، فلأن الذي عرّفنا بهذه الحقائق الثلاث على وجهها الصحيح إنما هو الله عز وجل، بل لا يملك أحد غير الله عز وجل الذي تفرد بخلق كل شيء، أن يعرفنا بها، ويبصرنا بهويتها.

ومن المعلوم أن الناس إن صدروا عن عقيدة واحدة في فهم هذه العناصر الثلاثة الجامعة لمعنى الكون، لا بد أن يتفقوا على أصول واحدة في التعامل مع الكون على أساسها، وهذه هي التي تشكل بدورها نسيج وحدتهم وتضامنهم،هذه الأصول هي:

١ــ الأخوة الإنسانية.

٢ــ وعبودية الإنسان لله.

٣ــ وحدة المبدأ والمصير في حياة الانسان.

فإذا اجتمع شمل الأسرة الإنسانية تحت مظلة هذه الأصول، فمن حق أفرادها بل من مقتضيات الفطرة في حياتهم أن تتلوّن منهم الخبرات والعادات وأساليب الحياة تماماً كما تتفاوت منهم القدرات، وتتعدد الألوان، وتتنوع اللغات، **هذه هي الحرية التي أعطاها الإسلام للبشر**، وكلُّ ما سوى الأصول الثلاثة أعطى الإسلام للإنسان حرية إطلاق العنان لفكره في الإبداع والابتكار والتطوير والاجتهاد، في كل مجالات الحياة العلمية والعملية والتطبيقية، ما لم تتعارض مع الأصول الثلاث التي تحقق الوحدة الإنسانية، إن المطلع على التاريخ لا بد وأن يمر على أغلب الاختراعات العلمية والإبداعات الفكرية التي كانت على أيدي علماء ومفكرين مسلمين في حين كانت أوروبة غارقة في ظلام الجهل والتخلف والتعصب الكنسي، ولابد أن يعترف أن عصر

التنوير والنهضة الأوروبية قامت على أنقاض الدولة الإسلامية التي أهلكتها الحروب الاستعمارية بغية نهب تراثها وحضارتها وقوتها.

إن ما نشهده اليوم من تقييد للحرية الفكرية و تعصب تجاه الإبداع والإنتاج الفكري والعلمي إنما هو نتيجة غرس خبيث زرعه أعداء المسلمين في عقول قدواتهم ومربيهم ليوقفوا عن طريقهم المد الحضاري للدعوة الإسلامية، فألبسوها ما ليس من فيها من التعصب والمغالاة، ليس ذلك وحسب بل اتهموها في أصول تشريعها وحدودها التي فرضها الله عز وجل في الكتب السماوية السابقة قبل أن يفرضها في شريعة المسلمين، وجعلوا من هذه الحدود مثالاً فاسداً على تقييد حرية الإنسان في سلوكه وأفعاله، وهنا يأتي سؤال جديد، **هل حقاً تتعارض حرية الإنسان مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية من العقوبات على ارتكاب بعض المحرمات كالقتل والسرقة والزنا...؟**

لدى دراسة أحكام الحدود في الفقه الإسلامي يتبين لنا أنَّ مجال دراستها واسع وكبير ونلاحظ من خلال هذه الدراسة أموراً هامَّة:

أولاً: أن مدار فرض هذه الحدود هو بالدرجة الأولى الردع عن الإتيان بها، لما يترتب عليها من مفاسد في حق المسلم لنفسه،وفي حق أفراد مجتمعه.

ثانياً: أن الشروط الكثيرة التي وضعها الشارع الحكيم لتحقيق الحد تجعل تطبيق الحد إنما يتم في أضيق الحالات، وعلى سبيل المثال: شروط ثبوت حد الزنا: ١- أن يكون الزاني بالمرأة بالغاً عاقلاً حراً مختاراً عالماً بالتحريم.

٢- أن تكون عملية الجماع كاملة بكل أركانها.

٣-انتفاء الشبهة، فلا حد فيمن جامع امرأة ظاناً أنها زوجته.

٤- ثبوت واقعة الزنا:إما بالإقرار، أو بالشهادة (رجلين اثنين مسلمين عدلين رأيا الواقعة كاملة). أو بحمل المرأة التي لازوج لها.

وأمام هذه الشروط نجد أن تطبيق حد الزنا لن يتم إلا في أندر الحالات، ولعلها تكون من جملة حالات المجاهرة والخروج عن الآداب العامة وخدش الحياء التي تستلزم إيقاع عقوبة رادعة.

ثالثاً: أن عقوبات المعاصي التي فيها هدر لحقوق الله كشرب الخمر، مثلاً لا تتقرر إلا في حق من أعلن عن إيمانه بحقائق الإسلام، مما يعني بالضرورة أنه أعلن عن خضوعه لأحكامها السلوكية، فكان من حقّ القضاء أن يُلاحقه بتطبيقها، أما من لم يُذعن بعدُ لمبادئ الإسلام وأركانه لا يُلاحق قضائياً أي في دار الدنيا إلا فيما يتعلق بموضوع الردة، الموضوع الذي أثار جدلاً واسعاً في تعريفه وتحديد عقوبته، والذي أشكل على كثير من الدارسين المسلمين وغير المسلمين، لذا سنفصل فيه فيما سيأتي.

الرِّدَّة وأحكامها: تعريف الرِّدَّة: هي تَركُ الإسلام بعد اعتناقه، وأؤكد على شرط: " بعد اعتناقه " بنيةٍ أو قولِ كفر أو فعل، سواء استهزاءً أو عناداً أو اعتقاداً.

وللمرتدّ حالتان:الأولى: أن يُمارس قناعاته الجديدة بينه وبين نفسه، ويمسك عن إعلانها بين الناس.

الثانية: أن يُصِرَّ على إعلان رِدَّتِه، وأن يَتَبَاهى بأفكاره المناقضة لِمَا كان عليه من الإيمان بالله وملائكته وكتبه معتزّاً بها، ويسعى إلى تشكيك الناس بعقائدهم ومبادئهم الإسلامية، فهذا عَـــــزْمُ الحِرابة في نفسه واضحٌ إلى درجة القطع واليقين، كما كان شأن المرتدين عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقد أعلنوا من خلال رِدّتهم الحربَ على المسلمين، ولهذا وصف النبي ﷺ المرتدّ بـــ: (المفارق للجماعة)، فالمراد هنا جماعة المسلمين بكلّ مقوّماتها الدينية والوطنية والسياسية.

ومفهوم الحِرابة: يُطلق عندما تَظهر وتَتجلى لنا أدلّة واضحة ثابتة على تبييت نية العدوان، أو ثبوت التخطيط للعدوان، أو الْمُباغتة العدوانية، وهو المعنى المتداول حتى بين الدول بعضها مع بعض، لذلك فإن المرتد في حالته الثانية يُعتبر عازماً على الحِرابة مُستعلناً بها؛ نظراً لِما صَاحَبَ ردَّته من تصرفات معادية.والسبب في اعتبار هذه الحالة نوعاً من الـــحِرابة، هو أن الدولة الإسلامية تحيط بها دائماً قوىً استعمارية طامعة، وتبحث في داخله عن أُجراء وعملاء أو خارجين عن مجتمعهم ودين أمَّتهم لتوظِّفهم كأسلحة فعّالة في تمزيق وحدة المسلمين تمهيداً لاختراقاتهم الاستعمارية وعملياتهم العسكرية.

حُـــكم الـــمُرتدّ:

١- حُكم الحالة الأولى: أي الإنسان الذي يُعاني من شُبُهاتٍ زَعزعت يَقينه الإيماني، وجعلته يعاني بينه وبين نفسه من تَخبُّطٍ فِكريٍّ أو تَبنِّي اعتقاداتٍ معاكسةٍ أو أخذ يُعلن عنها ضِمن أسرته فقط ؛ فهذا لا يُـــلاحَق بأي عُقوبةٍ أو حَدٍّ، بل يَظلُّ مَحميّاً بمبدأ: (لا إكراهَ في الدّين)، لأن حالته لا تَدلُّ على أنّه يواجه المسلمين بالحِرابة، وبالتالي لا يصح مقابلته بالحرابة وإقامة الحد عليه.

٢- **حُكم الحالة الثانية:** أي الذي أعلن عن رِدَّته وأخذ يَنشُرُ أفكاره ويسعى إلى تشكيك الناس بعقائدهم ومبادئهم الإسلامية، فإن صاحب هذه الحالة يُلاحَق، وللحاكم فقط – وفقط – أن يَنظر في أمرهِ وسُبُلِ القضاء على خطره بما يَراه في مَصلحةِ الأمة، فله أن يَحبسه أو يُضيِّق عليه، أو يُحاوره في أمرِ الشُّبهات التي اعتمدَ عليها في ارتداده، وله أن يَقتله إن رأى ذلك، قال رسول الله ﷺ: " لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنِّي رَسولُ اللهِ، إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزّانِي، والنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، والتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفارِقُ لِلْجَماعَة" [١]. ومُوجب العقوبة هنا ليس مُجرد الكفر بعد الإسلام، وإنما هو عند جمهور الفقهاء بسبب ما تتضمنه رِدَّة المرتد من إعلانه الحرابة على المسلمين، وبما أنّ مُقاومةَ الـــحِرابة،أيّـــــاً كان مصدرها هي من اختصاص إمام المسلمين وحده، وليست من اختصاص الأفراد، فلا يَجوزُ لأَفراد الناس أياً كانوا أن يَحكموا على المرتدّ أو يُلاحقوه بالعقوبة، وهذا بإجماع الفقهاء، بل للحاكم أن يُعاقِبَ قَاتِل الـــمُرتدِّ عُقوبةً قد تصل إلى القتل فيما يراه المالكية.ولذلك فقد ذكر بعض الفقهاء أن المرأة لا تُـــــقتل بسبب الرِّدّة ؛ لكونها لا تتأتّى منها الحِرابة، واستدلّوا على ذلك بأن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء في الحروب.

ويطرح هنا سؤال آخر: هل يعتبر مرتكب واحد من باقي الحدود (كترك الصلاة، وشرب الخمر، وأخذ الربا...) مرتداً أو كافراً؟ وهل يعد اعتبار الحدود التي حرمها الله تقييداً لحرية الإنسان الفكرية أو السلوكية؟

---

[١]- رواه أبو داوود، عن عبد الله بن مسعود، سنن أبي داوود، رقم ٤٣٥٢، سكت عنه.

الجواب: جرت من قبائح هذا الزمان أن نطلق على من ابتلي بالمعاصي من المؤمنين بالمرتد أو الكافر، هذا الإطلاق بحد ذاته حد يعاقب عليه الشارع، فلا يجوز بحال من الأحوال أن نطلق على المؤمن العاصي مرتداً أو كافراً، حسبما مر معنا من تعريف الردة وأحكامها، وهذا أصل من أصول العقيدة الإسلامية، فأن أي مرتكب كبيرة أو حد من حدود الله يستتاب مرة واثنتان وثلاثة، فإن لم يتب فينظر في ظروف ارتكابه للمعصية، فإن لم تكتمل شروطها حسب ما وضع الشارع الحكيم فإنه يعزر بعقوبة يحددها القاضي، وإن اكتملت شروط هذه المعصية فإنه يحد بأمر الحاكم والحاكم فقط. وعند موته يعامل معاملة المسلمين الكاملة.

وعلى هذا فلا يعتبر مرتكب الكبيرة أو فاعل الحد مرتداً، وإنما هو مسلم تلحق به جميع أحكام المسلمين و ما لهم وما عليهم، وإنما يطلق عليه عاص ٍ، وتطبق عليه الحدود من باب التأديب و الاستتابة، و لا يحق لأحد أن يطبق عليه أحد هذه العقوبات إلا حاكم المسلمين ومن ولي أمرهم بكامل رضاهم،

أضف إلى هذا: أن هذه الحدود ليس فيها تقييد لحرية الإنسان السلوكية، بل إنها تتعلق بمحرمات شدد التشريع الإسلامي في التحذير والابتعاد عنها صيانة للضروريات الإنسانية الخمسة الأساسية وهي: الحفاظ على الدين.. والنفس.. والعقل.. والمال.. والعرض، فإذا استهان الإنسان بأحد هذه الضروريات الخمس وأضر بها بفعل أحد الكبائر وفق شروط تجعل جرمه كاملاً تجاه هذه الضروريات عندها يحق للحاكم إقامة الحد عليه. وبالمقابل فإن العبد ما صان هذه الضروريات الخمسة فله فيما عداها ممارسة حريته الكاملة (الفكرية والاجتماعية والمذهبية والسلوكية).

المبحث الثاني: الإسلام وخطر التطرف:

التطرف: تعددت تعريفات مصطلح التطرف، وتنوعت مفاهيمه، إلا انها جميعا تشير إلى معنى واحد، وهو تجاوز حد الاعتدال، والتطرف أنواع، فهناك التطرف الديني والتطرف الاجتماعي، والتطرف السياسي، والتطرف الفكري، ومرادنا من البحث هو حصراً التطرف الديني، وهو بالتعريف العدول عن الوسطية والاعتدال التي نزلت بها

الشرائع السماوية جمعاء، وإظهار العداء للآخر ممن لا ينتمي للجماعة التي تحمل هذا الفكر.

والتطرف مستويات: المستوى الأول منه هو التطرف الديني العقلي، حيث يعتنق صاحبه أفكار تحمل التعصب والمغالاة و التشدد مبتعداً عن السماحة والتوسط والرحمة التي يتحلى بها المؤمن الحق.

وتبدأ أسباب هذا التشدد من:

١- قلة العلم.

٢- الخوف الزائد من فتن المجتمع.

٣- الطبع الجلالي الغلاب..

وأما علاماته فهي:

١-رؤية التيسير تسيباً..

٢- التنافر مع صاحب الرأي المخالف.

المستوى الثاني: التطرف الديني السلوكي: حيث ينتقل صاحبه من الفكر إلى التطبيق فيظهر التطرف في سلوكه مع الآخرين مع نشر هذا الفكر بين أقرانه.

المستوى الثالث: العنف والإرهاب: وهو أسوأ مراحل التطرف، وسنتحدث عنه مفصلاً فيما سيأتي.

لا شك أن التطرف يبدأ من انحراف الفكر... يبدأ من شتات العقل قبل أن يترجم بالسلوك، وقبل أن ينتهي بالعنف والإرهاب، لذلك كان لا بد في محاربته من البدء بتصحيح الفكر، وتقويم العقل، إن التطرف ليس انحراف الدين، ولكنه انحراف العقل عن الدين، وليس تشوه في التشريع، ولكنه تشويه الفكر للتشريع. وحتى يتسنى تصحيح الفكر وتقويم العقل لا بد من العودة بهما إلى الدين الصحيح والتشريع القويم من خلال أمرين لا ثالث لهما: الوسطية والاعتدال.

الوسطية في الاعتقاد والسلوك هي الحل الوحيد لمشكلة التّطرّف:

إن الحديث عن الوسطية حديث عن أبرز سمة وأخص مزية وصف الله عز وجل بها هذه الأمة بعبارة واضحة صريحة في آية من محكم كتابه، وهي قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ (البقرة/١٤٣) ، فما المراد بهذه الوسطية التي امتن الله بها علينا، ونحن جيل من أجيال هذه الأمة التي أكرمها الله بشرف الانتساب إلى خاتم الأنبياء محمد؟ وما هي مَظاهرها التي تبرز بل تنضبط وتتحدد فيها؟ ومن أين بَرزت قيمتها حتى أضفت على الأمة الإسلامية جمعاء هذه القيمة الكبرى التي نَوَّهَ بها القرآن، وميزها بها عن سائر الأمم والجماعات الأخرى؟.

أصل الوسطية في اللغة والمراد بها:

يقول علماء اللغة العربية: وسط الشيء ما بين طرفيه، فهو اسم لما بين طرفي الشيء، كقولهم: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح، وجلست وسط الدار، ولما كان أفضل أجزاء الشيء قلبه ولبه البعيدين عن طرفيه وأطرافه، فقد كان وسط الشيء أفضل ما فيه، وينسحب هذا على الأشياء المادية، كما ينطبق على الأمور المعنوية.

أما الأشياء المادية فمن المعلوم أن قيمتها الصافية إنما تكمن في لبابها، وكلما ابتعدت عن اللباب مُقترباً إلى الأطراف ابتعدت عن صفاء جوهره، وواجهك منه المزيج الخارجي المتسلل إليه.

وأما الأمور المعنوية فَلبابها ما يَقضي به العقل ويُقرره العلم، وأي ابتعاد عن هذا اللباب يُوقع الإنسان في فَلَكِ الأوهام الفكرية أو الرعونات النفسية، والشأن فيها أن تَزُجَّ بِصاحبها إلى أحد طرفي الإفراط أو التفريط. وهذا اللُّباب الذي تُحَدِّه دائماً دائرة العقل والعلم هو المعني بكلمة "العدل" في كل الأحوال وبالنسبة إلى سائر القضايا.

وهذا هو المعني بكلمة "الوسط" في قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة / ١٤٣)، أي أمة عادلة في منهجها الفكري وقانونها السلوكي.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسولُ اللهِ في تَفْسيرِ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: قالَ: عَدْلاً [١].

وهذا الوصف إنما هو في أصله للإسلام الذي شَرَّف الله به عباده جميعاً، وحَصَّنَ به عقولهم من غلواء الإفراط والتفريط في فهم الأشياء والتعامل مع الحياة، ولكن كثيراً من الأمم السابقة شَتَّتْ بِفِكرها وسلوكها عن هذا الحصن، فكان أن وقعت في براثن الإفراط أو التفريط.

فاليهود مثلاً، وقعوا في عُسْف التقصير والإساءة في حق أنبيائهم، مِن تَكذيب أو تقتيل، كما قد أخبر عنهم الله عز وجل.

والنصارى وقعوا في نقيض ذلك من الإفراط والغلو في تمجيدهم، إذ أَلَّهُوا عِيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، فَرَفَعُوه إلى سُدَّةِ الرُّبُوبية مع الله عز وجل.

أما هَذه الأمة، فقد حماها الله عز وجل في مَجموعها مِن التَعَسُّفِ ومن الغلو ولطف بها، إذ وفقها للتشبث بالعدل الذي هو لباب العقل وثمرة العلم، فلم تنحرف نحو شذوذ من الإفراط أو التفريط.

ولا يزال البيان الإلهي يذكرنا بهذا الفضل العظيم، ويأمرنا أن ندعوه في كل ركعة من صلاة بأن يُثَبِّتَنا على هذا المنهج العدل الذي عُرِفنَا به وحَبَّبَهُ إلينا، وألا يدعنا نحيد عنه حَيدةَ تِلك الأمم التائهة الأخرى، فهذا هو معنى خطابنا لله عز وجل في كل صلاة:

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (الفاتحة/ ٧) .

وإذ قد ثبت أن هذا الدين هو المنهج العدل واللُّباب الذي يتفاعل معه يقين العقل وقرار العلم دون جُنوح إلى أي إفراط أو تفريط، فلا بُدَّ أن تتجلى حَقيقة هذا العَدل الذي يَتَّسِمُ به في كل من أصوله الاعتقادية أو أحكامه السلوكية.

---

[١] – رواه البخاري، عن أبي سعيد الخدري، الجامع الصحيح، رقم ٧٣٤٩.

ولنبدأ بإيضاح هذه الحقيقة في المبادئ والأصول الاعتقادية، إذ هي المنطلق والأساس، ومنها تتفرع سائر الأحكام والآداب السلوكية على اختلافها وتنوعها.

ومن المعلوم لنا جميعاً أن بنيان العقيدة الإسلامية يتمثل في الإيمان الجازم بالله ووحدانية وصفاته، ثم الإيمان برسله وأنبياءه وكتبه المنزلة عليهم وملائكته واليوم الآخر، وبكل ما أخبرنا عنه وأمرنا به في كتابه المنزل على سيدنا محمد خاتم رسله وأنبيائه.

وإنما يتجلى معنى الوسطية في الإيمان بالله عز وجل من خلال السبيل الذي يَسره الله عز وجل لنا إليه، وهو يتمثل في ميزان دقيق يتكون من كفتين متعادلتين هما: العقل والنقل.

فلقد مَتَّعَ الله الإنسان بالعقل ليجعل له مِصباحاً يُبَصِّره بحقيقة هذا الكون، ويَهديه إلى خالقه ومكونه، ثم أنبأه بقصة نشأته والحكمة من خَلقه والمهام الملقاة على عاتقه، والمراحل والتقلبات التي هو مُقبِلٌ عليها دون ريب بعد حياته الدنيوية هذه، وهي حقائق لا يستطيع العقل وحده أن يَستقل بمعرفتها والوصول إليها، وإنما السبيل إلى هذه المعرفة أن يُقدم إليه من هذه الأنباء ما يَكون مَوضوعاً لتأملاته ومحوراً لحركته ونشاطه.

ولو ترك الإنسان مَع العقل وحده في رحله البحث عن الحقيقة، لَوَقع في متاهات لا حدود لها، ولَتَخبَّط في ضلالات وأوهام لا نجاة منها، ولكان مَصيره في أحسن الأحوال، كمصير أولئك الفلاسفة الذين أسلموا مقادهم في طريق معرفة الله إلى العقل وحده، ثم دَفعوه دفعاً في طريق وعرة لا قِبل له بمعرفة شيء من معالمها، ولا سند له فيها إلا بوارق الفطرة الكامنة في أغوار النفس الإنسانية، فلما عجز العقل أن يأتيهم من جهده بشيء، تخيلوه مرة في الأفلاك العظيمة المحيطة بالكون، ومرة في العقول الكبرى التي قالوا: إنها هي التي تُدبِّر نظام الموجودات وتُسَيِّرُ دفة الأكوان...، أما في أسوأ الأحوال فمصيرهم كمصير أولئك الذين أَلَّهوا الحجارة أو الأشجار أو دانوا بالعبودية للنيران أو الأبقار!.

أما لو تُرك الإنسان مع أدلة النقل والأخبار وحدها، فإنه لن يجد بينه وبينها أي جِسر يبعث في فكره تفاعلاً أو تجاوباً، ولسوف يمر من جانب تلك الأخبار والنقول كما يمرُّ السُّكارى، دون أي التفات إليها أو تأثر بها، ومن ثم فإنه لن يَبتغي بالإلحاد

والجحود بديلاً، فإن رأيته قد تحلى مع ذلك بشعار الإيمان ومظاهر الإسلام، فذلك منبعث لديه من عامل العصبية أو التقليد ليس غير، كما هو شأن كثير من الناس اليوم، ومثل هذا الإيمان أو الإسلام لا يُصلح لصاحبه حالاً ولا يُقربه إلى الله مثقال ذرة.

فكان من فضل الله على عباده أن وضعهم على منهج يدعمه كل من دليلي العقل والنقل معاً، ومن ثم فقد كان لا بُدَّ لهذا المنهج أن يَهديهم إلى القصد الذي يَتقبله العقل ولا يُخالفه، ويَسير بَعيداً عن كل إفراطٍ وتفريطٍ.

وما شرَدَ أولئك الذين تاهوا عن جادة القصد نحو أيِّ غُلُوٍّ ذات اليمين أو ذات الشمال، إلا بمقدار ما أجحفوا وجاروا في الاحتكام إلى كفتي العقل والنقل من الميزان المنهجي الذي أكرم الله عز وجل به عباده، وإنما تتجلَّى نِسبة غُلُوِّهم بمقدار نسبة إهمالهم لإحدى هاتين الكفتين وانصرافهم إلى الأخرى.

فالمعتزلة مَثلاً لما بَالغوا في تَوظيف العقل والاعتماد عليه – مُعرضين بمقابل ذلك عن النقل وضوابطه – ابتعدوا بقدر ذلك عن جادة العدل وأوسط الأمر، وانقذفوا أشواطاً نحو غُلُوِّ الفلاسفة وتطرفهم الذي أشرنا إليه، وفي غمار شرودهم هذا استجابوا لما تخيلته عقولهم الكليلة من أن الإنسان هو الخالق لأفعاله الصادرة منه، وأن مِن المستحيل أن يَرى ربه يوم القيامة، وأن إرادة الله تعالى لا تَتعلق بالمعاصي والشرور.

والجبرية والمجسدة لما بَالغوا في إهمال العقل، وصفدوا أذهانهم في أغلال من ظواهر الألفاظ والنصوص، نسبوا إلى الله الجبر وجردوا الإنسان من أي إرادة واختيار، وساووا بين الله ومخلوقاته في كثير من المعاني والصفات.

ومن الواضح أن كُلاً من هذين التصورين يمثل شُروداً خَطيراً عن الوسطية التي يَرسمها كتاب الله عز وجل، ويُوصي الناس باتخاذها مِيزاناً في فَهم حَقائق الكون والتعامل مع أصول المعايش والحياة، ألا يرونه يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام /١٥٣).

غير أن التربية القرآنية تجعل الإنسان المؤمن في حِصن حَصين يَقيه شَرَّ تِلك الغوائل، إذ يَحتمي منها بوسطية عاطفية تنسجها في أعماق وجدانه تلك التربية القرآنية المثلى، وتتكفل بالمحافظة على جَذوة الإيمان بالله يَقيناً صافياً في العقل وتأثيراً موجهاً في

العاطفة والنفس، كما تضمن له في الوقت ذاته التعامل مع أسباب الحياة والتعاون مع إخوانه في النهوض بعمارة الأرض وإقامة الحضارة الإنسانية المثلى فيها على أساس علمي سليم.

كما أنَّ المنهج القرآني يَصرف الإنسان عن التأمل في ذات الله عز وجل والبحث في كُنهِه إن صح التعبير إلى بيان صفاته العلية التي تفرد بها، وإلى تنزهه عن النقائص التي يُمكن أن يتخيَّلها الذهن، فإن تجاوزت الآيات القرآنية هذا البيان، لم تزد على تأكيد أنه عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ (الشورى/١١)، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص/٣)، وذلك حجزاً للفكر أو الخيال الإنساني عن أن يَشتط في التأمل أو التخيل، فيقع في المتاهات الباطلة، ويخلع على الخالق ما هو مُنزه عنه من أحوال المخلوقين وصفاتهم.

وسطية الإسلام في الفروع والأحكام السلوكية

يتعرَّض الإنسان في سلوكه لأنواعٍ كثيرةٍ من الجنوح نحو الإفراط أو التفريط، وجُلُّ ذلك يتفرع من عاملين اثنين لا ثالث لهما:

العامل الأول: عدم معرفة الإنسان ذاته معرفةً صحيحة، [فيتسلط عليه حب النفس، والعجب والكبر]. وهذا الأمر الذي لا بُدَّ أن يزج به على الأغلب في إفراط من الكبر والطغيان، أو أن يُوقعه في تفريط من المهانة والضعف، ومن هذا الإفراط أو التفريط يتكون أحد شطري الفساد في المجتمعات الإنسانية، منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا.

العامل الثاني: عدم تعرف الإنسان إلى حقيقة المكونات التي من حوله، ومدى أهميتها في حياته، [الأمر بالذي يتجلى في حب الدنيا]،،فإن هذا الجهل لا بُدَّ هو الآخر أن يزج في إفراطٍ من التعلق بها والركون إليها، أو في تفريط من الإدبار عنها ونفض اليدين منها، ومن هذا الغلو الثاني يتكون الشطر الآخر من فساد المجتمعات الإنسانية قديماً وحديثاً. ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إن قلنا، إن سائر مظاهر الجنوح السلوكي في حياة المجتمعات والأفراد، متفرعة عن هذين العاملين الخطيرين، ولكن تعالوا

فلننظر، كيف وضعت التربية الربانية من خلال التعاليم الإسلامية، الميزان الدقيق أمام بَصيرة الإنسان ليستعمله فيتقي به مزالق الجنوح إلى أي إفراط أو تفريط، بصدد أيّ من العاملين المذكورين وليتخذ لنفسه في ضوء هذا الميزان سبيلاً عدلاً وسطاً إلى التعامل مع ذاته وبني جنسه، والتعامل مع الدنيا وكل ما فيها من المكونات.

ولنبدأ ببيان معالجة الإسلام للعامل الأول، وحسبنا في هذه الدراسة أن نعتمد على كتاب الله عز وجل، الذي هو الدعامة الأساسية والأصل الأول لدين الله عز وجل.

يُنَبِّه القرآن الإنسان إلى ذاته الإنسانية من خِلال تبصيره بحقيقتين اثنتين، داخلتين في قوامه، وتكوينه الإنساني وإن كان بينهما في الظاهر ما يُشبه التناقض أو التضاد:

الحقيقة الأولى: أنَّه مَخلوقٌ أَصلُه من تراب، وسلالته من ماء مهين، والشأن فيه إنْ طالت به الحياة أنْ يعود إلى أَرذل العمر، فلا يعلم بعد علم شيئاً، وينسى معظم ما كان يذكره، وأن تخور منه القوة والعزيمة فينتهي إلى مثل ضعف الطفولة الأولى.

ولنصغ إلى بعض من الآيات التي تبصّر الإنسان بهذه الحقيقة:

- ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَآ شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ (عبس/ ١٧-٢٢) .
- ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ (الطارق/٥-٧).
- ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ (يس/ ٧٧) .
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ (الروم / ٥٤) .

أما **الحقيقة الثانية** التي تُشَكِّل الشطر الآخر من الهوية الإنسانية فيما يُبصرنا به القرآن، فهي: أن الإنسان هو ذاك المخلوق المكرم على سائر المخلوقات، وأنه ذاك الذي استأهل أن يُكلِّفَ اللهُ الملائكة بالسجود له، مُتمثلاً في شخص أبيه آدم عليه الصلاة والسلام، وأنه الذي شرفه اللهُ بالخلافة فوق هذه الأرض، وأنه المخلوق الوحيد الذي جهزه الله بالعقل والفكر والقدرة على إدارة الأمور وتسخير كثير من المكونات له.

ولنُصغ أيضاً إلى بعض من الآيات القرآنية التي تُبَصِّرُ الإنسان بهذه الحقيقة الثانية من ذاته:

- ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء / ٧٠) .
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر/ ٢٨) .
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان/ ٢٠).

فما وجه تركيز القرآن على كل من هاتين الحقيقتين معاً؟

وجه ذلك أن الإنسان لا يَتأَتَّى له أن يُعمر هذه الأرض عِمارة حَضارية سَليمة، ولا أن يُقيم دعائم السلم الإنساني مُتوجة بالكرامة الإنسانية الصافية، إلا إذا عَاش في ظل هذه التربية القرآنية التي تُغذيه بكل من هاتين الحقيقتين معاً، وذلك بأن يظل متذكراً أصل خلقته، وحقيقة نهايته لِيمارس بذلك عبوديته لله عز وجل، وأن يكون على علم في الوقت ذاته بما قد مَتَّعَهُ الله به من صفات وملكات نادرة، وبما قَد مَيزه به من سُمُوٍّ في الرُّتبة والمكانة على كثير من المخلوقات، لِيَتأتى له أن ينهض بوظائفه في الحياة.

ذلك لأن مَن عاش لا يَتبصر مِن ذاته إلا مَظاهر ضعفها، جَدير به أن يَركن إلى ضعفٍ يَجعله ضَحيةً لِطغيان الجبابرة والمتكبرين، ويُبعده عن القُدرة على إنجاز أيِّ عَمل أو خِدمة إنسانية مما قد حمله الله تعالى مَسؤولية النهوض به، ومَن عاش وهو لا يَعرف من ذاته إلا أنه الإنسان المكرم الذي يَملك مِن المزايا والطاقات ما يُخوله أن يَبسط لنفسه حكماً وسلطاناً على كل من حوله ودونه، جَدير به أن يَسكر بنشوة تلك الصفات، وأن يَجعل مِن نَفسه حَاكماً من دون الله عز وجل يَبسط قَهر رُبوبيته الزائفة على سائر مَن حوله من المستضعفين.

والآن فلنتأمل في معالجة الإسلام للعامل الثاني، وقد قلنا: إن جُلَّ عوامل الإفراط والتفريط في حياة الإنسان السلوكية مُتفرعة من عاملين اثنين: أولهما عدم معرفة الإنسان ذاته معرفة صحيحة كاملة، ثانيهما عدم تعرف الإنسان إلى حقيقة المكونات التي من حوله ومدى أهميتها في حياته. ونقول باختصار في بيان كيفية معالجة الإسلام لهذا العامل الثاني: الحقيقة أن القرآن يَعرف الإنسان على المكونات التي من حوله ومدى أهميتها، بالطريقة ذاتها التي عرفه بها على ذاته وهويته، فإن القرآن يبدأ فينبه الإنسان إلى أنها

أعراض تافهة زائلة، ويُحذره من أن ينخدع بها أو يركن إليها. وإننا لننظر فنجده يُؤكد بأن مُعظم هذا الذي يَبرق في الأعين مَرآه وتَستهوي النفوس لذته، إن هو إلا سراب باطل وظل زائل، وأنه أشبه بالرؤى التي يمر بها النائم، يَظن وهو في نومه أنه أمام حقائق يُمارسها ويتقلب فيها، وما هو إلا أن يَستيقظ حتى يَعلم أنه كان في حُلم لا حقيقة له. وإن القرآن لَيفيض بالآيات التي تَتفنن في إبراز هذه الحقيقة، ولنستعرض طائفة منها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ (آل عمران/ ١٤)، ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ (آل عمرن:١٩٦)، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ (طه/١٣١)، ولو أنَّا تأملنا هذه الآيات وحدها ووقفنا عندها في السعي إلى معرفة الموقف الذي يجب اتخاذه من الدنيا وأسبابها، إذن لوجدنا أنفسنا أمام ضرورة نبذها واطراحها ونفض اليدين منها، ولما كان يحق لنا أن نأخذ منها إلا قدر الضرورة وبلغة الحياة، ذلك هو الخطأ الذي انجر إليه بعض ممن وقفوا عند حدود هذه الآيات وظاهرها، ولم يَصلوها بما يتمم بيان المقصود منها، من آيات كثيرة أخرى، ففسروا الزهد على غير وجهه المطلوب، ثم طبقوه بصورة لم يَأت بها كتاب ولا أيدتها سنة، إذ هجروا العمران وانساحوا في القفر من الأرض، واتخذوا من الكهوف مثابة لهم، ولم يحملوا أنفسهم مَؤونة أسرة يُنشئونها أو رزق يَكدحون من أجله، ولم يَكتَفُوا بهذا الذي فَعلوه بأنفسهم حتى أخذوا يَدعون الناس جميعاً إلى اتباعهم في ذلك، زاعمين أن سلوكهم هذا هو المعني بالزهد الذي أَمرت به تلك الآيات وأمثالها، ولكن البيان الإلهي لم يَقف في شرح حقيقة الدنيا وبيان قيمتها عند حدود تلك الآيات التي عَبَّرت فِعلاً عن تفاهتها وحذرت من الركون إليها، بل عَاد الخطاب الإلهي فَنَدَبَنَا على الرغم مما وصفها به إلى التعامل معها، وأمرنا بمد يد الاستفادة إليها، بل حذرنا من التأثم في الإقدام عليها.

ولنصغ إلى طائفة من هذه الآيات، ولنتأمل كيف تَبدو وكأنها استدراك على ما قد يَفهمه الإنسان من تلك الآيات السابقة، يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (الأعراف/ ٣٢)، ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة/٨٧)، ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة/ ٢٩)، هذه الآية عُمدة علماء

الشريعة الإسلامية في أن الأصل في الأشياء كلها الإباحة، ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك/ ١٥).

وتتلاقى تفاصيل هذه الآيات وغيرها مُجتمعة في قوله عز وجل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود/٦١)، أي كلَّفكم بعمارتها، بأوسع ما تدل عليه كلمة العمارة من معنى، ومن هنا يَتبدى لنا أن تِلك الآيات التي أوضح الله فيها هوان الدنيا وتفاهتها، ما يَنبغي أن تُفهم بمعزل عن هذه الآيات الأخرى التي بَين الله فيها واجب الإنسان تجاهها.

ولكن، ما الحكمة من هذا المد والجزر؟ وكيف السبيل إلى التوفيق بين هاتين الطائفتين من الآيات؟ أي كيف يتأتى للإنسان أن يغرس في نفسه القناعة التامة بأن الدنيا بكل ما فيها ظل زائل وسراب باطل، ووهم لا يجوز الانخداع به، ثم أن يُقبل عليها مع ذلك متتبعاً خيراتها مستفيداً من ذُخرها، يَبني لنفسه من ظلها وسرابها قصوراً شامخة ويُنشئ منها جناناً وارفة؟

والجواب: أن الحديث عن هذه الحكمة حديث طويل، وهي بجملتها تنطوي على الحل الوحيد لتلك العقدة الكبرى التي كانت وما تزال تَقف في طريق السعي إلى إنشاء مجتمعات أو حضارات إنسانية مُثلى تحمل في داخلها أسباب بقائها.

ذلك لأن مجموع هذين البيانين المتقابلين عن قيمة الدنيا والموقف الذي يجب أن يَقفه الإنسان منها، يُعبر عن شرط أساسي هام يجب أن يَأخذ الإنسان نفسه به عند الإقبال إلى الدنيا والتعامل معها ؛ ألا وهو أن يُمارس الناس دُنياهم وأسباب معايشهم بدافع وظيفي وبروح استشعار للمسؤولية الملقاة على عاتقهم ؛ لا بدافع التعلق بها والتعشق النفسي لها! ولن يتحقق ذلك بطبيعة الحال إلا إذا اجتثت محبة الدنيا ومُغرياتها من قلوبهم، وأدركوا تفاهتها وخطورة الاغترار بها، وهيهات أن يتم ذلك إلا بعد اليقين بوجود الخالق عز وجل، ثم الإصغاء بثقة ويقين إلى بيانه هذا عن حقيقة الدنيا وقيمتها. فإذا استيقن الناس ذلك فإن أفئدتهم لن تقع في أسر الدنيا ومغرياتها، وستتحرر نفوسهم ولا ريب مِن بلاء التعلق بها والتعشق لها. فإذا كلفهم الله بعد ذلك باستخدامها لعمارة

الأرض وإنشاء المجتمع الإنساني السليم فوقها، فسيقبلون إلى ذلك كله إقبال من قد كلف بأمر ؛ فهو ينشط من أجل ذلك في سبيل تحقيقه وإنجازه.

وإن في تاريخ ذلك الرعيل الأول لتجارب كثيرة تجسد هذه الحقيقة، وتغذي العقول الحرة بما شاءت من معاني العبرة، وفي استعراض سريع نَمُرُّ بطائفة من هذه التجارب عسى أن تنير الفجاج المظلمة التي يتطوح فيها كثير من الحيارى أو التائهون اليوم.

أولى هذه التجارب تبدو في حياة المصطفى ؛ فقد سيقت إليه الدنيا ذات يوم وهو يمر بأحلك ظروف الدعوة وأشدها عسراً والتواء عليه، ممثلة في الملك والمال والزعامة والنساء، على أن يتخلى عن الإسلام الذي بعث به، فماذا لو أنه عليه الصلاة والسلام أقبل إلى هذا الذي عرض عليه بسائق الرغبة الغريزية والتعلق النفسي؟ إذن لخسر الدعوة ونتائجها، ولما تمتع بالملك والمال إلا إلى أمد قصير، أقصاه نهاية حياته عليه الصلاة والسلام، ثم ينتهي كل شيء ويزول المال والملك، ولا تنهض حضارة ولا تتحقق رسالة ولا ينتشر دين، ولكنه نظر إلى الدينا التي عرضت عليه من خلال قرار عقله وتفكيره، ومن مستوى المسؤولية التي كان يتحملها، فترفع عليها وأشاح بوجهه عنها، وهو يُعَلِّم الناس والأجيال أن خير سبيل إلى الاستفادة من الدينا والهيمنة عليها أن يحرر الإنسان نفسه من سلطانها.

أما التجربة الثانية فهي تجربة الهجرة إلى المدينة المنورة، فقد شاء الله تعالى أن يَقوم تعارض حاد بين ما يمتلكه أصحاب رسول الله من وطن وعقار ومال، وما وقر في نفوسهم من حقائق الإسلام وضرورة النهوض بأحكامه ومسؤولياته، فماذا يصنعون؟

لقد اتخذوا قرارهم بقيادة رسول الله ﷺ وهجروا الوطن والعقار والمال، بل تقطع كثير منهم حتى عن الأهل والأولاد، واتجهوا شطر يثرب التي كانت تعاني آنذاك من سوء المناخ وتفوح بأنواع الوباء! فماذا كانت نتيجة التجربة؟ لقد أعاد الله إليهم الوطن الذي تركوه، وامتدت لهم منه أوطان كثيرة أخرى، وفتح الله عليهم بدلاً من الأموال القليلة التي تخلوا عنها أبواباً عَريضة من الثروة والغنى، ودان لهم أولئك الذين أخرجوهم من الديار وساموهم ألوان العذاب!

وبوسعنا أن نجد تجارب سلوكية كثيرة في حياة رسول الله ﷺ وحياة أصحابه والتابعين من بعدهم، جاءت تطبيقاً للتعليمات القرآنية لكيفية التعامل مع الدنيا، بل مع الكون والحياة عموماً، وهي تتلخص كما علمنا في أن يتحرر الإنسان من حبها وذل التعلق بها من خلال التأمل الدائم في الصفات التي وصفها الله عز وجل بها، ثم يقبل عليها فيستخدمها أداة مُسخرة في بناء المجتمع الإنساني الرشيد الذي أمر الله تعالى ببنائه. وإن في نشأة الحضارة الإسلامية التي آذنت بزوال عهود الحضارات الأخرى ما يُجسد هذه الحقيقة أروع تجسيد، ولعل سياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبرزت الوجه الدقيق لتطبيق هذا القانون الرباني الذي يَرسم كيفية التعامل مع الحياة ومكوناتها، حتى لكأنَّه في ذلك يُعَلِّمُ أئمة المسلمين وحكامهم بعد رسول الله ﷺ كيفية تطبيق هذا القانون، وكيفية استخدام الدنيا من خلالها إلى أبعد مدى ممكن، فلقد مصّر الأمصار، وبنى الكوفة والبصرة، وأشرف بنفسه على هندسة البناء واتساع الشوارع ومدى ارتفاع البنيان، وشرع في إنشاء أسطول من السفن، ونظم لأول مرة نظاماً لصادرات الدولة وارداتها، وسهر على رفع مستوى الدخل، وسدّ حاجات الجند، ووجه المسلمين إلى أخذ زمام التجارة من الأنباط.

روي أن عمر بن الخطاب دخل السوق في خلافته، فلم ير فيه الغالب إلا النبط، فاغتم لذلك، فلما اجتمع الناس عاتبهم على ترك السوق والأعمال التجارية، فقالوا: إن الله أغنانا عن السوق بما فتح علينا، فقال رضي الله عنه: والله لئن فعلتم ليحتاجن رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم. ولكن عمر ظل على الرغم من انهماكه في ذلك كله لا يُؤْثِر على مَرْقَعَتِه البالية أي ثوب، وبَقيَ يَسير في حياته الشخصية على صراط من الزهد والاخشيشان، وهو لو شاء أن يتجمَّل في لباسه ويُرفِّه عن نفسه ويعطيها حقَّها من الدنيا، لما وجد ما يمنعه من ذلك.

ألا فلنعلم أن أولئك الناس من الرعيل الأول الذين نشأت على أيديهم الحضارة الإسلامية، لو لم يَستهينوا بالدنيا ويَضعوها من المهانة في الموضع الذي جعلها الله فيه، إذن لوقعوا في نطاق جاذبيتها، وإذن لما نالهم منها إلا سيلان اللعاب وراءها، ولارتدّوا إلى أوطانهم خائبين خاسرين، ولكنهم التزموا الوسطيّة التي رباهم الإسلام عليها، وهي

استخراج حب الدنيا وأهوائها من القلب، ثم سوقها من زمام التسخير والاستخدام لعمارة الأرض وإقامة المجتمع الإسلامي الصحيح، فأخضع الله لهم الدنيا من أقطارها، وسيَّرَها وراءهم بمقدار ما تسامَوا عليها.

وأخيراً: دعونا نوضح مفهوماً أرجو أن يكون جامعاً عن وسطية الإسلام ؛ إذ يسعى بالإنسان في طريق سليم مُعتدل نحو تحقيق سائر حاجاته وأشواقه الإنسانية المختلفة، في تناسق مُطرد وتوازن دقيق. إن الإنسان كما نعلم ثلاثي التركيب، فهو مُؤلف من هذا الهيكل الجسدي، ومن الغرائز الحيوانية المبثوثة في كيانه التي تُشكِّل قاسِمَاً مُشتركاً بينه وبين سائر الحيوانات الأخرى، ومن الروح التي هي سرٌّ لا مَطمع في معرفة حقيقته، هذا السر الذي يَنعكس على الدماغ فيكون إدراكاً وعقلاً، ويُشرق على القلب فَينعكس عليه عَواطفَ ووجْدانًا، ويَسري في خلايا الجسم فيكون شعوراً وإحساساً. وهذه الروح ليست عبارة عن الحياة التي يحدها المعنى الطبي، كما يتوهم بعض الناس، إنما هي سرٌّ هابطٌ من الملأ الأعلى، ألا ترون إلى قوله عز وجل وهو يحكي خطابه للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾(الحجر/٢٩)، كيف نسب هذه الروح إلى ذاته، تنويهاً بشرفها وسمو رتبتها، وإجلالاً لها عن أن يحيط بكنهها عقل إنسان؟ ومن الثابت يقيناً أن كلاً من هذه العناصر الثلاثة التي ركب منها الإنسان يحتاج إلى غذائه الذي يناسبه، وما الإسلام في حقيقته إلا مائدة عامرة رصفت فوقها هذه الأنواع الثلاثة من الأغذية في تناسق واعتدال ؛ فنوع منها للجسد ومتطلباته، ونوع للغرائز الحيوانية التي تعيش في كيانه، ونوع آخر للروح وأسرارها.

إننا إن عدنا على الإسلام في جوهره وتفاصيله، فلن نجده أكثر من دعوة للإنسان ذي التركيب الثلاثي إلى أن ينظر إلى كيانه هذا فيتبينه، ويتعرَّف على حقيقته، ثم يُقْبِل على تغذيته تغذيةً كاملة، دون أنْ يُهمل واحدًا من الأركان الثلاثة التي يتألَّف منها، فلا يدع الجسم لمصلحة الروح ولا يهمل الروح لمصلحة الغرائز، لا بل عليه أن يُدرك أنَّه إن فعل شيئًا من ذلك عاد بالضرر إلى أجزائه الإنسانية كلها، فإهمال الروح وتزكيتها يعود بالضرر على مصالح كل من الغريزة والجسد، سواء في كينونته الفردية أم

في تركيبه الجماعي، كما أن إهمال الجسم أو الغرائز لا بدَّ أن يعود بالضرر إلى مصالح الروح ذاتها.

ولقد ورد كلام رائع ودقيق في هذا الصدد لشاعر باكستان وفيلسوفها محمد إقبال،حيث ذكر إن الإسلام يُقرِّر أَنَّ الإنسان وحدةً كاملة، دون فصل في الأحكام والمصائر بين المادة والروح ؛ فالقربات التعبدية والمصالح الدنيوية ومساجد العبادة ومناصب الرئاسة وميادين العمل في المادة والروح إنما هي أجزاء متعددة لكلٍّ واحد، فإن هذا الإنسان لم يَسكن عالماً نجساً يتحتم عليه أن يتخلص منه بالهجرة إلى عالم روحي نقي، فالمادة التي تَرقى بها تعاليم الإسلام وتنظمها ليست سوى شكل من أشكال الروح ومَظهر آخر لها في حُدود الزمان والمكان.

وقد نَجد بَعض الناس قديماً وحديثاً يُطلقون على الاهتمام بالروح جنباً إلى جنب مع الاهتمام بالجسد وغرائزه اسم التصوف وهذا اصطلاح أُطلق على علم تزكية النفس، ومهما يكن: فإنَّ الميزان الذي يَضع الإنسان من حياته الفكرية والسلوكية على صراط الوسطية والاعتدال، إنما هو الإسلام في مجموعه، ذلك لأن الله عز وجل عندما خاطب الإنسان المبجل في عينه والمكرم لديه، إنما نَبهه إلى حقائق، وأمره بأوامر، لم تكن في مجموعها أكثر من لباس فصل على قدر كيانه، فكأنه يقول له: هذا هو كيانك الإنساني فاعرفه، وذلك هو الثوب المفصل على قدرك فالبسه واعتز به، واجعله وقايةً لك وحِرْزًا في رحلة هذه الحياة التي تجتازها فوق هذه الأرض.

وإنما تَمَّ نَسيج لُحْمة هذا الثوب وسُداه، وتمَّ تَقْويمُه وتَفْصيلُه بِهديٍ من كتاب الله وسنة رسوله عليه أزكى الصلاة والسلام، فمن غُمَّ عليه أمره أو أعوزه أن يعرف كيفية ارتدائه واستعماله، فإنما مَرجعه في ذلك كتاب الله وسنة رسوله .

نسأل الله أن يَجعلنا بمنه وكرمه من أولئك الذين صدق عليهم قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة/١٤٣).

المبحث الثالث: موقف الإسلام من العنف في العالم:

الإسلام ودعوة السلم والوحدة الإنسانية:

لا ريب أن السِّلم هو مَطمح آمال المجتمعات الإنسانية كلها، إذ هو المناخ الذي يتحقق فيه الأمن وتشيع فيه الطمأنينة.

ولكن السِّلم ليس شيئاً يصنعه الإنسان، أو عملاً يُمارسه، وإنما هو رَغبة في النفس ومَقصدٌ من أهم مقاصد الإنسان، وإنما سَبيل الإنسان إلى تَحقيق رَغباته والوصول إلى مَقاصده، أن يَبحث عن الأسباب الموصلة إلى تلك الرغبات والمقاصد، فَيُمارسها ويَعكف على إنجازها.

فما هو السبب السلوكي الموصل إلى السِّلم؟

ما هي الوسيلة التي إِنْ تَمَّتْ مُمارستها تَحقَّقت في المجتمع الإنساني حقيقة السِّلم؟

لا توجد إلا وسيلة واحدة لبلوغ هذا المقصد، إنه ممارسة العدالة في علاقة الإنسان مع الإنسان. ومن الواضح أن هذه الممارسة لا تتأَتَّى من شخصٍ واحد، إذ هي علاقة سلوكية تسري ما بين الأشخاص، تتلخَّص في عدم العدوان على حقوق الآخرين، وعدم التقصير في النهوض بالواجبات المرعية تجاه الآخرين، وإِنَّما يتمُّ ذلك بسلوكيات نوعية متبادلة.

إذن فالعدل هو الوسيلة السلوكية المتبادلة التي تُوصل المجتمع إلى مناخ السلم، ومِن ثم تُحقِّق في حياة أفراده الأمن والطمأنينة، وإذا غاب العدل غاب معه الطريق الموصل إلى السِّلْم.

ولما كان القرآن الذي هو خطاب الله الموجه إلى عباده جميعاً، يَتضمَّن دَعوةً مُلِحَّةً إلى سلوك السبيل المؤدي إلى واحة السلم، وذلك في مِثل قول الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ (البقرة/٢٠٨)، فقد ركَّز في تعريفه للسبيل المؤدي إليه تركيزاً كبيراً مُؤكداً على ضرورة ممارسة العدل في العلاقات الإنسانية

جمعاء، بل إنه يَأمر النَّاس باللجوء إلى هذا الميزان في كل الأحوال ومع الآخرين أياً كانوا، وأياً كان نوع العلاقة معهم.

لنتأمَّل في هذه التوصيات وتأكيد الأمر بها بمختلف الأساليب:

- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (المائدة/ ٢) .
- ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (الأنعام / ١٥٢) .
- ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء/٥٨) .
- ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (النحل/ ٩٠) .
- ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(الحجرات/٩).

إن هذه الأوامر المتكرِّرة بأساليبها المتنوعة، والموجهة إلى الناس جميعاً للانضباط بموازين العدل ليس إلا تفسيراً لكلمة (ادْخُلُوا) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة/ ٢٠٨)، إنها بيان للمدخل الذي لا بدَّ منه ولا بديل عنه سبيلاً إلى السلم.

وإذ قد ذكرنا معنى العدالة قبل قليل، وهو باختصار شديد: رعاية الحقوق والواجبات، فمن اليسير إذن أن نَعلم أن التَّطرُّف هو الجنوح عن هذه الرعاية، فكأن العدل هو الطريق الآمن العريض الذي تتلاقى على السير فيه الأسرة الإنسانية جمعاء، والتَّطرُّف هو الجنوح عنه شارداً ذات اليمين أو ذات اليسار، ولا ريب أن هذا الجنوح إذ يبتعد بصاحبه عن صراط العدل، لا بدَّ أن يَزُجَّه في لون من ألوان الظلم، إذ هما نقيضان، إن غَاب أحدهما حلَّ الآخر مكانه، وإذا وقع الظلم انقدحت مِن جَرَّاء ذلك شرارة الفتن، وما هو إلا أن تَعصف رياحها برواق السلم وتقضي عليه.

والآن ... وعلى ضوء ما قد تم بيانه، نستطيع أن نُبرِزَ مَعنى "الإرهاب"، هذا المعنى الذي ظل مخبوءاً عن الكلمة المعبرة عنه، على الرغم من إلحاح كثير من الدول والمجتمعات الإنسانية، على الذين فَاجَئُوا العالم بهذا المصطلح، واتخذوا مِنه فَتيلاً لإشعال نار الحروب، أن يكشفوا للعالم المعنى الخفي الذي يقصدونه به.

تعريف الإرهاب:

"الإرهاب": بمعناه العام: هو كل جُهد يَهدف إلى العَبث بميزان العدالة ويُلِحُّ على اغتصاب الحقوق انتصاراً للذَّات واعتماداً على مبررات القوة التي لا يَتمتع بها الآخرون.

وهو بهذا التعريف: يشمل الإرهاب عن طريق ممارسة العنف و حمل السلاح والإفساد في الأرض، والإرهاب عن طريق استغلال النفوذ والاتجار بلقمة العيش، والإرهاب عن طريق استغلال القوة و استعباد النساء والأطفال، والإرهاب الفكري: الذي يحمل على غسل الأدمغة وتسخيرها لهدم المجتمعات والحضارات الإنسانية، وكل ما من شأنه أن يفضي إلى الفوضى وتزعزع السلم و استقرار الوحدة الإنسانية.

لقد ركزت القوى العظمى على الإرهاب بالمعنى الخاص والمحدود وهو حمل السلاح والإفساد في الأرض وادعت محاربته في حين أنها دعمت أشكال الإرهاب الأخرى وسعت بشكل أو بآخر إلى تدمير الحضارة الإنسانية و تشويه الأديان السماوية التي ارتقت بهذه الحضارة إلى أرقى مستوياتها.

ولنقسم الإرهاب وفق ما ذكر إلى قسمين:

القسم الأول: الإرهاب عن طريق غسل الأدمغة وتسخيرها لهدم المجتمعات والحضارات الإنسانية.

القسم الثاني: الإرهاب عن طريق استعمال السلاح والإفساد في الأرض وزعزعت السلام العالمي.

أما القسم الأول فعلى الرغم من خطورته البالغة فإن محاربته تكمن في طريق واحد: وهو التنوير وإعمال العقل في فهم الشريعة الإسلامية، والعودة بها إلى أصولها على الشكل الذي أنزلت به على خاتم النبيين محمد ﷺ، لقد شوه أعداء الدين صورة الإسلام، وخلطوا به ما لم يكن يوماً منه، فكان كمن ألقى قليل الخل في كثير العسل، فأفسد العسل كله، وقدموه على هذه الصورة المشوهة لأتباعه، فتناولوه دون إعمال عقولهم فيما صح منه مما لم يصح فكانت النتيجة أن ضلوا وأضلوا وعثوا في الإرض إفساداً في العقول أشد مما فعل إرهابيوا السلاح من إفساد الأرض، وليس الإرهاب الفكري إلا مقدمة للإرهاب العملي، فحتى نتمكن من محاربة إرهاب السلاح، لا بد من

محاربة إرهاب الفكر بالعودة إلى الكتاب العزيز والسنة والنبوية المطهرة، والتشريع الحنيف كما نزل من السماء دون تشويه أو تشويب.

فإذا تم ذلك انتقلنا إلى القسم الثاني، وهو إرهاب السلاح ، فكيف السبيل إلى حماية الطريق إلى السلام لئلا لا يُنسَفَ بأسلحة الإرهاب، فتحجز المجتمعات الإنسانية أو أكثرها من السلام الذي تنشده، إذ يَقوم بينها وبينه بَرزخ من القَطيعة وفَجوة عميقة مما أحدثته يد الإرهاب.

السبيل إلى ذلك اتِّباع القانون الذي أخَذَنا به بيانُ الله القائل: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة/ ١٧٩) .

وبعبارة أخرى: السبيل إلى ذلك الضَّربُ على أيدي المتربصين بالسلام، وإنما يكون الضرب على أيديهم بإنزال العقاب المكافئ لجريمتهم، وإنه لَلسِّياجُ الذي لا بُدَّ منه لحماية السلام.

والجدير بالذكر أنه لم تَرِد في القرآن ألفاظُ الجِهَاد والقتال، إلا تعبيراً عن هذا المبدأ، وليس فيه آية تدعو إلى الجهاد أو القتال، إلا ضِدَّ مَن يُصِرُّون على إبعاد موازين العدالة عن الطريق إلى تحقيق رعوناتهم وإلى بسط سلطان بَغيهم على الآخرين، فإذا أقلع البُغَاةُ عن بَغيهم وجنحوا إلى السلم، وجب الكف عنهم ومدّ يد التعاون معهم على حراسة السلام وتعبيد الطريق إليه.

يبدو هذا جلياً في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة/ ١٩٠) .

ونَتَبَيَّنُهُ جَلياً أيضاً في قوله عز وجل: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة/٨).

ومن كان دَأبه أن يَتَتَبَّعَ كَلمات القتال والجهاد في القرآن، وأن يحصي أعدادها، ثم يَقطعها عن المناسبات والجمل التي أُحيطت بها، ليتأتى له أن يَزعم أن القرآن قَاموسٌ إرهابي يُصدر إلى الناس أوامر القتل والبغي والجهاد، فَمُشكلته أنه يُعمي عَينيه عن ألفاظ العفو والصفح واللطف والعدل والقسط التي يَفيض بها القرآن الكريم، وهي لو أحصاها لبلغت أضعاف ما يَتَتَبَّعُهُ مِن ألفاظ القتال والجهاد، على أن الألفاظ أياً كانت عندما

تَكون مُفردات في القاموس، لم تُستعمل بَعدُ للتعبير بها عن حكم أو قرار، فهي كالمادة الخَام قَابلة لأن تُوَجَّه إلى أي غَرض أو استصناع، وما لم يَتِمَّ إدخالها في طور الاستصناع والاستعمال فهي إذن لَيست أكثر مِن مُجَرَّدِ قَابليات لأي توجيه أو صنع.

على أن العَدالة إن غَابت وحَلَّ مَحلها الظلم، فإن مِن الممكن أن تَهتاج لَوَاعج الظلم في نفس المظلوم، فَيقضى على بعض البُرَآء في طريق انتقامه من الظالم، ولكن مَرَدَّ هَذا التصرف إلى الثورة التي يُحدِثُهَا الظلم في نفس المظلوم، وقد نهى القرآن عن ذلك، وأمر المظلوم أن لا يُسرف في الثأر أو الانتقام لنفسه، بحيث يُزهق مع حياة المجرم الذي ظلمه أرواح حَاشيته مِن البُرَآء، ألم يقل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ (الإسراء/٣٣).

ولواعج الثأر من شأن الطبيعة الإنسانية عندما يَستشري الظلم في المجتمع، ويعتد القوي فيه بقوته إلى درجة أن يجعل منها بَديلاً عن القانون وتفسيراً للحق، وهذه اللواعج تَجتاح اليوم المجتمعات الغربية أكثر مما هي موجودة في مجتمعاتنا الإسلامية، وأياً كان الأمر فإن الشريعة الإسلامية تُلجمها بلجام التربية الدينية التي تتلقى غذاءها من عوامل الخوف من الله والاستسلام لحكمه وسلطانه، وإنا لنعلم أن في قوى الشر ما يَستثير هذه اللواعج في نفوس المظلومين، لِتدفعهم إلى تجاوزات تَتخطى حدود الشرائع والقوانين، كي تُلصق بهم تهمة الإرهاب، فيعثر المخططون لاستلاب الحقوق واستلاب الأوطان على المبررات الشكلية لذلك، وإنَّ في أرشيف الذاكرة لنماذج ومستمسكات كثيرة لذلك.

شبهة: هل يعد الجهاد في الإسلام إرهاباً؟ ومالفرق بين الجهاد والإرهاب؟

١- الجهاد في الإسلام.. أنواعه ودواعيه:

تعريف الجهاد: يعرف الجهاد في الإسلام بأنه: بَذلُ الجُهدِ في سبيل إعلاء كلمة الله، والتعريفِ بالحق الذي بعثت اللهُ به الرُّسُلَ والأنبياء، والدّعوةِ إلى التّمسك بهذا الحق.

أنواع الجهاد:

النوع الأول: هي ساحة الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتمُّ هذا الواجب من خلال التعريف بالإسلام ومبادئه، وإزالة الشبهات التي قد تتسلل إلى طريق فهمه والاقتناع به، والثّباتُ على الصَّدعِ بكلمة الحقّ مهما جرّ ذلك من أنواع الشِّدَّة والإيذاء، فهذا هو الأساس الأول في شرائع الجهاد وأحكامه،وهو الركن الركين فيه.

وقد استقرّ في أذهان الناس أن الجهاد إنما شُرِع بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، غير أن الحقيقة ليست كذلك، فالعهد المكِّيُّ من حياة رسول الله ﷺ حَفَلَ بالجهاد كما حَفَلَ به العهد المدنيّ، والقرآن المكِّيُّ تحدّث عن الجهاد وأمر به كالقرآن المدنيّ تماماً.

إننا نقرأ في سورة الفرقان –وهي مكّيّة كلُّها– قوله عزّ وجل: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان/٥٢)أي: جاهدهم بالقرآن وحُجَجه.

وسبب هذا الذي استقرّ في أذهان كثير من الناس أنهم حصروا الجهاد في معناه القتالي الذي شُرِعَ بعد الهجرة، ولقد أدّى هذا التصوّر إلى إزالة سِمَة الجهاد عن أهم أنواعه، وهو الجهاد باللسان والفكر والمال.

والحقيقة هي أنّ الجهاد القتالي في الشريعة الإسلامية ليس أكثر من العين الساهرة التي تحرس حقوق الأمة، وآية ذلك أن المسلمين عاشوا في مكة مع رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً يَتعرَّضون لأصناف من الاستهانة والإيذاء، دون أن يُؤذَن لهم بالجهاد، فلم يُقابل رسول الله ﷺ إيذاء المشركين له ولأصحابه بأي مقاومةٍ قتالية، بل كان جهاده ﷺ محصوراً في الثبات على الدعوة والصبر على الأذى، فحياةُ المصطفى ﷺ في مكة بعد البعثة والتي دامت ثلاثة عشر عاماً كانت مقرونةً بهذا النوع الذي هو أساسُ الجهاد في حياة المسلمين وفي الشريعة الإسلامية.

ثمّ شُرِع بعد ذلك الجهادُ القتالي نتيجةً لعوارض الظروف والأحوال، فهو بمثابةِ الدّواء الذي يُلجَأ إليه فراراً من الأوجاع والأمراض.

دليل الجهاد الدعوي: يُفتتح باب الجهاد في كتب الفقه عادة ببيان هذا الركن الأساس منه، حتى يتبين لكلِّ دارسٍ ومُستَبْصِرٍ أن الدعوة إلى الله هي الساحة الجهادية الأولى ؛ ثم يأتي دور الجهاد القتالي بأنواعه المختلفة، لكونه فرعاً عنها وحصناً لها، وهذا ما نص عليه فقهاء المسلمين في كتبهم.

• وإن جهاد النبي ﷺ منذ البعثة وحتى الهجرة كان بدعوته للمشركين باللسان، وإقامة الحجج والبراهين ورد الشبهات.

فعدم وجود نوع ثانٍ في ذلك الوقت دليلٌ على أن جهاد الدعوة هو الجهاد الأساس، والنوع الثاني وُجِدَ بَعد أن ثار الكافرون على تلك الدعوة بالصدّ وتهديد القائمين بها.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت/ ٣٣)، فقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً﴾ استفهامٌ تَعَجُّبِيٌّ لبيان أهمية هذا الجهاد، أي وهل يُوجد من هو أحسن شأناً وفعلاً وقولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين؟ فهذا هو أفضل أنواع الجهاد.

ما هي الحكمة من مشروعيّة الجهاد الدّعوي:

إن الله تعالى شرّفَنا بمعرفته ومن ثمّ فقد عَرَّفَنا على أنفسنا عبيداً مملوكين له، وغنيمة هذه المعرفة التي هي مِن أَجَلِّ النِّعَم التي أكرمنا الله بها أن نتوجَّهَ إلى إخواننا في الإنسانية، فنحاولَ جاهدين أن يَنعَموا بمثل هذه الـــمَكرُمَة التي أكرمنا الله سبحانه وتعالى بها.

غنيمةُ محبّة الله عزّ وجلَّ لنا إذْ فَتَح عُقولَنا لمعرفة ذاتِه وفتح أفئدتَنا لمحبَّته وتعظيمِه، أن نغارَ على إخواننا في الإنسانية، فنهديَهم إلى مثل ما هُدِينا إليه.

والسبيل إلى ذلك يتمثَّل في قائمة من الوظائف هي الجهاد، وأول بندٍ فيها هو الدعوة إلى الله بمُحاورة الآخرين ابتغاءَ شَدِّهم عن طريق العلم إلى معرفة الله والإيمان به، وفتح أفئدتهم لمحبّته ومَهابته.

فالدّعوة إلى الله هي نوع من أهم أنواع العبادة التي يُتَقرّبُ بها إلى الله سبحانه وتعالى، وهي من نوع المهمة التي بُعِث بها رسول الله ﷺ، مع فارقٍ واحدٍ هو أن محمداً ﷺ

كُلِّف أن يَنهض بهذه المهمة طبقاً للوحي الذي يُواكِبُه في دعوته باستمرار، أما أصحابُه والذين سيأتون من بعدهم ؛ فَمُهِمَّتُهم أن يَسلُكوا السبيلَ ذاتَه بالانضباط بالآداب التي سيتركها لهم، فهو ﷺ أُرسِل مُبلِّغاً، ونحن كُلِّفْنا أن نسير على نهجه، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب/ ٢١)، فَالدَّعوة إلى الله هي أساس الجهاد، وهي السُّـــلَّم لإقامة الدَّولة الإسلامية.

فالدَّولة الإسلامية إنما تتحقق بكلِّ أركانِها عن طريق الدَّعوة المستمرّة، حتى إذا نضجت الدّعوة في رؤوس الناس وآتَت ثِمَارَها ؛ سَنَجِد أن المجتمع يَتحوَّلُ بشكل آليٍّ إلى دولة إسلامية.

حكم الجهاد بالدعوة إلى الله:

الجهاد بالدعوة حُكم تبليغي يَشمل المسلمين عامة، خاطب الله تعالى به عِبَادَهُ فَرداً فَرداً، وأمر كُلاً مِنهم بالنهوض به دُونَ وِسَاطَةِ الأئمة والحكام، لكنه يَقِفُ عِندَ حُدود الوجوب أو الفرض الكفائي، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران/١٠٤).

وقد يَكون بِبَذلِ المال أو بالسفر لتعريف الناس بدين الله، أو بإزالة الاتهامات والشُّبُهات التي تُلصَق بالإسلام والرّدّ عليها بالطرق الموضوعية السليمة.

وأقلُّ مَسَاحَاتِ حَرَكَةِ المسلم ضِمنَ هَذِهِ الدَّعوَة هي أسرته، فعليه أن يَدعوَهم إلى الله عزَّ وجلّ، فإن تَأَتَّى له المزيدُ يَزيدُ المساحة شيئاً فشيئاً قدْرَ ثقافته وإمكاناته.

آداب الجهاد الدّعوي وشروطه:

- **العلم**: فالشريعة الإسلامية لا تُجيزُ لإنسانٍ أن يَعِظَ الناسَ مَوعظةً عاطفيةً وجدانيةً فارغةً من العِلم، ولا يُشتَرَطُ أن يكون مُطَّلِعاً على كلّ علوم الإسلام، بل يَكفيه أن يكونَ خَبيراً في الأمر الذي يُريد أن يُحاور الناس فيه، ولا بد أن يقترن العلم بالصلة بالله عز وجل ومراقبته في كل الأحوال مع طلب الإخلاص والقبول من الله عز وجل.

- **أن يَكون الداعي بصيراً بسُلَّم الأولويّات**: فَلَرُبَّمَا أراد أن يَنهى عن مُنكرٍ فَتَسَبَّبَ نَهيُه في وُقوعِ مُنكرٍ أَخطر منه، فيعلم أن عليه السكوت عن هذا المنكر ابتعاداً عما هو أخطر منه.

- **أن لا تَنبعث أعمال الدعوة الإسلامية إلا مِن شُعورٍ غَامِرٍ بالشفقة والرحمةِ لعباد الله جميعاً**: فعلى كُلِّ مَن جَنَّدَ نَفسهُ داعياً إلى الله أن يَجعلَ مِن قَلبِهِ وِعَاءً يَفيضُ بالرحمةِ لِعبادِ اللهِ كُلهم، على اختلافِ نِحَلِهِم وَمِلَلِهِم وَمَشَارِبِهِم واتجاهاتهم.

ولا يتحقق ذلك إلا بأن يُضَحِّي الداعي بحظوظه الشخصية ومصالحه الدنيوية في سبيل تحقيق الخير لهم جميعاً، وهيهات أن تَكون الدعوة هي المنطلق الجهادي الأول لو لم تَكن قائمة على هذا الشرط والأساس، أوليسَ هو القائل عن رسوله محمَّد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء/١٠٧)، واسمع قولَه ﷺ: "الرَّاحِمونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَن، ارْحَموا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماء"[١]. وروي أنَّ بعضَ أصحابه ﷺ: قالَ لهُ: يا رَسولَ الله، ادْعُ عَلى الْمُشْرِكين، فَقالَ ﷺ: "إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَة"[٢]. وقد صحَّ عنهُ ﷺ أنهُ لم يُطلَب مِنهُ الدعاء على أحدٍ من الناس، مسلماً كانَ أو كافراً، عموماً أو خصوصاً، إلا وعدَل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له بالرحمة والمغفرة والهداية.

فهيهات أن يكون الإنسان ناصحاً إذا كان مُبغضاً لمن يَنصح، وهذا لا يتعارض مع ما هو مُقَرَّرٌ من ضرورة البُغض في الله، لأنه لا يَعني أن تَكون في نَفس المسلم أيّ كراهية للشخص بالذّات، بل يتّجه البُغض إلى المعصية التي تَلبَّس بها أو الكفر الذي أصرّ عليه، وهذا في حقيقته ليس إلا معنىً من معاني الشفقة على شخص العاصي، وهذا ما عَـــنَاهُ سيدنا لوط -على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام- عندما قال لقومه فيما رواه ربُّه عنه: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ (الشعراء/ ١٦٨) فالداعي طبيب والْمَدعوّ مريض، والطبيب لا يكون طبيباً ناجحاً إلا إذا اندفع إلى تطبيب مريضه بدافع من الشفقة والرحمة.

---

[١] – رواه أبو داوود، عن عبد الله بن عمرو، سنن أبي داوود، رقم ٤٩٤١، سكت عنه.

[٢] – رواه مسلم، عن أبي هريرة، الجامع الصحيح، رقم ٢٥٩٩.

إن معنى البغض في الله أن يبغضَ المسلم من الشخص تلبسه بالمعاصي، بحيث لا تكون في نفسه أي كراهية لشخصه بالذات، ولا ريب أن مبعث هذا البغض إنما هو الغيرة عليه والمبالغة في حب الخير له.

ولا يتأتّى الوصول إلى هذه الدرجة إلا لمن طهر قلبه من الكراهية والأحقاد بكَثرة الذكر والالتجاءِ إلى الله في جوف الليل، أن يأخذه من نفسه ويجعله لا يرى إلا الْمُكوِّن، عندئذٍ يأتيه التجلي الرباني ويزول غَبَش الكراهية مما بينه وبين الناس، فيَنفذ كلامه إلى قلوبهم.

وصفوة القول أن الدعوة إلى الله عبادة بل عبودية ضارعة لله، يتجه بها الداعي إلى عقول الناس وقلوبهم، لإقناع الأولى بالحق، وتطهير الثانية من الأدران والآفات، وإنما يَنهض المجتمع الإسلامي بعقول تُؤمن بالحق وتذعن له، وقلوب اتجهت إلى الله بالخوف منه والحب له.

الدعوة إلى الله تقوم على الأمر بالمعروف دون إكراه أو إجبار:

فيجب أن تقف عند حدود التعريف والتذكير والنصح، فلا يجوز للداعي أن يتجاوز بها إلى درجة الإكراه والإلزام، وكم أكَّدَ البيان الإلهي هذه الحقيقة لرسول الله ﷺ، وكررها بأساليب شتى، من ذلك قولُ الله عزَّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (الغاشية/٢١-٢٤) ومن ذلكَ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (الشورى/٤٨) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾(الرعد/٤٠)،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس /٩٩).

ولاحظ أن في هذه الآيات ما هو مدني، أي نزل بعد مشروعية الجهاد القتالي، ومعنى هذا أن الدعوة لم تتحول -في عهدٍ ما- من نصحٍ اختياري إلى أمرٍ قسريّ. فالإسلام مُعتقد يَسري إلى العقل عن طريق العلم، ثم هو حُبٌّ يَسري إلى الفؤاد تعظيماً لحرمات الله وحباً له ومخافة ومهابة منه، والداعي إلى الله يستطيع أن يُرغم اللسان،

ولكنه لا يستطيع أن يدخل إلى قلب الـــمَدعوّ فيُرغمه على الإيمان، ولو أنه خوَّفه بالسلاح فنطق بالشهادة فالله تعالى لا يقبل منه ذلك، يقول رسول الله ﷺ: " إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلى أَجْسادِكُمْ وَلا إِلى صوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلوبِكُمْ"[1].

وهذا هو معنى قوله تعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة/٢٥٦)، فـــ(لا) هنا ليست ناهية، بل هي نافية لجنس الإكراه، أي حتى ولو أردتم إكراه الناس على الدِّين لا يتَأتّى لكم ذلك لأن قلوبهم بيد الله، والجملة هنا خَبريّةٌ وليست إنشائية.

وقد سارتِ الدعوة إلى الله في عهد رسول الله ﷺ، وفي عهد الصحابة والخلافة الراشدة من بعده على هذا المنوال، واتسمت بهذه الطبيعة، ونُسِجَ من ذلك تاريخ مشهود ومقروء ليس فيه أي غموض أو لَبس.

فعندما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح لم يُجبر أياً من أهلها على الإسلام، بل خطب فيهم قائلاً: " ما ترون أني صانع بكم" قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم، قال: " اذهبوا فأنتم الطلقاء"[2]. ولم يستقبل من المبايعين له إلا من سَاقَـــتْه إليه قدماه طوعاً ...، وغادر رسول الله ﷺ مكة وفيها عدد كبير من المشركين.

فلو كانت الدعوة إلى الله بالإجبار لكان هذا خَيرُ وَقتٍ له، فرسول الله ﷺ دخل مكة من أعلى قِمَمِ النصر، ومع ذلك لم يحمل أهلها على الإسلام، بل تركهم وفيهم مُشركون.

وقد رُوي عَنْ غُلامٍ لِعُمَرَ بنِ الخَطابِ رضي الله عنه اسمهُ وَسْقٍ كانَ نَصْرانيّاً، قالَ: كُنْتُ مَمْلوكاً لِعُمَرَ بْنِ الْخَطّاب، فَكانَ يَقولُ لي: (أَسْلِمْ، فَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ اسْتَعَنْتُ بِكَ عَلَى أَمانَةِ الْمُسْلِمين، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغي لي أَنْ أَسْتَعينَ عَلَى أَمانتِهِمْ بِمَنْ لَيْسَ مِنْهُم) قالَ: فَأَبَيْتُ، فَقالَ: ﴿لا إِكْراهَ في الدّين﴾، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفاةُ أَعْتَقَني، فَقالَ: (اذْهَبْ حَيْثُ شِئْت).

---

١ – رواه مسلم، عن أبي هريرة، الجامع الصحيح، رقم ٢٥٦٤.

٢ ــ رواه الألباني، فقه السيرة، ص٣٨٢. قال فيه حديث ضعيف، ولكنه روي من طرق أخرى.

أين تظهر ثمرة الجهاد الدّعَوي:

من المعلوم أن الإسلام أعطى الحرية لكل صاحب مذهب أو رأي أو اجتهاد أن يُعلن عن رأيه واجتهاده، وأن يدافع عنه بما يرى أنه الحق من الأدلة والحجج، فإن كان ذلك الرأي في حقيقته باطلاً مخالفاً لنصوص القرآن والسنة الصحيحة، فإن على أئمة الدِّين وعلمائه أن يَدحضوا الباطل بالحق، ويكشفوا عن الخطأ بالحوار والنقاش. وهذا هو النهج الذي سار عليه المسلمون في العصور الذهبية للإسلام، وفي عصر السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد تكاثرت فيه الفرق الجانحة، كالمعتزلة والمرجئة والحشوية والخوارج وغيرهم ....، فلم تُغلق في وجه أي منهم أبواب حرية البحث والنقاش وإعلان المذهب والرأي، بل كان مسجد البصرة والكوفة يَعج كل منهما بحلقات علمية تنتمي إلى كل هذه المذاهب وغيرها.

وعندما ذابت تلك المذاهب والفرق الجانحة، وانطوت في تيار السواد الأعظم الذي يُمثله أهل السنة والجماعة، لم يَكن ذلك نتيجة أي قَمع أو خَنق لأصوات تلك المذاهب أن تُعبر عن رأيها أو أن تُدلي بحجتها، وإنما كان نتيجة التلاقي المستمر في حلقات المناقشة والحوار، وها هو ذا سجل كثير من تلك المناقشات باقٍ ومتداول إلى هذا اليوم.

ولو جاز في الإسلام قَمعُ المذهب المخالف، لما تأتى الأمر بمجادلة أصحابه في قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾(النحل/١٢٥)، إذ كيف تتم مجادلة من لا يَملك أن يُعَبر آمناً مطمئناً عن رأيه.

الفرق بين الحركة الإسلامية وجهاد الدعوة إلى الله:

إن كلمة "الدعوة"تدلُّ على معنىً لا يَتحقَّقُ إلا من خلال طرفين اثنين:

– داعٍ يُرشد ويبيّن ويدعو.

– مَدعوّ يَنطق واقعه بالحاجة إلى مَن يُرشده ويُبين له الحق، ويأخذ بيده لِيُنهِضَهُ مِن عثراته الفكرية، ويُحرره مما عَلِقَ به مِن شُبهات وأوهام.

إن الدعوة التي يَفهمها ويُمارسها أكثر الجماعات الإسلامية اليوم، ليست أكثر من أنشطة تدورُ حصراً بين أفرادها أنفسهم! وتتمثل هذه الأنشطة –كما هو معروف–

في مناقشات تدور بينهم حول المستجد من أوضاع المسلمين، والمشكلات التي تطوف بهم أو يعانون منها، وفي تحليل وتقويم واقع الحكومات والأنظمة القائمة في بلادهم خاصّة، أو في البلاد الإسلامية عامة، ثم في رسم الخطط التي تتكفَّل بترسيخ وجود أفضل وأكثر قوة لهم، على طريق السعي للوصول إلى مناطق الحكم والنفوذ، ثم في التحرك التعاوني المنظم لتنفيذ هذه الخطط بالسبل المتنوعة الممكنة.

فهل هذه هي الدعوة التي أمر الله عزَّ وجلّ بها في قوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (النحل/ ١٢٥)، إنك لتنظر، فترى أن برزخاً كبيراً يفصل بين تلك الجماعات التي تنشَط نشاطها الحركي الذي أوضحناه، وهذا الخليط من التائهين والجانحين والجاهلين.

كلُّ هذا، في حين أن الإسلاميين أو الجماعات الإسلامية منصرفون إلى أنشطتهم الحركية الخاصة بهم والدائرة فيما بينهم، ومع ذلك فهم عند أنفسهم وقناعاتهم يُمثلون طليعةَ الدعاةِ إلى الله، من خلال هذا العمل الحركي!.فمجتمعاتنا العربية والإسلامية بمقدار ما تفور بأنشطة الجماعات الإسلامية المتكاثرة، تعاني من الفقرِ الشديد والركود الخطير في مجال أعمال الدعوة إلى الله!.

الداعي إلى الله بحق، يجيشُ وقودُ الدعوة بين جوانحه، في ضرام الحقيقة الربانية القائلة: " لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم "[1]، فهو يتجه بأمل الهداية إلى الأفئدة والعقول، ويتعلق منهُ الطمع بعد ذلك برضا علام الغيوب، وينتظر من حصاد دعوته تربيةً قويمةً تَشيعُ بينَ الأفراد، واستقامةً على الخُلُق السليم والسلوك الرشيد في علاقة ما بينهم على كل المستويات.

أما الْمُتحرِّك سعياً إلى نصرة جماعته أو حزبه، فهو إنما يتجه بهم في حركة تكتيكية إلى مقاليد الحكم، ومن ثَمَّ فهو أبعد ما يكون عن الاهتمام بإصلاح القلوب وإقناع العقول وتهذيب النفوس، وإنما همّه بل كلُّ همّه محصورٌ في أن يَقتنع الناس بضرورة إبلاغه إلى سدة الحكم والقيادة، ليُريَهم كيف يُفجّر لهم من نظامه الذي ينادي به جنة تزخر بأمواج السعادة للجميع.

---

[1] – رواه البخاري، عن سهل بن سعد، الجامع الصحيح، رقم ٣٧٠١.

ما السبيل إذن لإقامة الحكم الإسلامي؟

الجواب هو أن الله عزّ وجلّ قسَّم المهمة بيننا وبينه، فكلّفنا بقائمةٍ من الأمور، وضَمِن لنا قائمةً أخرى.

كلّفنا أن نقوم بواجب الدعوة إليه والتعريف بدينه، وقال لنا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ (النور/٥٥).

كلّفنا أن نقيم المجتمع الإسلامي بإيجاد أفراده الصالحين أولاً، والنهوض الحقيقي بهذا الواجب، وتكفل الله لنا ببقيّة الأمر، فالسبيل إلى سيادة الحكم الإسلامي والخضوعِ لسلطانه هو بثّ القناعة بالإسلام وعقائده في عقول الناس وأفكارهم، وأخذهم بالتربية الإيمانية عن طريق بثّ جذورها وعواملِها في نفوسهم، والثبات على ذلك في صبرٍ لا يَكلّ، فإنّ مآلَ ذلك أن تنتشر الهدايةُ في العقول والتزكية في النفوس، ولسوف يمتدّ من ذلك إشراقٌ إلى الحُكم ورجاله وأجهزته.

الجهاد القتالي:

لماذا شرع الله تعالى للمسلمين الجهاد القتالي؟

لم يكن للمسلمين في مكة وراء العقيدة التي يدعون إليها ويُحاورون في سبيلها أي حق ثابت ينهضون لحراسته ويقاتلون في سبيله إن اقتضى الأمر، ومن ثم لم يكن للجهاد القتالي أي موجب، ولم يكن له أي وجود آنذاك، بل لقد علمنا أن النبي ﷺ ما كان يَستقبل عدوان المشركين له إلا بمزيد من الشفقة عليهم والرحمة لهم! فما حَرَّك لِسانه بكلام قاسٍ لهم أو بدعاءٍ عليهم، حتى في أحلَكِ الساعات وأقسى الظروف التي مرت به وبالمسلمين في تلك السنوات الطوال التي أمضوها في مكة.

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد أسلم أكثر أهلها، نشأت أول دولة إسلامية بعد أن توفرت لها العناصر الثلاثة اللازمة لقيام أي دولة:

١- الأرض: حيث أصبح للمسلمين أرض تحميهم من أعدائهم، ويقدرون فيها على إظهار دينهم، وهي ما يُسمّى بـــ (دار الإسلام).

٢- الأمة الواحدة.

٣- النظام السُّلْطَويّ: الذي يَجمع الأمة الواحدة، وينظم العلاقة بين أفرادها ؛ مُكوّناً من أحكام الدين وتعاليمه.

فكان على المسلمين أن يَتحمّلوا مسؤولية حفظ هذه الـــمَكرمة التي أكرمهم الله بها، ويدفعوا غائلةَ الْمُعتدين الذين بَدؤوا يتحرَّكون خوفاً من اتساع سلطة الدولة الإسلامية، فشَرَعَ اللهُ تعالى لهم القتال حِفاظاً على هذه الدولة ودفاعاً عنها، ونزلت أول آية بشأنه وهي قوله عز وجلّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج/ ٣٩).

والملاحظ بالآية أن إذن القتال لمن قوتل، الإذن لمن قوتل من قبل غيه ظلماً وجوراً وبهتاناً، فرسول الله ﷺ لم يُقاتل في سبيل الحصول على دار الإسلام، ولم يُقاتل في سبيل بناء دولة إسلامية، أو إيجاد حشد من المسلمين تتألف منهم تلك الدولة ويتحقق بهم نظامها، وإنما قاتل بعد أن منحه الله ذلك كلَّه، حِراسةً له ودفاعاً عنه. فالجهاد القتالي إنما شرعه الله تعالى حِمايةً لموجود لا في سبيل إيجاد شيء معدوم.

وهذا هو سبب ارتباط مشروعية الجهاد القتالي بالهجرة إلى المدينة، وليس السبب -كما يتوهم البعض أنّ المسلمين كانوا في مكة قلة ضعفاء، إذ إن المسلمين كانوا في الكثير من المعارك التي خاضوها أقلّ من أعدائهم عدداً وأضعف عُدة، وقد غرس البيان الإلهي في قلوب المسلمين وعقولهم أن قِلَّتهم لن تكون سبباً لِتغلُّب الأعداء عليهم، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة/ ٢٤٩).

هل الجهاد القتالي لدرء الحرابة أم للقضاء على الكفر؟

مفهوم الحِرابة: يُطلق عندما تَظهر وتَتجلى لنا أدلّة واضحة ثابتة على تَبييت نية العدوان، أو ثبوت التخطيط للعدوان، أو الْمُباغتة العدوانية. وهو المعنى المتداول حتى بين الدول بعضها مع بعض.

وتدلّ الآيات الصريحة في كتاب الله تعالى على أنّ مُوجب قتال المسلمين لغيرهم إنما هو العدوان الصادر منهم، وهي آيات كثيرة نزلت في سور متفرقة، ومنها ما نزل قبل وفاة رسول الله ﷺ بأشهر.

منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة/ ٨).

كما تَدلُّ أحاديث رسول الله ﷺ على النَّهي عن مُقاتلة غير الذي يُواجه المسلمين بالقتال والعدوان وإن كانوا كفاراً، فلو كان الباعث على القتال كفراً لاستوى في موجب القتل هؤلاء وغيرهم.

كما يدل على ذلك وصية سيدنا أبي بكر لجيش أسامة رضي الله عنهم أجمعين، فقد جاء فيها: "إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْماً زَعَموا أَنَّهُمْ حبَسوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، فَذَرْهُمْ وَما زَعَموا أَنَّهُمْ حَبَّسوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، ... وَإِنّي موصيكَ بِعَشْرٍ: لاَ تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلاَ صَبياً، وَلاَ كَبيراً هَرِماً، وَلاَ تَقْطَعَنَّ شَجَراً مُثْمِراً، وَلاَ تُخَرِّبَنَّ عامِراً، وَلاَ تَعْقِرَنَّ شاةً وَلاَ بَعيراً، إِلاَّ لِمَأْكُلَةٍ، وَلاَ تَحْرِقَنَّ نَحْلاً، وَلاَ تُفَرِّقَنَّهُ، وَلاَ تَغْلُلْ، وَلاَ تَجْبُنْ".

تفيدنا الأدلة السابقة، وغيرها كثير، أن الكفر يُعالج بالدعوة والتبليغ والحوار، وأن الحرابة "العدوان" هي التي تُعالج بالقتال، وما من آية نزلت في الجهاد القتالي إلا ونرى فيها أو في الآيات التي تحيط بها ما يُبرز أنَّ علَّة القتال هي الحرابة، أو نية العدوان والقتال، سواء في ذلك ما نزل مباشرة بعد الهجرة أو في آخر حياة النبي ﷺ.

فالجهاد القتالي لم يُشرَع لـــجَبر الناس على الإسلام كما يحلو لبعض المفتئتين من محترفي الغزو الفكري أن يقولوا ومتى كان الإسلام الذي يُساق الإنسان إليه كرهاً إسلاماً مقبولاً عند الله؟! إذن لاسْتَوى المنافق والمؤمن في ميزان الله عز وجل، وأنى يكون ذلك؟! وإنما شُرِع لحالةٍ طارئةٍ وهي العداوة التي استشْرَت لدى القبائل العربية ضد

الدولة الإسلامية، وكذلك العداوة التي ظهرت من الحضارة الرومانية والساسانية والفُرس وغيرهم، والدليل على ذلك ما ذكرنا من القرآن والسُّنَّة وعمل الصحابة ومَن بعدَهم.

يتبين مما سبق عرضه أن مفهوم الجهاد في الإسلام يختلف كلياً عن مفهوم الإرهاب، فالإرهاب اعتداء على الحقوق، والجهاد دفاع عن الحقوق، الإرهاب خروج عن التشريع، والجهاد عين التشريع، الإرهاب قضاء على النظام، والجهاد إرساء للنظام. الإرهاب انتشار للفوضى، والجهاد قضاء على الفوضى.

فشتَّان ما بين المفهومين، وشتَّان مابين أحكام الاثنين. الجهاد في الإسلام قتال لإعلاء كلمة الله، وحفاظ على الضروريات الخمسة: الدين والنفس و العقل والعرض والمال، بينما الإرهاب إفساد في الأرض و إزهاق لهذه الضروريات الخمس.

لقد تبين لنا مما سبق أن الجهاد في الإسلام إنما شرع دفاعاً وليس ابتداءاً ضد المعتدين المحاربين للآمنين الغافلين، بينما نرى في أفعال الإرهاب اعتداء سافراً وابتداء على المسالمين الآمنين الغافلين. فالإرهاب والجهاد ضدان لا يمكن بحال أن يجتمعا، وإن تشابها في صورة حمل السلاح، فإن أسبابهما متضادة وأهدافهما متضادة ونتائجهما كذلك متضادة.

إن بين "الجهاد" بمعناه الإسلامي و"الإرهاب" بمعناه الذي نراه ونلمسه اليوم فرقٌ شاسع وواضح جداً لمن يريد أن يحكم على هذين اللفظين بما يرمزان إليه، وإن كان البعض ممّن سخَّر نفسه وقلمه لخدمة المستكبرين والجبابرة وخضع لقوّتهم وظلمهم أو لإغراءاتهم يحاول التلاعب بمعنى "الجهاد" ليجعله مرادفاً للإرهاب، كيف يجعل من يجعل ثقافة القتل ملتصقة بتعاليم الدين الحنيف؟

الجهاد من منظور الإسلام هو التهيّؤ والإستعداد للدفاع عن الدين أو الأمّة في مواجهة هجمات الأعداء الذين يريدون السيطرة على بلاد المسلمين وإذلالهم وإخضاعهم وسلب خيراتهم ومواردهم.

والأمور التي نجاهد في سبيلها هي "الدين، الأرض، العرض، النفس، والمال"، وهي المقاصد المطلوب رعايتها وحمايتها ويكون الجهاد في سبيل المشروع مباحاً، بل حتى واجباً إذا كان الخطر محدقاً بهذه المقاصد.

أمّا الإرهاب فهو كما قال عنه الباحثون: (الرعب الدموي والعدوان المادي والمعنوي والمسُّ بالأبرياء، والقيام بأعمالٍ من شأنها التأثير سياسيّاً وإجتماعياً ونفسياً على الجهة المقصودة لإرغامها على اتخاذ قرار أو تعديله وفق ما يريد الإرهابيون).

من هذا الفارق بين المعنيين يتبينّ لنا أنَّ الجهاد هو أمرٌ مشروعٌ لهدفٍ مشروع، بينما الإرهاب أمرٌ غير مشروعٍ سواء أكان الهدف المنشود مشروعاً أو غير مشروع، فمجرد مشروعية الهدف لا تجيز مشروعية الوسيلة إذا كانت تتضمن إعتداءً على الأنفس والأموال والأعراض وزعزعة أمن المجتمع والإخلال به.

وإذا كان الفارق واضحاً إلى هذا الحد الصريح بين المفهومين، فمن أين جاء الخلط بينهما ومحاولة جعلهما شيئاًواحداً، إذ لا بدّ أن وراء هذا الخلط جهةٌ أو جهات تريد تشويه صورة الجهاد المشرق في سبيل أهداف شريفة ومشروعة وبوسائل مشروعة أيضاً.

ولا شكّ في أنّ الجهة أو الجهات التي تعمل على تشويه صورة الجهاد وجعله إرهاباً هي الجهة المتضرّرة من الجهاد المشروع دفاعاً عن الأرض والنفس وحرية القرار واستعادة الكرامة، كما تسعى هذه الجهات مع القوى الدولية المتضرّرة إلى ضرب هذا الجهاد ومنعه من تحقيق أهدافه لكي تنعم بخيرات الأمّة.

والخلط بين مفهومي الجهاد والإرهاب وجعلهما مترادفين قد ينطلي على بعض الناس ممّن يرون تشابهاً ما بين نتائج المفهومين، لأنّ الجهاد المشروع ضدّ العدو ينتج عنه ضرر في الأنفس التي تستشهد وفي الأموال والممتلكات التي تدمّر، وانتفاء الأمن والسلام من حياة المجتمع المحتلّة أرضه، والإرهاب تنتج عنه نفس النتائج أيضاً لكن من دون وجود هدفٍ مشروع أو قد يكون مشروعاً لكن الوسائل المتّبعة للوصول إليها يرفض فيها الكثير من عدم المشروعية من الناحية الشرعية والإنسانية، وممّا يزيد في الخلط بين المفهومين في عصرنا الحاضر قوّة الإعلام الغربي ووسائله المتنوعة التي تسلّط الضوء

على حركات المقاومة والجهاد المشروع وتظهرها للناس في العالم كلّه على أنّها حركاتٌ إرهابية مدانة بينما هي في الواقع ليست كذلك.

والذي يؤكّد الخلط بين المفهومين وأنّه من فعل القوى العظمى في العالم هو أنّ القوى المهيمنة على السلطة والقرار الدوليين ترفض حتّى الآن تحديد معنى للإرهاب المدان وتمييزه عن الجهاد الشريف والمشروع حتى يبقى الفارق بينهما غامضاً، ولكي يتسنّى للقوى الكبرى في العالم والمتضرّرة من الحركات الجهادية في عالمنا الإسلامي وغيره أن تحارب وتقاتل تلك الحركات بحجّة أنّها إرهاب تنشر الفوضى والذعر والخوف في العالم، وعلى العالم كلّه أن يحاربها للتخلّص منها.وممّا لا نقاش فيه في الشرائع السماوية والقوانين الوضعية وشرعة حقوق الإنسان والقانون الدولي أنّ الدفاع عن النفس والوطن هو أمرٌ مشروعٌ ومقدَّس طالما أنّه لا يخرج عن الضوابط والموازين الدولية أو الشرعية وفق مفهومنا الإسلامي، إلاّ أنّ القوى العظمى التي تفرض هيمنتها على العالم تعمل على تحريف هذا الحقّ المشروع لتحوّله إلى إرهابٍ لأنّه يضرّ بمصالحها وسيطرتها وببسط نفوذها على مستوى العالم.

ولذا نرى أنّ كلّ دولةٍ من الدول تحاول تفسير الإرهاب بما يتناسب مع مصالحها ومنافعها، فإذا كان الجهاد المشروع مضرّاً بها تجعله إرهاباً، وإن كان موافقا لمصالحها تدعوه نضالاً مشروعاً، خصوصاً في ظلّ تضارب مصالح القوى الكبرى مع القوى الإقليمية ومع الدول والشعوب على امتداد العالم.

إنَّ مصدر الخلط هو القوى العظمى في العالم التي تريد مصادرة حرية الشعوب ونهب ثرواتها وخيراتها، وكلّما أراد شعبٌ ما أو مجموعةٌ ما في العالم أن تمارس عملها بحرية وبعيداً عن سطوة المستكبرين فإنّ هؤلاء يتّهمون ذلك الشعب أو تلك المجموعة بالإرهاب وبممارسة العنف وغير ذلك.

من كلّ ما سبق يتّضح أنّ الإرهاب هو صناعةٌ إستعمارية بامتياز، وتمارسه القوى الكبرى التي نصّبت نفسها حاكماً للعالم، وتقسِّمه إلى محور الخير وهو الداخل والدائر في فلكها أو المخالف معها وهو محور الشر وهي الدول أو الحركات الجهادية

التي تجاهد لمواجهة هذا الطغيان الأمريكي على مستوى العالم وعالمنا الإسلامي بالتحديد.

وأخطر أنواع الإرهاب على الإنسانية وعلى الأمن والسلم الدوليين هو الحروب التي تشنّها القوى الكبرى ذات القدرات التسليحية والمالية والإقتصادية لبثِّ الذعر في أرجاء العالم والرضوخ لإرادتها والسير وفق مخطّطها وأهدافها، كما حدث في أفغانستان والعراق ولبنان وحصار الشعب الفلسطيني في غزّة وغير ذلك من الأمثلة الحاضرة في وعينا وذاكرتنا في هذا الوقت، وكما يحصل في سورية من حرب بالوكالة تخوضها الدول الاستعمارية الكبرى بغية تقسيمها ونهب خيراتها.

والإسلام كدينٍ وعقيدة له أهدافٌ مقدّسة ووسائل شريفة للوصل إليها يرفضه الإرهاب الذي تحدّثنا عنه جملةً وتفصيلاً ولايقرُّه ولا يشجِّع عليه، بل يمنعه ويُحرِّم على أتباعه ومعتنقيه ممارسته بأيّ شكلٍ من الأشكال العنيفة أو غيرها، وذلك لوجود البديل الذي يحقّق الأغراض المنشودة والأهداف المحدَّدة وهو "الجهاد".

ومن الحديث المختصر عن الجهاد يتضح الفرق بينه وبين الإرهاب، فالجهاد فعلٌ هادف وله غاية شريفة، بينما الإرهاب فعل عنفٍ لا فائدة منه سوى الإخلال بحياة الناس وجعلهم خائفين على أرواحهم وممتلكاتهم من دون وجود غايةٍ مشروعة.

ولا شكّ أنّ العصر الذي نعيش فيه الآن شهد موجة من أكبر موجات الإرهاب والعنف على امتداد التاريخ البشري، ويمارسه الأفراد والجماعات وكذلك الدول الكبرى التي تسعى للسيطرة على العالم، وتعتبر أنّ كلّ ما تفعله مشروعاً ومُباحاً بينما هو في الحقيقة إرهابٌ بكلّ ما للكلمة من معنى، وما فعل القتل والتدمير والتهجير والحصار للشعوب الممانعة الذي تمارسه أمريكا وربيبتها إسرائيل وغيرهما من الشعوب الكبرى في العالم من أجل إخضاع الشعوب وإذلالها إلاَّ عنف غير مبرَّر ومُدان ومُستنكر.

ومن كلّ ما سبق نقول: إنّ الجهاد سيبقى صفحة ناصعة وطريقاً شريفاً ونبيلاً لتحرير الأرض والإنسان مهما حاول المستكبرون والطغاة أن يشوّهوا صورته كما هو حاصل اليوم.

وسيبقى الجهاد مستمراً طالما هناك صراعٌ بين الخير والشر، أو بين الكفر والإيمان، ولن تتوقف حركة الجهاد وقتال المجاهدين إلاّ عندما ينتصر الحقّ على الباطل، ولن يستطيع إرهاب المستكبرين وأتباعهم من منع السنن الإلهية القائلة بانتصار الحقّ على الباطل في نهاية الصراع، والحمد لله ربّ العالمين.

الخاتمة
مهمة المسلمين في مواجهة الحرب ضد الإسلام

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، فقد تعرضنا فيما سبق من بحثنا لتعريف الإسلام ديننا الحنيف، وأركانه وأدلته من القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع دراسة لمفهوم الإسلام في ضوء الكتاب والسنة (لا إكراه في الدين) وتعرضنا لعلاقة الإسلام بالشرائع الأخرى وموقف الإسلام من أصحاب الشرائع الدينية داخل بلاد المسلمين وخارجها والإسلام والحوار الديني، ثم تحدثنا عن الإسلام والتعدد المذهبي والطائفي، عن رحمة الإسلام بالطفولة، والإسلام وحقوق المرأة.

وتعرضنا أيضاً لموقف الإسلام من بعض المسائل المستحدثة: كالإسلام وحرية الفكر والسلوك، موقف الإسلام من التطرف، ومن العنف في العالم.

ولدى استقراء ما مرَّ من البحث نلمس أن الإسلام لا يواجه حرباً واحدة تشتعل ضده، بل إنها حروب. هدفها واحد، تدمير هذه الرسالة السماوية السمحاء التي أنزلها الله عز وجل لسعادة البشرية، إلا أن أعداء البشرية أبوا إلا أن يعكروا هذه السعادة بما أشعلوه من فتن في المجتمعات الإسلامية.

نستطيع أن نميز من هذه الحروب التي خاضها أعداء الإنسانية ضد الإسلام ثلاثة حروب:

- الحرب الاستعمارية.
- الحرب الاجتماعية.
- الحرب النفسية.

أما الحرب الاستعمارية: فهي تلك الحروب التي قادتها وتقودها القوى العالمية الكبرى ضد الشعوب المستضعفة، تحتلها بالقوة العسكرية، وتفرض عليها قوانينها وأحكامها، وتنهب خيراتها وثرواتها. ولقد تيقظت بعض الشعوب العربية وانتفضت ضد هذا النوع من الاستعمار فأعادت أراضيها وحصلت على استقلالها.

وأما الحرب الاجتماعية: فهو نوع لجأت إليه تلك القوى بعد فشلها في الحرب الاستعمارية، خططت من خلالها لضرب الحياة الاجتماعي الإسلامية، وتدميرها من الداخل، تهديم المجتمع من خلال إفساد المرأة، وتشويه المنظومة التعليمية، وتغييب القدوة، فإذا فسدت المرأة انهارت الأسرة نواة المجتمع، وإذا شوهت المنظومة التعليمية ساد الجهل والتخلف، وإذا غُيِّبت القدوة غابت التربية الاجتماعية، والنتيجة: مجتمع بلا أسرة ولا معلم ولا قدوة وبالتالي بلا دين.

وهذه في الحقيقة حالنا الآن، لقد هوجمنا منذ عقود بالحرب الاجتماعية و لم نعيها فوقعنا في الفخ، فمن خلال خلط المصطلحات والمفاهيم التي فرضت علينا دمرت المرأة تحت مسمى (تحرير المرأة)، فانهارت الأسرة، ومن خلال دعاوى الحرية والديمقراطية المزيفة غابت القدوة، وتحت مسمى العلمانية فسدت منظومة التعليم، فغدونا مجتمعاً فيه المرأة (أماً، وابنة، وأختاً) لا تعي مسؤولياتها تجاه أسرتها، ولا تجاه مجتمعها، بل لا تفكر إلا في أنانيتها المفرطة. وفي هذا المجتمع القدوة مهمشة و معتم عليها حتى فقدت أدنى تأثير لها أبناء دينها وجلدتها، و فيه المعلم الذي يدعو بدعوى العلمانية دون أن يدرس سلبياتها على مجتمعنا وتركيبته الدينية والطائفية والمذهبية.

وأما الحرب النفسية فهي أشد هذه الحروب وأعتاها، وأقصد بها غسل الأدمغة وتحويلها إلى آلات بهيمية لا تعي ما تفعل إلا ماتنفذ من أوامر أسيادها دونما عقل ولا تفكير، وهي تمارس من قبل القوى العظمى متوازية مع الحرب الاجتماعية والعسكرية.

لقد نجح أعداء الإسلام من تدمير المجتمعات الإسلامية من الداخل، فجعل بأسهم بينهم، يكفر بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضاً ويحارب بعضهم بعضاً ، بحجة الحصول على الحريات تارة، والتغيير السياسي تارة، والثورات ضد الظلم تارة أخرى. وألبسوا جميع الفتن لباساً دينياً وطائفياً والدين منها براء، لقد مر معنا في طيات البحث مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وكيف يدعو إلى الأخلاق والمحبة والتعاون و يدعو إلى الوحدة الإنسانية ويحترم الآخر أياً كان، ويؤيد التنوع والاختلاف دونما أن يفضي إلى الخلاف. فإذاً ما هو الهدف من كل ما يحصل على أرض الواقع؟ الجواب بسيط وواضح: إنها حرب لتشويه الإسلام وإبادة المسلمين.

أما الهدف الأول وهو تشويه الإسلام فقد تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الدين بقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فلا يزال المولى عز وجل يرسل الدعاة المخلصين أصحاب الفكر والتنوير يدعون هذا الدين القويم ويحسنوا تبليغه إلى الناس.

وأما إبادة المسلمين فهذا ما قصر المسلمون أنفسهم في تفاديه والحيلولة دونه، بل سعوا فيه تحقيقاً لأهداف أعدائه دونما وعي أو إدراك لخطورة ما يحاك لهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا وقع المسلمون في هذا الفخ؟ لماذا جعل بأسنا بيننا؟ لماذا سمحنا لأعداء الإسلام أن يبيدونا بأيدينا؟ السبب أننا فرقنا بين المتلازمتين لا يصح أن يفترقا: الإسلام والمسلمون... عندما فارق المسلمون تعاليم الإسلام الحقيقية، و فارقوا دعاته المخلصين أصبحوا كالشاة بلا راعٍ لتأكلها الذئاب. إننا لنجد كثيرا من شبابنا يعاني انفصال عن واقعه ومجتمعه دينه وأخلاقه، كل ذلك بما حيك لنا من دمار الأسرة والتعليم والقدوة، فإذا كان هذا حال شبابنا قدموا إليهم دعاة مزيفون ضالُّون مضلُّون يعلمونهم تعاليم محرفة ليست من الإسلام في شيء، تعاليم قائمة على التشدد والتطرف والعنف والإرهاب، في وقت كان دينهم دين التسامح والوسطية والاعتدال والسلم والسلام، وهنا يحقق أعداء الإسلام مرادهم من تشويه الإسلام من جهة وإبادة المسلمين من جهة أخرى.

كيف يواجه المسلمون الحرب ضد الإسلام:

لا شك أن ما يواجهه المسلمون خطر عظيم، إنما ليس الأمر بجديد على أمة الإسلام. فلقد مرت بفتن كثيرة عصفت بها عبر التاريخ، ولقد صدقها الله عز وجل وعده ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة/ ٣٢)، إلا أن هذا النصر الموعود من عزة الله وجلاله لا تتحقق إلا بالسعي الحثيث، والجهد الكبير لنصرة دين الله وإعلاء كلمة الحق مهما كان للباطل من جولات، ونستطيع أن نفصل ذلك من خلال نقاط:

أولاً: على الصعيد الشخصي:

على كل مسلم أن يبدأ في مواجهة هذه الحرب من نفسه:

١- بأن يصحح عقيدته فيؤمن بها قولاً وعملاً كما أنزلها الله على سيدنا محمد ﷺ، دون تحريف، ودون إفراط أو تفريط.

٢- أن يرتبط بالقدوة الصالحة، التي تسدد خطاه على دين الله، وتصوب أخطاءه، وتحميه من أي زلل أو انحراف عن الشريعة السمحاء.

٣- أن يتسلح بالعلم والمعرفة والتنوير الفكري، وأن يعي تماماً ما يحاك ضد الإسلام وأهله.

٤- أن يحقق انتماءه إلى أمة الإسلام فيعتز بهذا الإنتماء، وأن يتبنى قضايا الأمة ومشاكلها وهمومها. فيسعى بكل ما أوتي من وسائل أن يكون فرداً فاعلاً وبناءاً لأمته.

ثانياً: على الصعيد الأسري:

١- أن تصلح نواة الأسرة – المرأة – وان تتقي الله عز وجل في زوجها وأبنائها ودورها الأسري الهام في بناء المجتمع فتكون قدوتها في ذلك أمهات المؤمنين وصحابيات رسول الله ﷺ.

٢- أن يتم البناء الأسري على قواعد التشريع الحنيف بدءاً من اختيار الزوجين لبعضهما على الأسس الشرعية، ثم تطبيق القواعد التربوية الإسلامية على الأبناء، مع العناية التامة بالجانب الأخلاقي والاجتماعي لكي يتهيَّأ الأبناء للخروج مواطنين صالحين في مجتمعاتهم.

ثالثاً: على الصعيد الاجتماعي:

١- أن تسعى المنظمات الأهلية والهيئات الاجتماعية إلى توعية أفراد المجتمع وتثقيفهم وفق الشريعة الإسلامية الغراء.

٢- أن تقوم هذه المنظمات بدور فاعل في إيجاد الحلول ومدُّ يد العون حسب الإمكانيات المتاحة لمنكوبي الحروب وقاية لهم من الانحراف والوقوع في الجريمة نتيجة الفقر والتشرد.

أخيراً وليس آخراً: فإن دور المسلمين في مواجهة الحرب ضد الإسلام تبدأ من مواجهة أنفسهم وعودتهم إلى دينهم الحنيف، وتمسكهم بكتاب الله عز وجل وفهمه الفهم الصحيح، وبسنة نبيه محمد ﷺ وتطبيقها دونما تعطيل أو تحريف. وأن يقوم بواجب الدعوة إلى الله عز وجل بعيداً عن التعصب والغلو والتطرف، وهذا الواجب لا يقتصر على من لبس جبة العلم، لأن دين الإسلام أمر كل مسلم أن يكون داعياً إلى الله بأخلاقه وسلوكه أياً كان عمله وأياً كانت وظيفته في المجتمع.

هذا هو الإسلام وهذه هي دعوته، هذه تعاليمه، وهذه تشريعاته في مستجدات العصر من الفتن والأهوال، أسأل الله العلي العظيم أن يجد كل باحث عن الحقيقة في طيات البحث ما يطلبه ويبتغيه إنه سميع قريب مجيب، وأستغفر الله العلي العظيم مما وقع فيه من خطأ أو تقصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ.....﴾	الفاتحة	٦-٧	١٢١
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	البقرة	٢٩	١٢٧
﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾	البقرة	٣٦	٨٢
﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾	البقرة	٤٥	١٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ..﴾	البقرة	٦٢	٣٣
﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ....﴾	البقرة	١١١-١١٢	٢٣
﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ...﴾	البقرة	١٣٠-١٣١	٢٣
﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ....﴾	البقرة	١٣٤	٨٢
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ....﴾	البقرة	١٣٦	٢٥
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ....﴾	البقرة	١٤٣	١٢٠
﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ....﴾	البقرة	١٤٤	١٥
﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾	البقرة	١٧٩	١٣٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ....﴾	البقرة	١٨٣	١٥
﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ....﴾	البقرة	١٩٠	١٣٦
﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	البقرة	١٩٥	٥٨
﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾	البقرة	٢٣٨	١٣
﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ..﴾	البقرة	٢٤٩	١٤٧
﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ....﴾	البقرة	٢٥٣	٥٧
﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ....﴾	البقرة	٢٥٦	٢٨
﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ....﴾	البقرة	٢٨١	٢٢
﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا....﴾	البقرة	٢٨٢	١٠٨
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾	آل عمران	١٤	١٢٦

طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ....﴾	آل عمران	١٨	٢٠
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟....﴾	آل عمران	١٩	٢٠
﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل....﴾	آل عمران	٢٠	٢٥
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ....﴾	آل عمران	٣١	١٢
﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى....﴾	آل عمران	٣٥	٥١
﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ....﴾	آل عمران	٣٦	٥١
﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ....﴾	آل عمران	٣٧	٥٢
﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ....﴾	آل عمران	٤٢	٨٨
﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ....﴾	آل عمران	٤٥-٤٢	٥٠
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا....﴾	آل عمران	٦٤	٥٤
﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ....﴾	آل عمران	٨٤	٢١
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ....﴾	آل عمران	٨٥	٢٠
﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ....﴾	آل عمران	٩٧	١٥
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	آل عمران	١٠٣	١١٢
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ....﴾	آل عمران	١٠٤	١٤٠
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ....﴾	آل عمران	١٠٥	١١٣
﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾	آل عمران	١٩٣	١٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا....﴾	النساء	١	٤٢
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ....﴾	النساء	٣	٩٥
﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ....﴾	النساء	٤	٩٠
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾	النساء	١١	١٠٦
﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾	النساء	١٩	٩٩
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ....﴾	النساء	٢٤	٨٧

طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾	النساء	٣٢	٩٠
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ....﴾	النساء	٣٤	١٠٤
﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾	النساء	٥٨	٤٦
﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	النساء	١٢٨	٩٩
﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا....﴾	النساء	١٢٩	٩٧
﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ....﴾	النساء	١٧١	٥٦
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	المائدة	٢	٦٠
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا....﴾	المائدة	٢	١٣٤
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ....﴾	المائدة	٣	٢٢
﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ....﴾	المائدة	٥	٤٨
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ....﴾	المائدة	٤٢	٤٤
﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا....﴾	المائدة	٤٤	٢٤
﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ....﴾	المائدة	٤٦	٥٧
﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم....﴾	المائدة	٤٧	٣٤
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	المائدة	٤٨	١٧
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ....﴾	المائدة	٦٨	٣٤
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ....﴾	المائدة	٨٢	٣٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾	المائدة	٨٧	١٢٧
﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾	الأنعام	١٤	١٠
﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا....﴾	الأنعام	١٥	٨٤
﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾	الأنعام	١٢٥	١٠
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	الأنعام	١٤٠	٨٣
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	الأنعام	١٥٢	١٣٤

طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ....﴾	الأنعام	١٥٣	١١٣
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ....﴾	الأعراف	٢٣	٨٢
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ....﴾	الأعراف	٣٢	١٢٧
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن ....﴾	التوبة	٣٢	٥
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ ....﴾	التوبة	٦٨	٨٧
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ ....﴾	التوبة	١٠٣	١٤
﴿* وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ ....﴾	يونس	٩٠	٢٤
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ....﴾	يونس	٩٩	١٤٢
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	هود	٦١	١٢٧
﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ....﴾	الرعد	٤٠	١٤٢
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	الحجر	٩	١٠٩
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾	الحجر	٢٨	١٢٦
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ....﴾	النحل	٥٨-٥٩	٨٣
﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾	النحل	٨٢	٢٦
﴿* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾	النحل	٩٠	١٣٤
﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ....﴾	النحل	١٢٥	٤٠
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾	النحل	١٢٨	١١
﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ ....﴾	الإسراء	٢٣-٢٤	٨٤
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾	الإسراء	٣١	٨٣
﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	الإسراء	٣٢	٥٨
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ .....﴾	الإسراء	٣٣	١٣٧
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	الإسراء	٥٣	٥٩
﴿* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم ....﴾	الإسراء	٧٠	٣٨

طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا ....﴾	مريم	١٦-١٧	٥٢
﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾	مريم	١٨	٥٢
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ ....﴾	مريم	١٩-٢١	٥٢
﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ ....﴾	مريم	٢٣-٢٤	٥٢
﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ....﴾	مريم	٢٩-٣٠	٥٦
﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ....﴾	مريم	٣١-٣٢	٥٦
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾	طه	١٣١	١٢٧
﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾	الأنبياء	٣٥	٥٢
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	الأنبياء	١٠٧	٥٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ....﴾	الحج	١٧	٤٤
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾	الحج	٣٩	١٤٧
﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ﴾	الحج	٤٠	٤٩
﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ....﴾	الحج	٧٨	١٧
﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾	المؤمنون	٤	٥٨
﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ....﴾	النور	٤	٨٣
﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ....﴾	النور	٣١	١٠٠
﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ﴾	النور	٣٢	٩٠
﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾	النور	٣٣	٨٤
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ....﴾	النور	٥٥	١٤٥
﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾	الفرقان	٥٢	١٣٨
﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾	الشعراء	١٦٨	١٤١
﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ....﴾	القصص	٧	٨٨
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾	العنكبوت	٤٥	١٣
﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	العنكبوت	٤٦	٥٠

طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟....﴾	الروم	٢١	٨٥
﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ ....﴾	الروم	٢٢	٤٣
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾	الروم	٥٤	١٢٥
﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ....﴾	لقمان	١٤	٨٤
﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ....﴾	لقمان	٢٠	١٢٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ....﴾	لقمان	٢١	٣٧
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ .....﴾	الأحزاب	٢١	٧٩
﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا .....﴾	الأحزاب	٣٢-٣٣	١٠١
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾	الأحزاب	٣٥	١٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ.....﴾	الأحزاب	٥٩	١٠٠
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ....﴾	فاطر	٤٦	٤٤
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾	يس	٧٧	١٢٥
﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ....﴾	الصافات	١١١-١١٢	٥١
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ....﴾	فصلت	٣٣	١٣٩
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ...﴾	فصلت	٣٤	٥٨
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	الشورى	١١	١٢١
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ....﴾	الشورى	١٣	٣٤
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾	الشورى	٤٨	١٤٢
﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾	الشورى	٤٩	٨٣
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟....﴾	الحجرات	٦	٤٨
﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾	الحجرات	٩	١٣٤
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ....﴾	الحجرات	١٣	٣٣
﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا....﴾	الحجرات	١٤	١٠

طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾	الذاريات	٤٩	٩٠
﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةً وَرَحۡمَةً﴾	الحديد	٢٧	٥٧
﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ....﴾	المجادلة	١	٨٦
﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن ....﴾	الممتحنة	٨	٣٨
﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ ...﴾	الصف	٦	٢٣
﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾	الصف	٧	٢٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ ....﴾	الصف	١٢	٨٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ....﴾	الصف	١٤	٥٧
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾	الطلاق	٤	٩٩
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾	الطلاق	٥	٩٩
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ....﴾	التحريم	١٠	٨٧
﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ ...﴾	الملك	١٥	١٢٨
﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ ...﴾	الإنسان	٣-٤	١١٢
﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ ....﴾	عبس	١٧-٢٢	١٢٥
﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾	التكوير	٨-٩	٨٣
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ ....﴾	الطارق	٥-٧	١٢٥
﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَن ..﴾	الغاشية	٢١-٢٤	١٤٢
﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾	الكافرون	٦	٤٤
﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾	الإخلاص	٣	١٢١

فهرس الأحاديث الشريفة

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
(أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم . . .)	أبو هريرة	١٣
(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله . . . . .)	مسلم	٢١
(تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة، فتقول: يا رب . .)	أبو هريرة	٢٦
(المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . . . .)	واثلة بن الأسقع	٢٦
(. . . إن الإسلام لا يقال) .	أبو هريرة	٢٧
(لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون . . . .)	أبو سعيد الخدري	٢٧
(الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق إلى الله . . . .)	أنس بن مالك	٣٥
(المؤمنون في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد . . .)	النعمان بن بشير	٣٦
(إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، . . . .)	أبي النضرة	٣٨
(من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه . . .)		٤٠
(كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته . . . .)	عبد الله بن عمر	٤٠
(إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ . . .)	أبو هريرة	٤٣
(لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه)	أنس بن مالك	٥٨
(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض . . .)	عبد الله بن عمرو	٥٩
(إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم . . .)	أبو سعيد الخدري	٧٦
(من لا يرحم لا يُرحم)	أبو هريرة	٧٩
(إنما النساء شقائق الرجال)	السيدة عائشة	٨٢

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
(من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى)	واثلة بن الأسقع	٨٣
(من كان له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن . .)	أبو هريرة	٨٥
(من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده . . .)	عبد الله بن عباس	٨٥
(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)	السيدة عائشة	٨٥
(الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة)	عبد الله بن عمرو	٨٥
(ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة . . .)	عبد الله بن عباس	٨٦
(لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن . . .)	إياس بن عبد الله	٨٦
(حُبّب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة)	انس بن مالك	٨٦
(ألا واستوصوا بالنساء خيراً)	أبو هريرة	٨٦
(الأيم أحقّ بنفسها من وليها . . . .)	السيدة عائشة	٨٩
(طلب العلم فريضة على كل مسلم)	أنس بن مالك	٨٩
(اجتمعن في يوم كذا وكذا، في مكان . . .)	أبو سعيد الخدري	٨٩
(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . . .)	عبد الله بن مسعود	٩١
(إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم)	معقل بن يسار	٩٢
(أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد . . .)	السيدة عائشة	٩٢
(لا يخطب الرجل على خطبة أخيه . . .)	عبد الله بن عمر	٩٣
(يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى . . .)	السيدة عائشة	١٠١

طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
(لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله. . . .)	عبد الله بن مسعود	١١٧
(عَنْ رَسولُ اللهِ في تَفْسيرِ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ : قالَ: عَدْلاً)	أبو سعيد الخدري	١٢١
(إني لم أبعث لعاناً، وإنما بُعثت رحمة)	أبو هريرة	١٤١
(إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم. . .)	أبو هريرة	١٤٣
(ما ترون أني صانع بكم. . . .)		١٤٣
(لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك . . .)	سهل بن سعد	١٤٥

الفهرس العام

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول- التعريف بالإسلام.....	٨
المبحث الأول : الإسلام لغةً وشرعاً.....	٨
المبحث الثاني: بين الإسلام والإيمان والإحسان.....	٩
المبحث الثالث: أركان الإسلام.....	١٢
المبحث الرابع: الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق.....	١٧
الفصل الثاني- لفظ الإسلام في القرآن الكريم والسنة.....	٢٠
المبحث الأول: لفظ الإسلام في القرآن الكريم.....	٢٠
المبحث الثاني: لفظ الإسلام في الحديث النبوي الشريف...	٢٦
المبحث الثالث: دراسة لمفهوم الإسلام في ضوء الكتاب والسنة....	٢٨
الفصل الثالث- الإسلام والشرائع الأخرى.....	٣٣
المبحث الأول: موقف الإسلام من أصحاب الشرائع.....	٣٣
المبحث الثاني: الإسلام والحوار الديني.....	٥٤
الفصل الرابع- الإسلام والمسلمون.....	٦٢
المبحث الأول: الإسلام والتعدد المذهبي والطائفي.....	٦٢
المبحث الثاني: الإسلام والطفولة.....	٧٦
المبحث الثالث: الإسلام وحقوق المرأة.....	٨٠
الفصل الخامس- موقف الإسلام من بعض المسائل المستحدثة..	١١١
المبحث الأول: الإسلام وحرية الفكر والسلوك.....	١١١
المبحث الثاني: موقف الإسلام من التطرف.....	١١٨
المبحث الثالث: موقف الإسلام من العنف في العالم.....	١٣٣

الموضوع	رقم الصفحة
الخاتمة..	١٥٤
فهرس الآيات القرآنية....................................	١٥٩
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.............................	١٦٦
الفهرس العام	١٦٩